أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير
أ. أيّوب شهوان

اسرة التحرير
الأرشمندريت نيقولا أنتيبا
الأباتي بولس تنّوري
أ. أسعد جوهر
أ. موسى الحاج
السيّدة ماري عطاالله خليفة
أ. جورج خوام
الأخت باسمة خوري
أ. نعمة الله الخوري
أ. لويس خوند
الأخت ماري-لويز شهوان
د. منى عبيد
أ. جان عزام
أ. انطوان عوكر
أ. يوسف فخري
أ. بولس الفغالي
أ. انطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
أ. ريمون الهاشم

في هذا العدد

الافتتاحيّة: العهدُ والسلامُ بالربِّ يَسوع ـــــ رئيس التحرير ٢
العهد من خلال الوعد؛ نبوءة ناتان (٢ صم ٧: ١-٢٩) ـــــ الأرشمندريت نيقولا انتيبا قب.. ٥
«العهد» في الإنجيل الرابع ـــــ الأخت باسمة الخوري ١١
عنقودٌ عُصِرَ على خشبةِ الصّليب فأروى العِطاشَ إلى البرّ ـــــ أ. نجم شهوان ١٧
في العهد يتجلّى حوار الله المتواصل مع الإنسان ـــــ أ. لويس خوند ٢٣
العهدُ حوار ـــــ أ. جان عقيقي ٢٩
رحمة بعهد مقدّس (لو ١: ٧٢) ـــــ الطالب عماد غميض ٣٣
العهد بين الوعد والشريعة (غل ٣: ١٥-١٧) ـــــ الطالب جرجس الخوري... ٤١
بولس خادم العهد الجديد (٢ كو ٣: ٦-١٤) ـــــ الطالب نبيل حبشي..... ٤٧
العهد والشريعة في غلاطية ـــــ الطالب حنّا أديب خوري... ٥١
«كنتم غرباء عن عهود الموعد» (اف ٢: ١٢) ـــــ الأخ نبيل ملكي ٥٥
العهد في عب ٨: ٧-١٣ ـــــ الطالب جورج بو جريش... ٥٩
العهد في سفر الرؤيا ـــــ الأخت ماتيلد ساسين..... ٦٧
دياتيقي في أعمال الرسل (٣: ٢٥؛ ٧: ٨) ـــــ أ. أيّوب شهوان ٧٣

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحيّة

العهدُ والسلامُ بالربِّ يَسوع

أ. أيوب شهوان

لا عهد ولا سلام إلا بالمسيح يسوع

قبل ألفي سنة أنشد الملائكة :

«المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة» (لو ٢:١٤).

ومنذ ذاك الزمان و«الناس ذوو الإرادة الحسنة» يرددون هذا النشيد الذي يجمع «الساكن في الأعالي» (مز ٩١:١) مع أهل الدنيا في فرحةٍ ما مثلها فرحة، وسلام ما مثله سلام.

فمحبة الله التي تشمل جميع الناس، تملأهم رجاءً، هو رجاء زمن جديد، زمن سلام، سبق وبشر به رجال الله الأنبياء القديسون. هذه المحبة التي تجلّت في الكلمة المتجسد يسوع المسيح، هي الركيزة الأساسية للسلام. فعندما يحل السلام في الكون، يعود كل آدم وكل حواء إلى جنة الله، وينعم الجميع بالعلاقة المتبادلة بين الله وبينهم.

هكذا، يعادل حلولُ السلام تجسيدَ العهد بين الله وبين بني البشر؛ فالاثنان عطية من الله، والاثنان هما لأجل الإنسان، والاثنان ينقضهما ويقضي عليهما ليس الله، بل الإنسان الأحمق الذي يقول في قلبه: «لا إله» (مز ١٤:١).

ينهار السلام، فيلحق به العهد؛ يقوم العهد، فيعم السلام. الأساس والضمانة للاثنين هو يسوع الذي قدسنا بدمه، «دم العهد» (مت ٢٦:٢٨؛ مر ١٤:٢٤؛ لو ٢٢:٢٠؛ ١ كو ١١:٢٥)، وردّ لنا السلام، «هو سلامنا» (أف ٢:١٤)، وهو عطية سلام لجميع البشر. لقد جاء ليجمع ما كان مفرّقاً ومتخاصماً ومتباعداً، وليجعل من «البعداء أقرباء» (أف ٢:١٢-١٤)، ومن «الغرباء عن عهود الوعد» (أف ٢:١٢) «أبناءَ العهد» من جديد.

لن يجني الناس ثمار العهد والسلام «ما لم يعودوا ويَصيروا كالأطفال» (مت ١١:٢٥؛ لو ١٠:٢١؛ ١٨:١٥)، و«يولدوا من جديد» (يو ٣:٣ي). وحدهم الذين «من الماء والروح وُلدوا» (يو ٣:٣ي) قادرون أن يكونوا «أبناء الله» (مت ٥:٤٥، الخ)، «أبناء العهد»، و«صانعي سلام» (مت ٥:٩) و«مبشرين به» (روم ١٠:١٥).

بين العهد والسلام والقداسة ارتباط حميم ووثيق: فالسلامُ عنصرٌ مكوِّنٌ للعهدِ، والعهد يُنبِتُ السلام، والاثنان يُبنَيَان بعون الرب، يوماً بعد يوم، وبفعل روحه القدوس، عبر التقوى والمحبة والحكمة والعدالة التي علمنا إياها الرب يسوع وحقّقها بثمن عظيم.

رجال العهد بُناةُ سلام

مَن كان من «بني العهد»، كان بذات الفعل صانعَ سلام، وبانيَ وئام، عدوّاً للباطل، وحافظاً ذاته من أي خصام، ولا عجب في ذلك: فإنه رجل الأمانة للعهد وسيدِ العهد في قوله وفعله، ينعم بإقامة رب السلام ومعطي السلام في قلبه وداره، والذي تطفح أهراؤه بالخيرات المعطاة من سيد العطايا، الذي، إن كان من حدٍّ لجوده، فهو محبة خاصته، محبتهم حتى الغاية، حتى بذل ذاته عنهم.

تعادل عبارة «رجال العهد» إذاً عبارة «رجال السلام»، وتكمل الواحدة الأخرى. هؤلاء الرجال هم القديسون والأصفياء، الذين استناروا بمن هو النور، فأشعوا في العالم سلاماً وعلاقات أخوة، هي قبس من العهد الإلهي الإنساني الحياتي.

عهدُ سلام راسخ وأبدي

«وأَبتُّ معهم عهدَ سلام، فيكون عهداً أبديا» (حز ٣٧:٢٦؛ رج ٣٤:٢٥[1]).

في الواقع، هو الرّبُّ مَن سبق وأعلن على لسان الأنبياء «عهد سلام» («بريت شَلُوم»)، «عهداً أبديا» («بريت عُلَم»).

تعكس عبارةُ «عهد أبدي» لاهوتَ الكاتب الكهنوتي انطلاقاً من تك ٩:١٦ و١٧:٧، حيث يُقيمُ اللهُ عهدَين غير مشروطَين مع نوح ثم مع إبراهيم.

وتعكس عبارةُ «عهد سلام»، في حز ٣٤:٢٥، الزمانَ الذي فيه الخروف الضال قد أُعيد إلى الأرض التي غُرِّبَ عنها، وسلالة داود استرجعت مكانها ومكانتها، وعد الله بأن يقيم عهداً جديداً مع إسرائيل (رج إر ٣١:٣١-٣٤). سيكون هذا العهد عهدَ سلام، سيبني علاقات مميزة ومتآلفة في البلاد. سيعرف إسرائيل اللهَ من جديد، وسيقيم بأمان في موطنه. في الواقع، يعكس مجملُ نصّ حز ٣٤:٢٥-٣١ رؤيةَ عهدِ ازدهار، يتكلم عليه لا ٢٦:٣-١٢، وإر ٣٣:١٤ي. ستكون كلُّ بركات إسرائيل ثمرة طاعةٍ مؤمنةٍ للعهد، وبالتالي سينعم شعب الله بالسلام.

بهذا المعنى يقول أشعيا، نبي العهد والسلام:

«فالجبال يمكنها أن تتباعد، والتلال أن تتأرجح،

لكن محبتي لا تتباعد عنك، وعهدي السلامي لا يتأرجح،

يقول الربُّ الذي يعزّيك» (أش ٥٤:١٠).

إن «عهد السلام» هذا (عد ٢٦:١٢؛ حز ٣٤:٢٥؛ ٣٧:٢٦؛ ملا ٢:٥) سيوحّد بالتأكيد الكونَ بأسره في انسجام وتناغم وسعادة (أش ٤٤:٢٨)، استناداً إلى «الملء» الذي تعنيه كلمةُ «شَلُوم» وتوحي به.

السلامُ إذاً هو ثمرةُ العهد

استناداً الى ما تقدم، «السلام» هو وحدة مكثّفة جدّاً من الناحية اللاّهوتيّة، ليس فقط لأنّه عطيّة من الرب، بل لأنّه مرتبط بالحب، وبالرحمة، وبنوع خاص بأمانة اللّه لوعده وعهوده، والتي لا تتزعزع.

يمثّل السلام إذاً انتصار العلاقات الشخصيّة المتبادلة، التعبير العملي عن العهد، إن بالمعنى الديني – «أكون لهم إلهاً ويكونون لي شعبا» (حز ٣٧:٢٧)، وإن بالمعنى البشري – «يسكنون في الصحراء بأمان» (حز ٣٤:٢٥).

في إطار العهد هذا، تظهر، في الحقيقة، المقوّماتُ الروحيّة والخلقيّة للسلام[2]، التي، إن قام العقلاء والأمناء بموجباتها وبمتطلّباتها، كانوا أهلاً للـ«طوبى» التي أغدقها الرب يسوع على «فاعلي السلام، فإنهم أبناء الله يدعون».

١- أنظر أيضاً ١٦:٦٠، حيث، بالرغم من أنّ كلّ ما قيل في ١٦:٣-٥٢ يوحي بأن لا شيء يسمح لإسرائيل بأن يترجى رحمة الله، فإنّ الله يَعِدُ بإعادةِ بنيانٍ مبنيٍّ على العهد الذي أعطاه عند الخروج؛ وإذا كان إسرائيل قد نسي، فإنّ الله لم ينسَ. أنظر أيضاً لا ٢٦:٤٢-٤٤.

٢- Penna R., "L'évangile de la paix", in Lorenzo De Lorenzo (par le soin de), *Paul de Tarse apôtre de notre temps* (Abbaye de S. Paul h.l.m.: Rome 1979) 197ss.

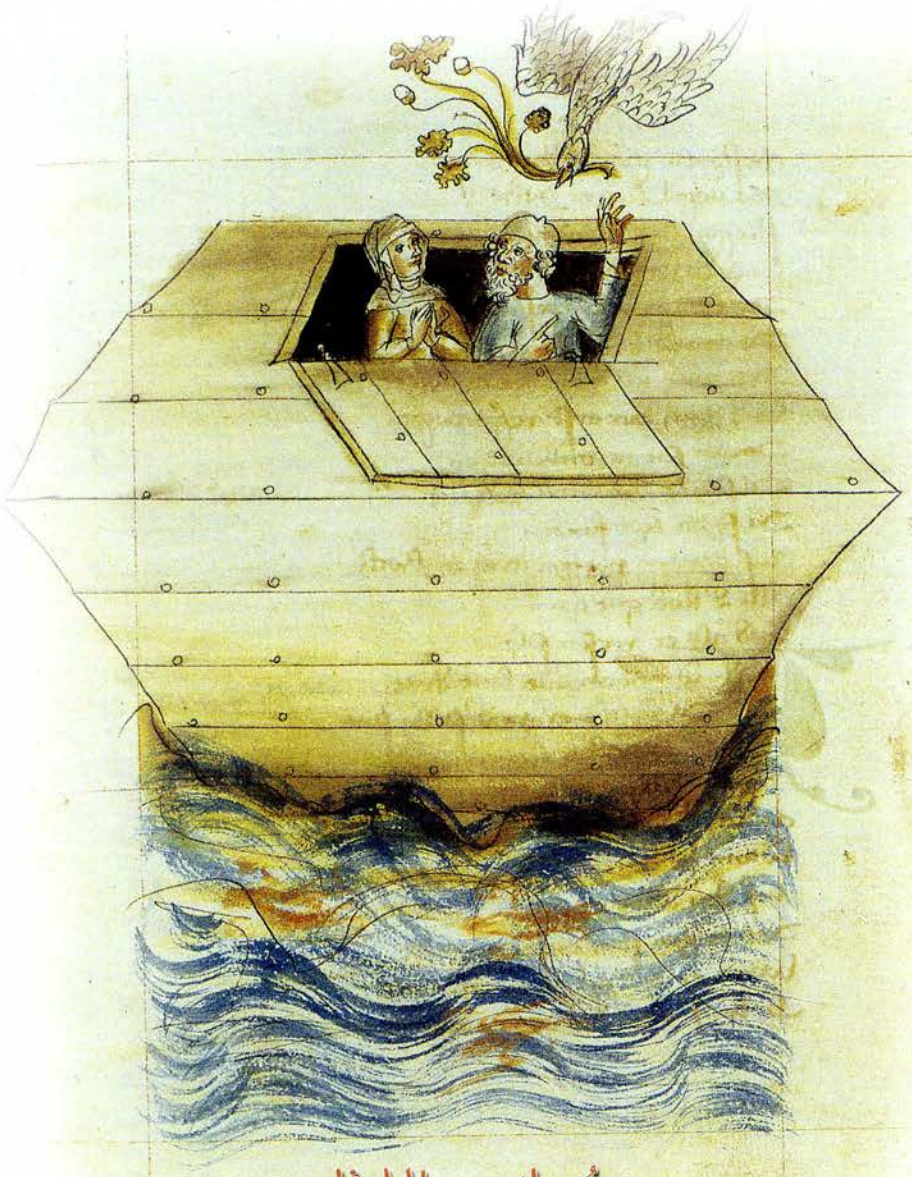

طلّاب واعدون!

يسر إدارة مجلة بيبليا، وللمرة الثانية، أن تشرك فريقاً من طلاب كلية اللاهوت الحبرية في جامعة الروح القدس في تحرير بعض مواضيع هذا العدد من المجلة.

فقبل سنتين من تاريخه، وفي إطار حلقة أبحاث ضمن الكلية المذكورة حول موضوع «العهد في الكتاب المقدس»، نجح كلٌ من طلاب تلك الحلقة في إعداد بحث حول جانب معين من «العهد»، فجاءت النتيجة مرضية، وقابلة لأن تُنشَر، كما كانت أمنيتي الحارة التي حمّلتها الطلاب، وهم التالية أسماؤهم:

جورج بو جريش، نبيل حبشي، جرجس الخوري، حنا أديب الخوري، ماتيلد ساسين، عماد غميض، نبيل ملكي.

إن إدارة مجلة بيبليا، التي تسعى إلى نشر كلمة الله، بجهود أعضاء أسرة التحرير وغيرهم من الكرام، تهنّىء الطلاب المذكورين وتتمنى لهم كل النجاح في خدمة الكلمة.

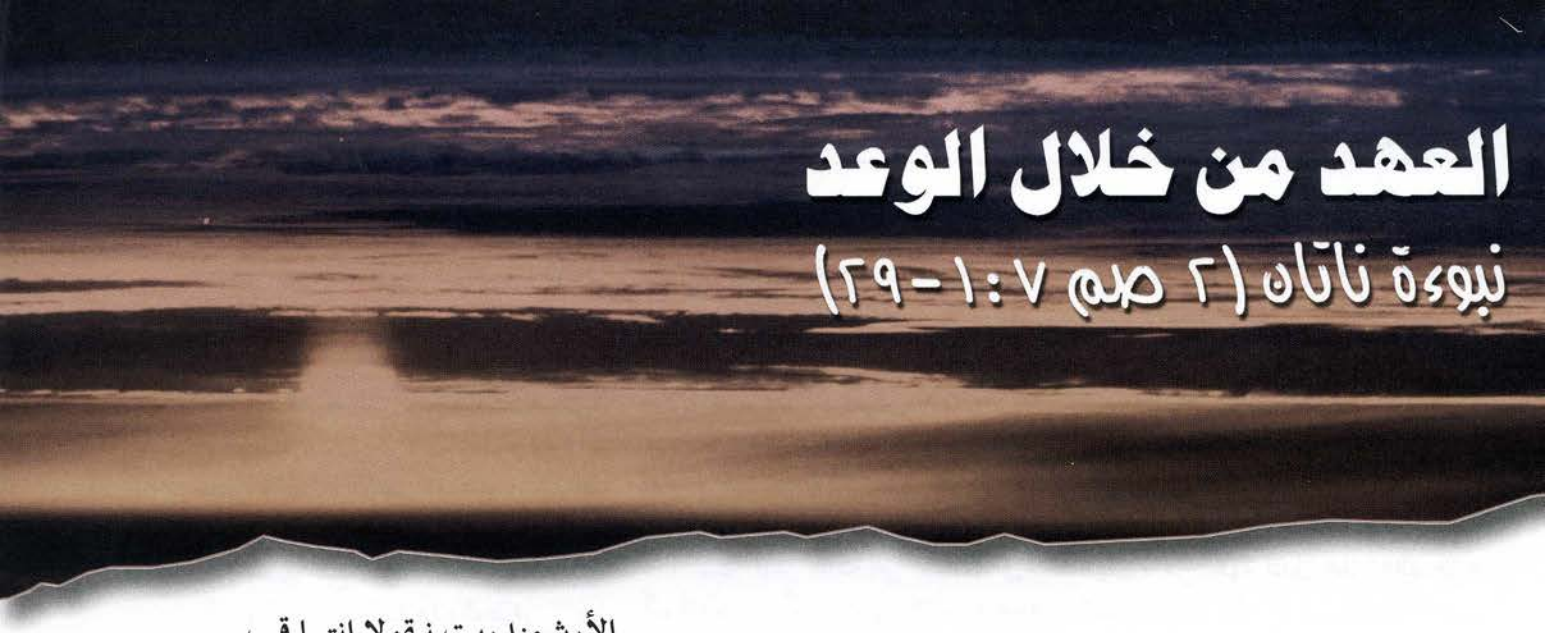

العهد من خلال الوعد

نبوءة ناتان (٢ صم ٧: ١-٢٩)

الأرشمندريت نيقولا انتيبا قب

مقدّمة

تتضمّن مجموعة فصول ٢ صم ٢–٨ فكرتين هامتين. يحتفظ الناشر أوّلاً، بالسياق التاريخي للأحداث التي وجدها ليصل إلى هدفه. فداود الهارب «وقاطع الطريق»[١]، والمطوّق بالفلسطينيّين وإسرائيل، يتبع طريقاً خاصّاً ليصل في نهايته إلى بناء مملكة نرى من خلالها تحقيق وعود الربّ في المستقبل البعيد. تتمحور الفكرة الثانية حول معرفتنا أنّ كلّ ما جاء حتّى الآن لم يأتِ نتيجة حظ أو مبادرات داود الشخصيّة وكفاءته، بل كان بالأحرى نتيجة موافقة من قبل الله (رج ٢ صم ٢: ١؛ ٥: ١٩، ٢٣؛ ٧: ٣؛ ٨: ٦، ١٤). لقد كُلّل عمل داود بالوعد الذي يتطلّع إلى الرجاء المسيحاني. يجعلنا هذا الإطار نعي أنّ ما قام به ناتان أتى في الوقت المناسب، أي عندما أصبحت أورشليم مركز البلاد السياسي والديني. وضع الناشر بالتالي عمل داود وقوّة شخصيّته في إطار المخطّط الإلهي الذي يتعدّى أرض فلسطين وزمن داود.

١– مناسبة النبوءة

تؤلّف هذه النبوءة التي تؤمّن سلطة السلالة الداوديّة الدائمة، نقطة الذروة في إطار فصول ٢ صم ٢–٨ وفي سفري صموئيل. لقد انطلقت من فكرة داود الذي عزم على أن يبني هيكلاً للربّ.

٢/أ– سكن داود في قصر فخم ابتناه في أورشليم، وبقي «تابوت يهوه» تحت الخيمة كما في زمن التجوال في الصحراء. فعظم في نظر الملك أن يبقى التابوت «ساكناً» تحت الخيمة. عرض الملك بالتالي فكرته على ناتان النبي، أحد مستشاريه[٢]. شجّع ناتان الملكَ داود على تحقيق هذه الفكرة معتمداً ليس على أحاسيسه وأفكاره وعواطفه فحسب، بأيضاً على فكرة «إنّ الله معك» (آ ٣). غير أنّ الله أوحى «في الليل» لناتان مخطّطاً ثانياً وطلب إليه أن يطلع داود عليه. لن يبني داود نفسه الهيكل لله، بل يقوم شخص آخر من سلالته بهذا العمل. كان الباعث المباشر الذي تبنّاه ناتان أنّ الله لم يحصل على هيكل في زمن الخروج من مصر وفي عهد القضاة. يرى الكاتب ميشال سيمون في هذه النبوءة إدانة للعبادة وللهيكل من جهة الله عوضاً عن تأجيل بسيط لبناء صرح الهيكل[٣]. لكن البحث الكتابي اللاحق رفض هذه النظريّة الخاطئة. ويستطرد ادوارد كوتونيه بقوله: «إنّنا نبالغ عندما نقول إنّ النبوءة تنحصر في رفض بناء الهيكل. تسيطر مسألة السلالة الملكيّة على النظرة المستقبليّة في هذه النبوءة. غير أنّنا لا نقدر أن نهمل البُعد الأوّل والأهم الذي يتضمّن حريّة سيّد العهد وسموه. الذي لا يريد بدوره أن يبقى محصوراً في مكان واحد، ولكنّه يبدو سيّد المواهب الأوحد (رج عا ٥: ٢٥؛ إر ٧: ١–١٥)»[٤]. يريد الله من خلال هذا الرفض أن يحافظ على مبادرته الشخصيّة في العلاقات التي تربطه بإسرائيل. لا يترك الله بالتالي لنفسه بناء الهيكل في الزمن الذي يعيّنه فحسب، بل بأن يعظّم اسم الملك ويؤمّن الاستمرار للسلالة الداوديّة.

١– H. W. Hertzberg, ***1 and 2 Samuel,*** Old Testament Library, 1964.

٢– E. Cothenet, "Natan", in ***DBS*** VI, coll. 301-307.

٣– M. Simon, "La prophétie de Natan et le Temple", dans ***RHPR*** 32 (1952) 41-58.

٤– المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

٢/ب- وإذا نظرنا إلى نبوءة ناتان بأكملها من خلال نظرتنا إلى فنّها الأدبي، نجدنا أمام رواية مبنيّة على تعارض كلمة «بيت» العبريّة التي تعني «بيت-هيكل» و «بيت-سلالة». لا يستطيع داود أن يبني «البيت» الإلهي (آ ٥)، ولكن الله سيبني «بيتاً» (آ ١١) إلى الأبد. يشدّد الله من جديد على تصرّفه المجّاني، ويخشى أن يهدّد داود مجّانيّة هذه العطيّة.

تحوي الآيات ١١ ج-١٦ جوهر الوعد الإلهي:

«سيجعلك يهوه عظيماً لأنّ يهوه سيقيم لك بيتاً.

وإذا تمّت أيّامك واضطجعت مع آبائك،

أقيم من يخلفك من نسلك الذي يخرج من صلبك، وأثبّت ملكه.

فهو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبّت عرش ملكه إلى الأبد.

أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.

وإذا أثم أؤدّبه بقضيب الناس وبضربات بني البشر.

وأمّا رحمتي فلا تنزع عنه، كما نزعتها عن شاول الذي أبعدته من أمام وجهك.

بل يكون بيتك وملكك ثابتين للأبد أمام وجهك، وعرشك يكون راسخاً للأبد».

٣- دراسة النص

نجد أنّ «العهد» (بْ ر ي ث) الذي قطعه الله مع داود ينتمي إلى فئة «الوعد»، بالاختلاف مع العهد الموسوي الذي يتضمّن عنصر «الفرائض والواجبات». يحلف الربّ لداود بإنشاء سلالة له بدون أن يفرض عليه بطريقة صريحة الواجبات. يتضمّن الوعد لداود، كما نجده في نصّنا، بنداً تُحدّد فيه بوضوح طبيعة الهبة غير المشروطة: «أنا أثبّت عرش ملكه إلى الأبد... وإذا أثم أؤدّبه... وأمّا رحمتي فلا تنزع عنه» (آ ١٣-١٥). ويشير واينفيلد إلى «أنّ عبارة "رحمتي" (ح س دْ) في آ ١٥ تدلّ على "العهد" وتكون مرادفاً له في استعمالها في إطار "العهد" الإبراهيمي والداودي»[٥]. غير أنّ المؤلّف نفسه يزيد: «نلحظ أنّ الوعود لإبراهيم ولداود التي كانت في البدء غير مشروطة، أصبحت مرتبطة بشروط في حقبة لاحقة من تاريخ إسرائيل»[٦].

سنأخذ بعض العبارات الواردة في النص لتساعدنا على فهم الرواية، ولتكون بمثابة مفاتيح تفتح لنا المغالق لنتعمّق في معاني النبوءة. كما تحمل لنا هذه الكلمات في طيّاتها قيمة تختلف فيه اليوم عمّا كانت عليه في أيّام داود.

٣/أ- وعد الربّ بأن يبني لداود «بيتا» (بَ يْ ت) إلى الأبد. لا تعني كلمة «بيت» في البيبليا مكان السكنى فحسب، بل إنّها تدلّ أيضاً مجازياً على «العائلة» أو «الأهل والأولاد والعبيد» (رج تك ٧:١؛ ١٢:١٧؛ ٣٥:٢). كما تشير بعض الأحيان إلى العائلة بالمعنى الواسع الذي يتضمّن النسل أو العشيرة كلّها. تتكلّم البيليا على «بيت إسرائيل، وبيت يهوذا»، كما تدعو النصوص الآشوريّة مملكة إسرائيل «بيت عمري» فقط (بيت حُمري). يدلّ التعبير خصوصاً على نسل ملك وبالتالي على سلالته (رج ١ مل ١١:٣٨؛ ١٢:١٦؛ ١٣:٢). نجد في نبوءة ناتان تعارضاً على كلمة «بيت» (٢ صم ٧:٤-١٧// ١ أخ ١٧:٣-١٥). تُستعمل إذاً كلمة «بيت» من جهة لتدلّ على «الهيكل» الذي يريد داود أن يبنيه (٢ صم ٧:٥،١٣)، ومن جهة ثانية على «سلالة» داود التي وعد الله بإنشائها إلى الأبد (٢ صم ٧:١١، ١٦)[٧]. نستنتج من كلام ناتان أنّ الربّ سيؤمّن لداود سلالة تملك بعده على الدوام وباستقرار.

٣/ب- يضبط معنى «البيت» عبارة «الزرع» (زِ رَ ع) العبريّة التي نعرّبها بـ «من نسلك»، وهي تدلّ في البيبليا على «النسل» البشري في مفهومه الجماعي (رج تك ٣:١٥؛ ١٢:٧؛ ١٣:١٥)[٨]. وإذا أخذنا كلمة «زرع» في معناها الضيق، فهي تدلّ على «النسل» العائلي (رج عز ٢:٥٩) وخصوصاً على السلالة الملكيّة (رج ٢ مل ١١:١؛ كذلك التعبير الآشوري «زرع شارري» أي النسل الملوكي). يساعدنا ذلك على فَهْمِ أنّ الوعد الإلهي لداود في أن «يخرج زرعاً من أحشائه» يدلّ على أوّل شخص يأتي بعده، وبالتالي سليمان. غير أنّ الرابط الذي نجده بين «بيت» و «زرع» يشير علينا أن نرى في «زرع» ليس شخصاً فرديّاً أي باني الهيكل المستقبلي فحسب، بل السلالة المستقبليّة بكاملها. تتأكّد فكرة المعنى الجماعي بوضوح لأنّ الشخص

٥- M. Weinfeld, "Berith", in *TDOT*, II, 1977, 258.

٦- المرجع نفسه، ص ٢٧٢.

٧- H. Hoffner, "Bayt", in *TDOT*, II, 1977, 115.

٨- H. D. Preuss, "Zera", in *TDOT*, IV, 1980, 143-162.

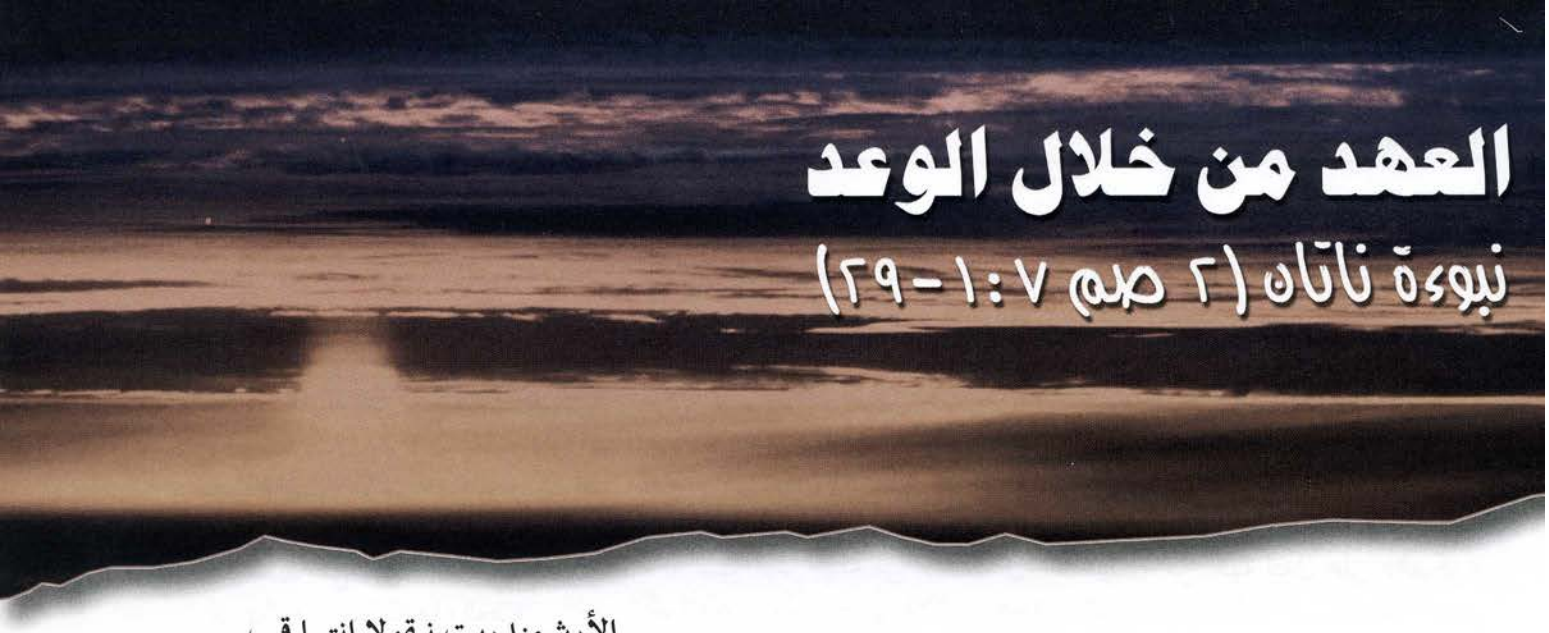

العهد من خلال الوعد

نبوءة ناتان (٢ صم ٧: ١-٢٩)

الأرشمندريت نيقولا انتيبا قب

مقدّمة

تتضمّن مجموعة فصول ٢ صم ٢–٨ فكرتين هامتين. يحتفظ الناشر أوّلاً، بالسياق التاريخي للأحداث التي وجدها ليصل إلى هدفه. فداود الهارب «وقاطع الطريق»[١]، والمطوّق بالفلسطينيّين وإسرائيل، يتبع طريقاً خاصّاً ليصل في نهايته إلى بناء مملكة نرى من خلالها تحقيق وعود الربّ في المستقبل البعيد. تتمحور الفكرة الثانية حول معرفتنا أنّ كلّ ما جاء حتّى الآن لم يأتِ نتيجة حظ أو مبادرات داود الشخصيّة وكفاءته، بل كان بالأحرى نتيجة موافقة من قبل الله (رج ٢ صم ٢: ١؛ ٥: ١٩، ٢٣؛ ٧: ٣؛ ٨: ٦، ١٤). لقد كُلّل عمل داود بالوعد الذي يتطلّع إلى الرجاء المسيحاني. يجعلنا هذا الإطار نعي أنّ ما قام به ناتان أتى في الوقت المناسب، أي عندما أصبحت أورشليم مركز البلاد السياسي والديني. وضع الناشر بالتالي عمل داود وقوّة شخصيّته في إطار المخطّط الإلهي الذي يتعدّى أرض فلسطين وزمن داود.

١– مناسبة النبوءة

تؤلّف هذه النبوءة التي تؤمّن سلطة السلالة الداوديّة الدائمة، نقطة الذروة في إطار فصول ٢ صم ٢–٨ وفي سفري صموئيل. لقد انطلقت من فكرة داود الذي عزم على أن يبني هيكلاً للربّ.

٢/أ– سكن داود في قصر فخم ابتناه في أورشليم، وبقي «تابوت يهوه» تحت الخيمة كما في زمن التجوال في الصحراء. فعظم في نظر الملك أن يبقى التابوت «ساكناً» تحت الخيمة. عرض الملك بالتالي فكرته على ناتان النبي، أحد مستشاريه[٢]. شجّع ناتان الملكَ داود على تحقيق هذه الفكرة معتمداً ليس على أحاسيسه وأفكاره وعواطفه فحسب، بل أيضاً على فكرة «إنّ الله معك» (آ ٣). غير أنّ الله أوحى «في الليل» لناتان مخطّطاً ثانياً وطلب إليه أن يطلع داود عليه. لن يبني داود نفسه الهيكل لله، بل يقوم شخص آخر من سلالته بهذا العمل. كان الباعث المباشر الذي تبنّاه ناتان أنّ الله لم يحصل على هيكل في زمن الخروج من مصر وفي عهد القضاة. يرى الكاتب ميشال سيمون في هذه النبوءة إدانة للعبادة وللهيكل من جهة الله عوضاً عن تأجيل بسيط لبناء صرح الهيكل[٣]. لكن البحث الكتابي اللاحق رفض هذه النظريّة الخاطئة. ويستطرد ادوارد كوتونيه بقوله: «إنّنا نبالغ عندما نقول إنّ النبوءة تنحصر في رفض بناء الهيكل. تسيطر مسألة السلالة الملكيّة على النظرة المستقبليّة في هذه النبوءة. غير أنّنا لا نقدر أن نهمل البُعد الأوّل والأهم الذي يتضمّن حريّة سيّد العهد وسموه. الذي لا يريد بدوره أن يبقى محصوراً في مكان واحد، ولكنّه يبدو سيّد المواهب الأوحد (رج عا ٥: ٢٥؛ إر ٧: ١–١٥)»[٤]. يريد الله من خلال هذا الرفض أن يحافظ على مبادرته الشخصيّة في العلاقات التي تربطه بإسرائيل. لا يترك الله بالتالي لنفسه بناء الهيكل في الزمن الذي يعيّنه فحسب، بل بأن يعظّم اسم الملك ويؤمّن الاستمرار للسلالة الداوديّة.

١– H. W. Hertzberg, ***1 and 2 Samuel,*** Old Testament Library, 1964.

٢– E. Cothenet, "Natan", in ***DBS*** VI, coll. 301-307.

٣– M. Simon, "La prophétie de Natan et le Temple", dans ***RHPR*** 32 (1952) 41-58.

٤– المرجع نفسه، ص ٣٠٦.

٢/ب- وإذا نظرنا إلى نبوءة ناتان بأكملها من خلال نظرتنا إلى فنّها الأدبي، نجدنا أمام رواية مبنيّة على تعارض كلمة «بيت» العبريّة التي تعني «بيت-هيكل» و «بيت-سلالة». لا يستطيع داود أن يبني «البيت» الإلهي (آ ٥)، ولكن الله سيبني «بيتاً» (آ ١١) إلى الأبد. يشدّد الله من جديد على تصرّفه المجّاني، ويخشى أن يهدّد داود مجّانيّة هذه العطيّة.

تحوي الآيات ١١ ج-١٦ جوهر الوعد الإلهي:

«سيجعلك يهوه عظيماً لأنّ يهوه سيقيم لك بيتاً.

وإذا تمّت أيّامك واضطجعت مع آبائك،

أقيم من يخلفك من نسلك الذي يخرج من صلبك، وأثبّت ملكه.

فهو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبّت عرش ملكه إلى الأبد.

أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.

وإذا أثم أؤدّبه بقضيب الناس وبضربات بني البشر.

وأمّا رحمتي فلا تنزع عنه، كما نزعتها عن شاول الذي أبعدته من أمام وجهك.

بل يكون بيتك وملكك ثابتين للأبد أمام وجهك، وعرشك يكون راسخاً للأبد».

٣- دراسة النص

نجد أنّ «العهد» (بْ ر ي ث) الذي قطعه الله مع داود ينتمي إلى فئة «الوعد»، بالاختلاف مع العهد الموسوي الذي يتضمّن عنصر «الفرائض والواجبات». يحلف الربّ لداود بإنشاء سلالة له بدون أن يفرض عليه بطريقة صريحة الواجبات. يتضمّن الوعد لداود، كما نجده في نصّنا، بنداً تُحدّد فيه بوضوح طبيعة الهبة غير المشروطة: «أنا أثبّت عرش ملكه إلى الأبد... وإذا أثم أؤدّبه... وأمّا رحمتي فلا تنزع عنه» (آ ١٣-١٥). ويشير واينفيلد إلى «أنّ عبارة "رحمتي" (ح سِ دْ) في آ ١٥ تدلّ على "العهد" وتكون مرادفاً له في استعمالها في إطار "العهد" الإبراهيمي والداودي»[٥]. غير أنّ المؤلّف نفسه يزيد: «نلحظ أنّ الوعود لإبراهيم ولداود التي كانت في البدء غير مشروطة، أصبحت مرتبطة بشروط في حقبة لاحقة من تاريخ إسرائيل»[٦].

سنأخذ بعض العبارات الواردة في النص لتساعدنا على فهم الرواية، ولتكون بمثابة مفاتيح تفتح لنا المغالق لنتعمّق في معاني النبوءة. كما تحمل لنا هذه الكلمات في طيّاتها قيمة تختلف فيه اليوم عمّا كانت عليه في أيّام داود.

٣/أ- وعد الربّ بأن يبني لداود «بيتا» (بَ يْ ت) إلى الأبد. لا تعني كلمة «بيت» في البيبليا مكان السكنى فحسب، بل إنّها تدلّ أيضاً مجازياً على «العائلة» أو «الأهل والأولاد والعبيد» (رج تك ٧:١؛ ١٢:١٧؛ ٣٥:٢). كما تشير بعض الأحيان إلى العائلة بالمعنى الواسع الذي يتضمّن النسل أو العشيرة كلّها. تتكلّم البيليا على «بيت إسرائيل، وبيت يهوذا»، كما تدعو النصوص الآشوريّة مملكة إسرائيل «بيت عمري» فقط (بيت حُمري). يدلّ التعبير خصوصاً على نسل ملك وبالتالي على سلالته (رج ١ مل ١١:٣٨؛ ١٢:١٦؛ ١٣:٢). نجد في نبوءة ناتان تعارضاً على كلمة «بيت» (٢ صم ٧:٤-١٧// ١ أخ ١٧:٣-١٥). تُستعمل إذاً كلمة «بيت» من جهة لتدلّ على «الهيكل» الذي يريد داود أن يبنيه (٢ صم ٧:٥،١٣)، ومن جهة ثانية على «سلالة» داود التي وعد الله بإنشائها إلى الأبد (٢ صم ٧:١١، ١٦)[٧]. نستنتج من كلام ناتان أنّ الربّ سيؤمّن لداود سلالة تملك بعده على الدوام وباستقرار.

٣/ب- يضبط معنى «البيت» عبارة «الزرع» (زِ رَ ع) العبريّة التي نعرّبها بـ «من نسلك»، وهي تدلّ في البيبليا على «النسل» البشري في مفهومه الجماعي (رج تك ٣:١٥؛ ١٢:٧؛ ١٣:١٥)[٨]. وإذا أخذنا كلمة «زرع» في معناها الضيق، فهي تدلّ على «النسل» العائلي (رج عز ٢:٥٩) وخصوصاً على السلالة الملكيّة (رج ٢ مل ١١:١؛ كذلك التعبير الآشوري «زرع شاررِي» أي النسل الملوكي). يساعدنا ذلك على فَهْمِ أنّ الوعد الإلهي لداود في أن «يخرج زرعاً من أحشائه» يدلّ على أوّل شخص يأتي بعده، وبالتالي سليمان. غير أنّ الرابط الذي نجده بين «بيت» و «زرع» يشير علينا أن نرى في «زرع» ليس شخصاً فرديّاً أي باني الهيكل المستقبلي فحسب، بل السلالة المستقبليّة بكاملها. تتأكّد فكرة المعنى الجماعي بوضوح لأنّ الشخص

٥- M. Weinfeld, "Berith", in *TDOT*, II, 1977, 258.

٦- المرجع نفسه، ص ٢٧٢.

٧- H. Hoffner, "Bayt", in *TDOT*, II, 1977, 115.

٨- H. D. Preuss, "Zera", in *TDOT*, IV, 1980, 143-162.

المقصود في النبوءة فَهِمَ العبارة بهذا المعنى، وبالتالي رفع صلاة شكر لله الذي أوحى إليه ووعده بمستقبل لنسله من بعده (رج آ ١٩).

٣/ج- نجد خصائص الروابط التي أقامها الله مع النسل الداودي في العبارة التالية: «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً» (آ ١٤أ). راجت فكرة الملك أنّه ابن طبيعي لله في العصور القديمة السامية والمصريّة واليونانيّة والرومانيّة. ثمّ سلّمت المدرسة الإنكليزيّة - السكندينافيّة بالنظريّة نفسها في إسرائيل. وبالرغم من الروحانيّة الإسرائيليّة التي كانت ترى في يهوه «الأبوّة» المثاليّة، فقد انتقد الأنبياء كثيراً وبقوّة فكرة البنوّة الإلهيّة بالمعنى الطبيعي والفيزيولوجي. يتكلّم إذاً العهد القديم، وكذلك في نصّنا، عن البنوّة بالمعنى المجازي. يعتبر الله جميع نسل داود كما لو كانوا أبناءه. أخذت بوادر هذه الأبوّة الإلهيّة تظهر عندما اختار الله شعبه وأسّسه واهتمّ بقيادته بمحبّة (رج تث ٦:٣٢؛ اش ٦:٤٣؛ ١٦:٦٣...). لقد عبّر داود نفسه عن إيمانه بهذه الأبوّة عندما ولد بكره وسمّاه «أبشالوم» (= أبي [الله] سلام)). يعتبر الملك الداودي بأنّ الله يشعر بأحاسيس أبويّة خاصّة تجاهه أكثر من أي صدّيق يهودي. يدلّ على ذلك التكريس للعظمة الملوكيّة بواسطة المسحة المقدّسة التي تجعل الملك شخصاً مقدّساً وغير ملموس. يجعله التكريس أهلاً للقيام ببعض الوظائف الهامّة (الحرب المقدّسة، العدالة)، وبالمحافظة على العبادة، كما يؤهّله في بعض المناسبات أن يقدّم المحرقات. نود التذكير فقط ببعض المزامير «المسيحانيّة» حيث يدعو الله الملك «ابنه» (مز ٢:٧؛ أيضاً رج «المزامير الملكيّة»).

٣/د- لا ينفك الله يكون أباً متطلّباً في مجال الأخلاق والعدالة والعبادة الحقّة. سيقاصص السلالة الداوديّة إذا ما اقترفت الإثم، وسيؤدّبها «بقضيب الناس وبضربات بني البشر» (آ ١٤ب). نجد أنّ الله لا يفرّق في تصرّفه بين السلالة الملكيّة وبين الشعب المختار. يعاقب الله السلالة الداوديّة عندما تخطأ، ولكنّه لا يرذلها، بقوّة العهد، كما فعل مع سلالة شاول. يظهر لنا العهد، على منوال العهود في العصور القديمة في الشرق الأدنى القديم، كهبة يعطيها الملك للشخص الذي يخدمه بإخلاص وأمانة. هكذا أعطى الله هبة الملكيّة لداود لأنّه خدمه بأمانة وإخلاص وصدق. هذا ما ردّده سليمان لله في الحلم: «أنت صنعتَ إلى عبدك داود أبي رحمة [حِ سِ دْ] عظيمة بحسب سلوكه أمامك بالحقّ والبرّ واستقامة القلب معك، وحفظتَ له تلك الرحمة [حِ سِ دْ] العظيمة» (١ مل ٦:٣). وهذا ما قاله أحيّا النبي باسم الربّ أمام امرأة يربعام في شأن هذا الأخير: «وانتزعتُ الملك من بيت داود وأعطيتكَ إيّاه، ولم تكن كعبدي داود الذي حفظ وصاياي وتبعني بكلّ قلبه ولم يعمل إلاّ ما هو قويم في عينيّ» (١ مل ١٤:٨). هذا الوعد «لا يبتعد» أو «لا يؤخذ»[٩]، بل سيبقى للأجيال المستقبليّة (رج آ ١٥). ستمتدّ «رحمة» [حِ سِ دْ] الله أي «العهد» إلى داود، وبالتالي إلى جميع الذين يأتون من سلالته (آ ١٥). يشدّد واينفلد على هذا الأمر ويقول: «يتضمّن هذا الوعد فكرة «المحافظة» على العهد لأجيال هذا العبد المخلص اللاحقة، لأنّه «رجل نعمة» كما ورد في مز ٨٩:٢٠»[١٠]. نزيد بالتالي على أنّ الملكيّة «الأرضيّة» أصبحت مقبولة في إسرائيل نتيجة «تسوية»، وهكذا فُهمت ملكيّة داود «كهبة» أعطيت له من الملك الأعظم. كذلك أصبح الملك والشعب معاً على المستوى نفسه «أتباع» الله، السيّد الحقيقي. هذا ما يشدّد عليه صموئيل عندما تخلّى عن السلطة لشاول: «... فإن أنتم اتقيتم الربّ وعبدتموه وسمعتم لقوله ولم تعصوا أمره واتبعتم الرب إلهكم، أنتم وملككم الذي يملك عليكم... وأنتم فاتقوا الربّ واعبدوه حقّاً من كلّ قلوبكم، لأنّكم ترون الأمر العظيم الذي صنعه عندكم» (١ صم ١٢:١٤، ٢٤).

٣/هـ- ستدوم السلالة الداوديّة إلى «الأبد» (عُ و لَ مْ). لا تدل كلمة «عُولَم» العبريّة بالضبط على الأبديّة، كما إنّها تتنافى مع الفكر اليوناني الذي يعبّر عن عدم الزمن وخارج الزمن. وإذا عدنا إلى دراسة أصول الكلمة، تعني «عُولَم» الشيء المخبأ»، وتدل على «مدّة غير محدّدة» باتّصالها بالزمن الحاضر. فهي تدلّ بالتالي على الماضي وعلى المستقبل دون أخذ هذه العبارات بمفهوم اليوم. هكذا الله وحده قادر على أن يضمّ في وجوده هذين الطرفين الزمنيّين ويملك من «عُولَم» إلى «عُولَم» (رج مز ٩٠:٢).

يبقى الله متسامياً بالنسبة إلى هذه المدّة المزدوجة: يحيا الإنسان في الزمن، ويحيا الله في الأزل. تشير بالتالي هذه اللفظة العبريّة إلى مدّة تفوق القياس

٩- رج معنى فعل «س و ر» العبري في الآية ١٥.
١٠- المرجع نفسه، ص ٢٧١.

البشري حيث يحيا الله «إلى الأبد»، وفي «دهر الدهور». استطاع الكتاب المقدّس بهذه الطريقة أن يوفّق بين فكرة التسامي الإلهي وبين تأكيد تدخّل الله في التاريخ، وتجنّب بذلك مأزقاً مزدوجاً: من ناحية، تأليه الزمن الإله «خْرُونُسْ» اليوناني، ومن ناحية ثانية، إنكار كل معنى للزمن إزاء الله[١١].

قد تعود هذه العبارة إلى أصل ساميّ من الشرق القديم، وكانت تستعمل في أسلوب البلاطات الملكيّة. ونجدها في هذا المعنى بالذات مكرّرة خمس مرّات ومشدّداً عليها في الصلاة (آ ٢٤–٢٩) التي يرفعها داود ليشكر الربّ لأنّه تكلّم عن بيت عبده «للأبد» (آ ٢٩). نؤكّد بعد ذاك أنّ النبوءة لا تتكلّم عن الخلف المباشر فقط، أي سليمان الذي سيبني الهيكل للربّ، بل أنّها تتعدّاه إلى جميع السلالة الداوديّة التي منها سيخرج المشيح.

٤ – «قراءة جديدة»[١٢]

غدت نبوءة ناتان نقطة الانطلاق لفكرة المسيحانيّة المرتبطة بالسلالة الملكيّة[١٣]. فأصبح من غير المعقول أن لا يتعرّض إلى دراسة هذه النبوءة ناشرو سائر الأسفار الكتابيّة وأن يتوسّعوا في الموضوع حتّى يتكيّف مع الظروف التاريخيّة.

٤.أ– نجد بقايا هذا التكييف في الفصل نفسه من ٢ صم ٧. لقد غاب تماماً الشكل السياسي الذي طُبعت به النبوءة في البداية عندما تنبّأ ناتان بها. يعتبر الأب رولان دو ڤو (R. de Vaux) وبعض المفسّرين أنّ الآية «فهو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبت عرش ملكه للأبد»[١٣]، تشير إلى سليمان، وبالتالي يعدّونها إضافة متأخّرة، ويشدّدون على أنّ «أصل» المقطع يعود إلى ما ورد في سفر الأخبار الأوّل ١٧:٧–١٤[١٤].

أراد المؤرّخ الكهنوتي أو ناشر أسفار الأخبار أن يوضح بأنّ الله سيحصل على بيت في أورشليم، غير أنّ محقّق هذا المشروع لن يكون داود. يقول بولس الفغالي: «فالمشروع هو مشروع الله، لا مشروع داود، والله هو من يحقّق هذا المشروع، لا داود، وهو يحقّقه ساعة يشاء وبيد من يشاء. نقرأ ذلك من صيغة النفي في ١ أخ: «لا تبني لي أنت بيتاً للسكنى» (آ ٤)»[١٥].

كذلك، يتكلّم المؤرّخ الكهنوتي عن ابن لداود (آ ١١)، وبالتالي عن سليمان الذي سيبني الهيكل. غير أنّ صورة هذا الابن لن تكون فقط شخص سليمان ككائن بشري خليفة داود. يقول ميكائيلي: «ستكون هذه الشخصيّة صورة للملك المسيحاني الذي يمشي دائماً في طاعة الله. سليمان هو الملك المثالي الذي فيه تحقّقت فكرة «السيطرة الإلهيّة»[١٦]. لقد أوجز بُعد النبوءة الاسكتولوجي إلى حدٍّ شدّد فيه على أهميّة خلف داود المباشر. هذا ما دعا المؤرّخ إلى أن يحذف من نصّه فكرة التهديد الإلهي حول إمكانيّة سوء السلوك عند أحد الخلفاء الداوديّين الواردة في ٢ صم ٧:١٤: «وإذا أثم أؤدّبه بقضيب الناس وبضربات بني البشر». فالملك المسيحاني، سيكون بحسب قلب الرب، ولا يمكنه أن يعصى أوامره، فلا يحتاج إلى تأديب.

وبدّل كذلك الآية التي يقول فيها الله لداود: «يكون بيتك وملكك ثابتين للأبد أمام وجهك» (٢ صم ٧:١٦)، وقد أصبحت «وأقيمه في بيتي وفي ملكي للأبد» (١ أخ ١٧:١٤). تكمن فكرة سفر الأخبار في «أنّ الله هو الذي يملك إلى الأبد في بيته (الهيكل، أو شعبه)، وأنّ الملك الذي من نسل داود يكون ممثّلاً له على العرش في أورشليم»[١٧]. جعل هذا التحويل الأخير ملك داود وبيته في ٢ صم إلى ملك الله وبيته. إنّ قول النبي ناتان يعلن سليمان شخصاً يملك إلى الأبد على عرش داود، فينعم بالوعد الذي أعطاه الله لداود. لم يعد هناك بالتالي بين الله والسلالة الداوديّة عهد وشركة فحسب، بل أصبحت وحدة صحيحة

١١– رج G. Pidoux, "La notion biblique du temps", dans ***RTPH*** 3 (1952) 120-123 الذي يعتبر أنّ فكرة أبديّتنا تدخل في الإطار البيبلي، مع أنّ الكتاب المقدّس لا يعبّر عنها بصراحة؛ رج أيضاً كتاب O. Cullman, ***Cristo e il tempo,*** Bologna 1965 ؛ رج أيضاً عبارة «زمن» في **معجم اللاهوت الكتابي**، دار المشرق، بيروت ١٩٩١، ص ٣٩٥–٣٩٦.

١٢– نأخذ هذه العبارة "Relecture"، عن A. Gelin .

١٣– رج J. L. McKenzie, "Aspetti del pensiero del Vecchio Testamento", in ***Grande Commentario biblico***, Brescia 1974, p. 1818 .

١٤– رج عن التنظيم في المملكة R. De Vaux, ***Les institutions de l'Ancien Testament,*** 2 voll., Paris 1958-60
وأيضاً H. Van Den Bussche, "Le texte de la prophétie de Nathan sur la dynastie davidique", ***ETL*** 24 (1948) 354-395

١٥– بولس الفغالي، **التاريخ الكهنوتي**، المجموعة الكتابيّة ٦، ١٩٩٣، ص ٨٣؛ رج أيضاً
F. Michaeli, ***Les livres des Chroniques, d'Esdras et de Néhémie,*** Neuchâtel 1967, pp. 100-102

١٦– المرجع نفسه، ص ١٠١.

١٧– المرجع نفسه، ص ١٠١–١٠٢.

قويّة. إنّ صورة داود الممتدّة إلى المستقبل مثل الملك الأبدي من خلال نسله هي موضوع «وعد» الرب. يسهل علينا أن نعي الآن أنّنا بصدد فكرة المسيحانيّة المتأخّرة والمتطوّرة.

٤/ب- نجد أيضاً صياغات جديدة لهذه النبوءة في (مز ٨٩: ٢٠-٣٨؛ رج مز ١٣٢: ١١-١٢). يرى البحاثة الكتابيّون أنّ آيات مز ٨٩: ٢٠-٣٨ ما هي إلاّ توسيع للفكرة التي تكلّم عليها ٢ صم ٧ والتي تتضمّن بعض الامتيازات الملكيّة: «المسحة بالزيت» (آ ٢١)، «الحماية الإلهيّة» (آ ٢٢)، «تأمين النصر لشخص الملك ولسلالته» (آ ٢٣-٢٦)، «وضع الابن بالتبنّي» (آ ٢٧-٢٨)...[١٨].

لا يستطيع أحد أن ينكر هذا الوعد الأساسي. تلعب كلمة «أمانة» (أَ مُ و نَ هْ) العبريّة دوراً هامّاً وتتكرّر مرّات عديدة في هذا المقطع المزموري، ممّا جعل بولس الفغالي يعطي هذا المزمور عنواناً «أمانة الربّ»[١٩]. تشير آ ٣١-٣٨، من جهة ثانية، إلى أنّ فكرة تأديب خلف غير صالح لداود تدخل في إطار «العهد» الأبدي الذي قطعه الله مع داود. نجدنا هنا من جديد في إطار ٢ صم ٧: ١٤ الذي يتكلّم على «الضربات» والذي يختلف عن إطار ١ أخ[١٧].

غير أنّ الله لا يتنازل عن «عهده» (آ ٣٥؛ رج أيضاً كلمة «رحمتي»)، ولا يستطيع أي حدث مهما كان عظيماً أن يبطله. نلحظ في آ ٣٤-٣٥ صيغة «النفي»: «لا أقطع... ولا أخون... لا أنتهك... ولا أغيّر...». يبقى الله أميناً على هذا العهد حتّى وإن خانه أبناء داود. يشدّد صاحب المزامير في هذا المزمور على فكرة «القسم» (آ ٤، ٣٦؛ رج أيضاً مز ١٣٢: ١١-١٢). كما نلحظ أنّ مز ٨٩ يستعمل عبارات أساسيّة هامّة كثل «أمانة»، «قطع»، «رحمة»، «قسم»، ترتبط كلّها «بالعهد». يقول كراوس: «لقد نصّب العهد مع داود حكام بيته الأرضيّين ممثّلين لحكم يهوه الشامل»[٢٠].

٥- أهميّة القول النبوي

تضعنا هذه النبوءة في اتجاه تاريخ الخلاص العظيم إذ إنّه يُدخل في العهد المقطوع بين الله وشعبه، عهداً جديداً. اعتبر الحكماء الإسرائيليّون في القديم أنّ الملكيّة ابتعاد مخطئ عن إرادة الله (رج ١ صم ٨: ٥، ٢٠). ولكنّهم فهموا الآن، بعد أن تدخّل الله بطريقته الخاصّة، أنّها «هبة» وأنّها أداة خلاص. نشأ من جرّاء ذلك تيّار مسيحاني جديد مرتبط بالسلالة الداوديّة الملكيّة ليؤمن لها الاستمرار والنمو من خلال ملك مثالي يأخذ على عاتقه أن يكمّل العهد بين الله وشعبه. كذلك عرفت هذه الفكرة المسيحانيّة تطوّراً هامّاً في تاريخ الشعب العبري عند الأنبياء وكتبة المزامير[٢١].

يعلن العهد الجديد أنّ يسوع هو «بكر» داود الذي تمّت فيه جميع وعود الله. هذا ما ردّده بولس في عظته في أنطاكية بسيدية: «... ومن نسله (داود) أتى الله إسرائيلَ بمخلصٍ هو يسوع، وفقاً لوعده» (أع ١٣: ٢٣؛ رج لو ١: ٣٢-٣٣). يأخذ الوعد لداود كلّ أهميّته في استعمال عبارة «أمانة». أجل، في قيامة يسوع المسيح تمّت جميع النبوءات المتعلّقة بداود في العهد القديم. كذلك يقول بولس: «... تلك البشارة التي سبق أن وعد (الله) بها على ألسنة أنبيائه في الكتب المقدّسة، في شأن ابنه الذي وُلد من نسل داود... وجُعل ابن الله... بقيامته من بين الأموات...» (روم ١: ٢-٤).

٦- خاتمة

إنّ انتظار الشعب العبري الذي تأسّس على وعد ٢ صم ٧: ١٢، ظلّ حيّاً في القرن الأوّل المسيحي. سيستشهد كاتب الرسالة إلى العبرانيّين بهذه النبوءة ويقول إنّ هذا الوعد قد تَمَّ في مجيء يسوع الذي هو ابن الله وابن داود (عب ١: ٥). وفي تشديده على شخص يسوع، الملك المسيحاني، يعلي الكاتب من شأن نبوءة ناتان، وينظر إلى العهد الجديد الذي قطعه الله مع شعبه كما تنبّأ به إرميا: «ستأتي أيّام يقول الربّ: أقيم من نسل داود ملكاً صالحاً، يملك ويكون حكيماً ويجري الحقّ والعدل في الأرض» (٢٣: ٥)[٢٢]. لا يزال شعب الله يتشكّى في مسيرته على هذه الأرض من الصعوبات والحواجز الكثيرة. وهو يقف حائراً ومتسائلاً: هل يستطيع الله أن ينسى «رحمته» وينقض «عهده»؟ هل يستطيع هو أن يستند إلى «أمانة» الله ويثق «بالوعد» الذي حصل له في شخص المسيح؟

١٨- رج E. Lipinski, ***Le poème royal du Ps. 89, 1-5, 20-38,*** Paris 1967 ؛
وأيضاً R. E. Murphy, "Salmi", in ***Grande commentario biblico,*** Brescia 1974, P. 756
١٩- بولس الفغالي، **أنشدوا للربّ نشيداً جديداً. المزامير ٥١-١٠٠**، القراءة الربّيّة ١٠، الرابطة الكتابيّة ١٩٩٨، ص ١٧٨.
٢٠- H. J. Kraus, ***Psalms 60-150, A Commentary,*** Augsburg 1989, p. 211 .
٢١- رج المقال الهام A. Gelin, "Messianisme", in ***DBS,*** V, Paris 1957, coll. 1165-1212 .
٢٢- رج أيضاً عن المسيحانيّة الملكيّة في العهد الجديد
A. Descamps, "Le Messianisme royal dans le NT", in ***L'attente du Messie,*** Paris 1954, pp. 57-84.

ناتان النبي وداود الملك

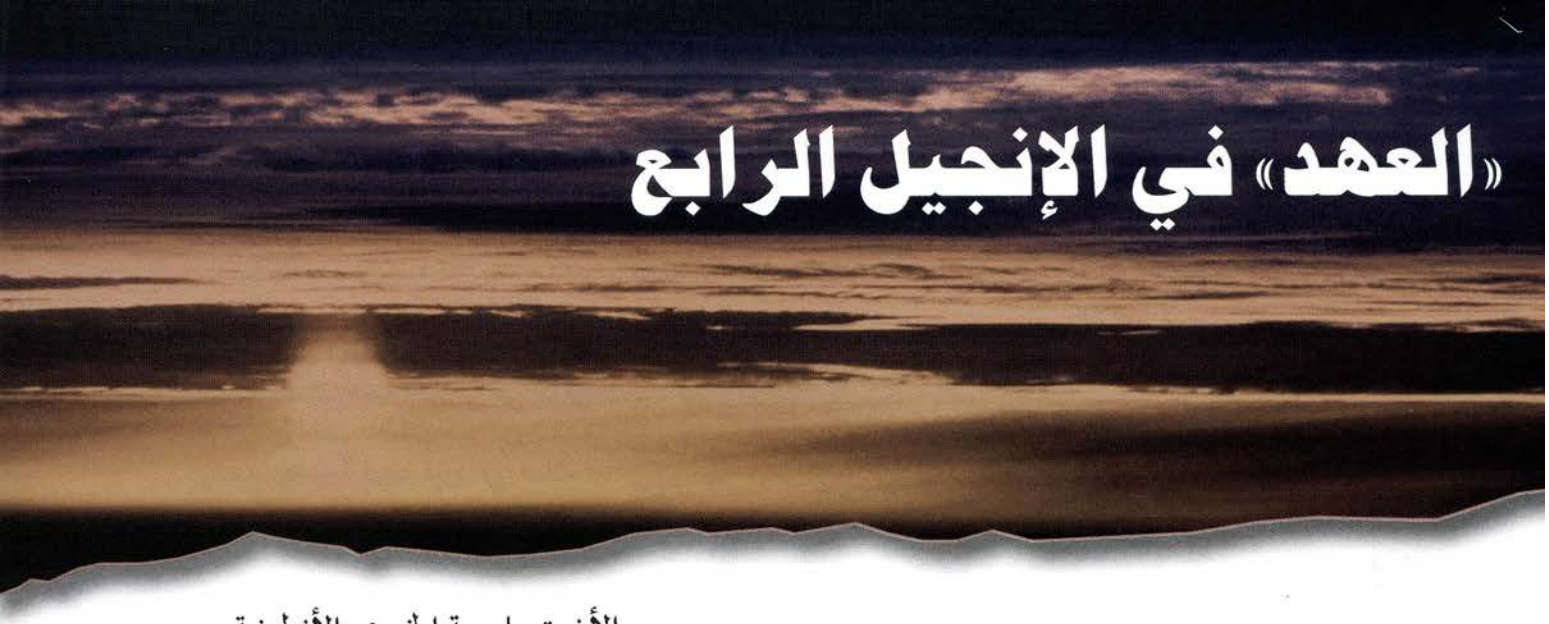

«العهد» في الإنجيل الرابع

الأخت باسمة الخوري الأنطونية

إنّ للخلاص بيسوع المسيح تاريخاً تحضيريّاً إعداديّاً؛ فهو ليس عقيدة وإيماناً نتناقله وحسب، لكنه قصة نخبرها ومسلسل أحداث في حياة شعب إسرائيل. فالخلاص قصة واقعية، قصة يجاهد فيها شعب الله وينتظم ليحيا، يخاطر من أجل إيمانه، ويميّز يد الله من خلال كل الأحداث. من خلال قصة حياته. اختبر إسرائيل أن الله يختاره ويقوده. إن ايمان شعب إسرائيل بعيد كل البعد عن ان يكون لائحة بالعقائد التي يجب أن يؤمن بها؛ انه قصة يندهش أمامها من جيل الى جيل: «تقول لابنك: إننا كنا عبيداً لفرعون في مصر، لكن الله أخرجنا من مصر بيد قوية؛ لقد صنع الله آياتٍ وخوارقَ عظيمةً وهائلةً بمصرَ وبفرعونَ وكلِّ بيتِه امام عيوننا، وأخرجنا من هناك ليدخلنا ويعطينا الأرض التي حلف عليها لآبائنا» (تث ٦:٢١–٢٣ ؛ رج ٢٦:٥–١٠). تذكّر إسرائيل حدث الخلاص هذا في كل حقبة من تاريخه وخاصة في الأوقات الصعبة؛ فالحدث الخلاصي كما اختبره شعب الكتاب المقدس يحوي وجهين متلازمين :

إخراج من أرض العبودية... وإدخال في أرض الموعد
تخليص الشعب من أيدي المصريين... وإيداعه بيد الرب
عبور من عبودية فرعون... إلى خدمة الرب.

فلو ان الرب أخرج شعبه ليموت في الصحراء، لما كان الخلاص خلاصاً؛ لذلك فهم الشعب عمل الله الخلاصي كخروج من مصر، من جهة، وسيطرة على أمواج البحر ونصر على غطرسة الفرعون، من جهة ثانية، وكمسيرة في الصحراء، وعهد على الجبل المقدس، ودخول عبر الأردن إلى الأرض الموعودة من جهة أخرى. إن الخلاص هو مسيرة **تحرير وظهور وعهد** يشكّل الله بدايتها ونهايتها.

الخلاص هو **تحرير**، أي نصر على الشر وقوى الموت الواقعية؛ إنه تحرير من الظلم بحيث يصبح المحرَّر محرِّراً للآخرين (خر ٢٣:٩). والخلاص هو أيضا **ظهور** الله بالعمل المحرِّر وبالكلمة: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من منزل العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى سواي» (خر ٢٠:٢–٣). فمن خلال تدخّله في التاريخ يكشف الله عن ذاته، بحيث نصبح قادرين على تسميته «الله الذي ...»، بالعودة إلى تاريخ وعلاقات: «إله أبيك، إله ابراهيم واسحق ويعقوب» (خر ٣:٦) فمن خلال تدخّله بالتاريخ، عرف الشعب الله الذي كشف عن ذاته كإله اليوم، لأنه إله الأمس «إله أبيك»، وإله الغد «أكون معك» (خر ٣:١٢ و ١٤). لكن هذا الكشف أوضح في الوقت عينه أن الله لا يُسبر، وأنه لم يعرَف قط بشكل كامل، لا من خلال حدث التحرير، ولا من خلال عطية الأرض، ولا من خلال عطية شريعة سيناء : ان العطيّة مفتوحة دوماً نحو الأكثر. الله يفتح المستقبل أمام من يرتبط به. فالخلاص هو أيضا **عهد**، وهو ما يشكل العنصر الاساسي في خبرة الخلاص. ان العهد هو أساس التحرير وثمرته. فإن حرَّر الله إسرائيل فذلك لأن إسرائيل هو شعبه، ولكي يكون شعبه : «إن كان السيد قد تعلّق بكم واختاركم، فلا لأنكم أهمّ من جميع الشعوب، فأنتم أقلها، بل لمحبته ومحافظته على اليمين التي حلفها لآبائكم، فأخرجكم بيد قديرة وفداكم من دار العبودية، من قبضة فرعون ملك مصر» (خر ٧:٦–٨)[1].

١– ان اختيار الله المجاني متجذّر أكثر من خبرة العبودية: «لقد رأيت مذلّة شعبي» (خر ٣:٧). منذ قبل عبودية إسرائيل في مصر، كان الله يحبه: «يوم كان إسرائيل فتى أحببته، ومن مصر دعوت ابني» (هو ١١:١). فالله لم يحببه ويخلّصه لأنه عبد، بل لأنه شعبه حتى أثناء عبوديته.

والعهد هو في الوقت عينه هدف التحرير : «أنا أخرجكم...وأنقذكم... وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها» (خر ٦:٦-٧). إن أهمية الخلاص هي إذاً في الارتباط الجديد الذي سيتم بين الله وشعبه. هذا ما فهمه داود في صلاته: «أيّة أمّة في الأرض مثل شعبك بني إسرائيل الذين اخترتهم لنفسك شعباً، وجعلت لهم اسماً، وعملت لهم تلك الأعمال العظيمة الهائلة... لتجعلهم شعباً لك إلى الأبد» (٢ صم ٧:٢٣). فالتحرير والنصر على الشر لا معنى لهما إلا من خلال **العلاقة** مع الله المحرّر.

يقدّم الرب لنا إذاً صداقته. يريد ان يقودنا الى حياة شراكة معه : هذا هو معنى كلمة عهد في الكتاب المقدس. إنه تعبير عن العقد الذي حققه الله بكلمته وبأعماله الخلاصيّة. لقد خلّص الله شعبه من مصر وارتبط معهم بعهد في سيناء، فأعطاهم شريعته والتزم الشعب بحفظها، فأصبح العهد هو الإطار الذي لا حياة لإسرائيل خارجاً عنه، وإن خرج منه يختنق[٢]. وقد سمّي الأنبياء «حافظي العهد» لأنهم أخذوا على عاتقهم مسؤولية التذكير الدائم بما يفرضه هذا العهد، لأنهم علموا أن حياة الشعب متعلّقة بأمانته[٣]. في أثناء العشاء الأخير ختم يسوع هذا العهد الجديد بشكل أبدي بدمه، فتأكدنا من أن رغبة الله في تحقيق الشراكة مع البشر قد تحققت ونجحت أخيراً.

العهد في إنجيل يوحنا

تأخذ هذه العلاقة بين الله والمؤمنين المكان الأوسع والأهم في الإنجيل الرابع. فإن كانت كلمة «عهد» لا ترد أبداً عند يوحنا، فإن مضمون هذه العبارة يشكّل جوهر إنجيله. فإنجيل يوحنا هو إنجيل العهد الجديد، إنجيل العلاقة الجديدة بين الله وشعبه، من خلال يسوع ابنه الذي حقق هذا العهد باسم أبيه الذي أرسله. فإن كان الخلاص هو تحرير وظهور وعهد، فإن يسوع قد حقق ذلك بشكل كامل. لقد حُرِّر شعب الله من سيادة «أمير هذا العالم»، وكشف الآب للمؤمنين: «من رآني فقد رأى الآب»، وأبرم عهد الحياة الجديدة مع الله لكل من آمن به وبمن أرسله. لقد قام يسوع بعمل أبيه فَتَمَّمَهُ بشكل كامل ؛ بل إن الله هو مَن تمّم عهده مع شعبه بواسطة ابنه، وبدوره أرسل يسوع رسول الآب رسلاً يكملون ما حقّقه بنفسه.

هذا ما نفهمه من الصورة التي يعطيها الإنجيل الرابع للعهد، فنستطيع بالتالي أن نلخّص فكرة العهد بالنسبة إلى الإنجيل اليوحنوي بنقطتين أساسيتين :

١- إن يسوع يحقق خلاص الله لأنه هو والآب واحد : إنّه يحقق عهد الله ويعطي الحياة؛

٢- إن رسل يسوع يكملون عمل الخلاص لأن يسوع وضع هذا العمل بعهدتهم.

الآب والابن واحد ... الابن يحقق خلاص الآب

الآب والابن واحد

لا يهتم يوحنا إلاّ بالبعد الكريستولوجي للخلاص، وهو بعد لا يشترط إلاّ الإيمان (يو٣:١٦-١٨، ٣٦). فلم يتوسّع بأهمية الشروط التحضيرية المتمثّلة بالشريعة الموسوية، وكمال المحبة، كما عند الإزائيين (متّى ١٩:١٧-٢٢ ؛ مر ١٠:١٨-٢٢ ؛ لو ١٨:١٩-٢٣)، فالشريعة الموسوية تبدو عنده وكأن الزمن قد تخطّاها، «لأن الله أعطانا بموسى الشريعة، وأما بيسوع المسيح فقد وهبنا النعمة والحق» (يو١:١٧). فإن كان هناك من وصية للتلاميذ فهي المحبة المتبادلة ، لكن ذلك لا يعني أنّ المحبة شرط للخلاص بل كشف عن هوية التلاميذ (يو١٣:٣٥)، أي عن الايمان بالابن، رسول الآب.

منذ الآية الاولى يؤكد يوحنا وحدة الآب والابن، دون أن يقع في خطر ذوبان الواحد بالآخر. لكنها وحدة تسمح بالتمييز ضمن الوحدة. إنها بالأحرى وحدة التبادل تعبير عن أن الآب **في** الابن والابن **في** الآب[٤]؛ فالشراكة بينهما هي إذاً متبادلة، يظهرها الإنجيلي من خلال فكرة وحدة الآب والابن: « انا والآب واحد» (يو

٢- لقد عاش هذا الشعب دائما في خطر كبير ناجم عن عدم فهمه الكافي لجوهر العهد. فقد اعتقد أحيانا أن عهد الله معه هو السعادة المرجوّة ـ وقد فهمها بشكل مادي : السكن في أرض كنعان ـ هي حقّ له بسبب حسن سلوكه، في حين ان عهد الله معه ليس سوى عطيّة مجانية من الخالق المخلّص.

٣- لقد اتّخذت فكرة الأنبياء التي أكملها الحكماء خطّين : نظرة الى الماضي لفهم كل أبعاد العهد، فربط بعضهم عهد سيناء بالوعد الذي لإبراهيم، في حين ربطها الآخر بنوح ليطال العهد كل شعوب الأرض؛ ونظرة الى المستقبل بحيث فهموا ان الشعب قد خان العهد مراراً، وأن الله سيقاصصه، ولكن لا ليميته بل ليطهّره ويقوده إلى شراكة جديدة. لقد رأوا أن الله سيعقد مع شعبه عهداً جديداً. تكلم هوشع عن هذا العهد الجديد كخطبة جديدة بين الله وشعبه؛ ويعلن إرميا أن الله سيكتب شريعته في قلب البشر؛ ويخبر حزقيال كيفية ذلك: يضع الله روحه في قلبنا؛ وبحسب إشعيا الثاني سيكون ذلك عمل يهوه الذي سيحقق هذا العهد لكل الشعوب.

٤- ومن اللافت عند يوحنا طريقته في فهم علاقة الآب بالابن، والابن بالآب، من جهة، وعلاقة الابن بالمؤمنين، والمؤمنون بالآب، من جهة ثانية. فالغريب في الأمر أنّ يوحنا، للتعبير عن هاتين العلاقتين، يستعمل حرفاً يونانيّاً واحداً، هو ἐν المترجم بالعربية بحرف الجرّ «في».

١٠:٣٠)، و«من رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤ :٩).

إن ارسال يسوع إلى العالم هو إرسال لسفير، لممثل شخصي منتدب لإيصال رسالة ما أو لتحقيق عمل ما باسم المرسِل. ويعلن الإنجيل الرابع أن يسوع هو ابن الله (الوحيد) الذي في يده السلطة الكاملة، بحيث يستطيع أن يمثّل الآب في كل الأعمال التي تخص ملكه. هذا ما يظهر من العلاقة بين فكرة الإرسال ولقب الابن: ابن الله في الإنجيل الرابع (رج ١٧:٣، ٣٤–٣٥؛ ٢٣:٥؛ ٣٦:١٠). إن يسوع هو الابن الوحيد (يو٣:١٦)، الذي يملك السلطة على كل ملك الآب (يو٣:٣٥)، والذي يحلّ فيه الروح بدون حساب (يو٣:٣٤). وقد أرسله الله إلى العالم متسلّحاً بهذه السلطة، من أجل رسالة واضحة هي خلاص العالم (يو٣:١٧)، وذلك بأن يجعل من الناس أبناء لله، واحداً مع الابن، ومع الآب، ومع بعضهم بعضاً، فيحصلوا بالتالي على الحياة (يو١٧ :٢–٤ت).

ونستطيع بالفعل أن نفهم هذا من خلال الشرائع اليهودية، التي كانت تعتبر حضور الرسول وعمله كحضور المرسِل نفسه وعمله، كما يؤكّد التلمود: **שליחו שלאדם כמותו**، أي: «رسول الشخص كأنه ذاته». فعمل الرسول قائم اذاً باسم المرسِل. وبالتالي فإن المرسِل هو الذي يعمل برسوله. وبالفعل، فإن يسوع يؤكّد ذلك في يو ١٢:٤٤ قائلاً: «من آمن بي فليس بي يؤمن بل بمن أرسلني». وفي ١٣:٢٠ يعلن بأن «من يقبلني يقبل الذي أرسلني»؛ وفي ٥:٢٣ يقول بأنه يجب تمجيد الابن كما يمجّد الآب الذي أرسله، وبأن «من أبغضني أبغض أبي» (يو ١٥:٢٣). وهذا ما يشدّد عليه يوحنا بإعلانه أن وحدة العمل بين المرسِل والرسول تترجم وحدتهما: «ألا تؤمن بأني في أبي وأن أبي فيّ؟ إن الكلام الذي أقوله لكم لا أقوله من عندي بل الآب المقيم فيّ يعمل أعماله» (يو ١٤:١٠).

الابن يحقق خلاص الآب

يدعونا يوحنا من خلال كل الإنجيل لنميّز عمل الآب وراء أعمال يسوع وأقواله. فالله يتجلّى بابنه القادر على أن يؤكّد بأن «من رآني فقد رأى الآب» (يو١٤:٩)، وأنّ «الابن لا يفعل شيئا من عنده، بل يعمل ما رأى الآب يعمله»، فيعلن بكل وضوح أنّ الله أرسل الابن «ليخلّص العالم» (يو ٣:١٧). فبكونه ممثلاً للآب يجب على الابن أن يدخل في العلاقة التي تربط الآب بالعالم. عليه أن يملك كل حقوق الله على العالم، وهي حقوق أخذها من خالق العالم وحاكمه ومخلّصه. لقد وضع الله هذه الحقوق بين يدي الابن (٣:٣٥؛ ١٣:٣)، مما يعني أن الابن قادر على إعطاء الحياة وعلى الحكم (٥:٢١–٢٢، ٢٦–٢٧ ؛ ١٠:٢٨–٢٩). من هذا المنطلق نفهم أن يسوع قد نال المجد (١٧:٥، ٢٤، ٢٢)، كما نال اسم الله (١٧:١١–١٢). لقد أعطى الله البشر ليسوع (رج ٦:٣٨، ٣٦–٤٤، ٤٠ ؛ ١٠:٢٨–٢٩؛ ١٧:٦–٧). وأعطي يسوع السلطة على كل بشر كي يعطي الحياة لمن وهبهم له الله (١٧:٢). وعليه فإن يسوع قادر على طلب ما يخصّه. هذا ما يعبّر عنه يوحنا بقوله: «اليوم دينونة هذا العالم. اليوم يطرد سيّد هذا العالم، وأنا متى ارتفعت من هذه الأرض جذبت إليه الكل» (يو ١٢:٣١–٣٢). لقد ربح رسول الله معركة السيادة على العالم، فملك على ما يعود إليه، ومن خلاله بسط الله ملكه على ما هو له. نعم لقد نجح يسوع بجذب خاصته من دائرة عدو الله الذي يحكم الله ما تاق إليه كل العهد القديم (اش ١١:١٢ت؛ ٤٩:٥ت، ٢٢؛ ٥٦:٣–٨؛ ار ٢٣:٣؛ ٣١:٣١؛ با ٤:٣٧ ت؛ حز ١١:١٧؛ ٢٠:٣٤؛ ٢٨:٢٥؛ ١٢:٣٤، ١٦؛ مي ٢:١٢؛ ٤:٦؛ طو ١٣:٥)، وفي ذلك امتداد لما يعلنه يوحنا: «ولي خراف أخرى» (يو١٠:١٦) و «أبناء الله المشتتين» (يو١١:٥٢)، مع التشديد على شمولية عمل يسوع[٥].

إن كل تقرّب من يسوع لا بد وأن يمرّ بالايمان، ففعل **جذب** يرمز إذاً إلى موقف الإيمان، ولكن في هذه الصورة عودة إلى فكرة العهد وتتميم الخلاص. نحن نعرف أنّ ارتفاع يسوع هو دينونة العالم (١٢:٣١)، وهذا يعني أنّ هذا العمل، الذي كان من المفترض تقليديّاً أن يتم عند مجيء ابن الانسان الثاني، قد تحقق نهائيّاً عند ارتفاع ابن الانسان. إن ارتفاع يسوع هو الحُكم الذي يعلن انتصار يسوع في مسألة السلطة على البشر، في حين أن عدوّه (سيّد هذا العالم) قد خسر كل حقّ بالمطالبة. إنّ ارتفاع يسوع كعلامة لتتويجه وتمجيده، هو أيضا خلع وطرد لسيّد هذا العالم، بحيث أصبح بإمكان البشر أن تكون لهم حريّة اختيار الايمان بيسوع القادر أن يجذب إليه الكل. لقد نجح يسوع بتتميم الرسالة التي

٥– لكن هذا يجب أن يرتبط بـ ٦:٤٤: «لا يستطيع أحد أن يأتي إليّ إن لم يجذبه الآب». فالمجيء إلى يسوع (الإيمان به) متعلّق بمبادرة الله الآب؛ إن هذا الجذب هو عمل الآب (٦:٤٤) والابن (١٢:٣٢) معاً: إن الآب يجذب البشر بيسوع.

أوفده الآب لأجلها. فمن يؤمن بأن يسوع هو رسول الآب يصبح «من فوق»، فيستطيع بالتالي أن يتبع يسوع حيث يذهب (٨:٢١-٣٠)، فينال الحياة.

صعوبة قبول هذا الخلاص

في لقاء يسوع مع نيقوديمس، نفهم الصعوبة التي واجهها شعب العهد القديم في قبول خلاص الله لا بواسطة نبي، بل بواسطة ابن الله الكلي السلطة، القادر على أن يتكلم ويعمل بسلطة الله شخصياً لخلاص العالم (٣:١٦-١٨). فقد كان على نيقوديمس أن يختار بين المعرفة التي يملكها من تفسيره للكتب ومن التقاليد التي ترجع الى موسى (رج ٩:٢٨-٢٩أ)، وبين تأكيد يسوع (٣:١١) الذي يفسّر الكتب (٣:١٤-١٥)، لكن سلطته غير معترف بها من قبل اليهود (٧:١٥، ٤٧-٤٩؛ ٩:٢٩ب).

لم ير نيقوديمس في يسوع إلا معلماً مثله، وقد أتى ليختبر معرفته، لكن يسوع يعلن أن كلمته ليست كلمة معلم ملهم، بل هي كلمة تتخطّى كلام موسى، لأن أحداً لم يصعد إلى السماء ليعرف الأسرار السماوية. إنّ كلمة يسوع هي أسمى من كلام موسى الذي لم يصعد أبداً إلى السماء (٣:١٢-١٣). ليست المعرفة الحقّة في كلام موسى وتقليده، بل في شخص يسوع القادر وحده على خلق المؤمن بالروح كابن لله : من الايمان، إلى الولادة الجديدة، إلى الخلاص أي ملكوت الله. هذا هو تتميم العهد المنتظر، لكن نيقوديمس كان مؤمناً بأن مواعيد البركة الالهية، أي العهد والخلاص، مرتبطة بالمفهوم المادي الوطني للخلاص، أي بأن يكون الانسان من سلالة إبراهيم، لذلك فسّر الولادة التي تكلّم عليها يسوع بطريقة مادية (٣:٤)، وكأن الخلاص (الشراكة بالملكوت) يقوم بتغيير السلالة البشرية السيئة (غير المعدّة للحصول على الملكوت) للولادة من جديد في سلالة ابراهيم البشرية، ولم يفهم بأن الملكوت ليس من هذا العالم (١٨:٣٦). هذا ما سمح ليسوع بتصحيح مفهوم نيقوديمس للولادة ومفهومه الخاطئ للخلاص. فالولادة البشرية ضرورية للعالم الأرضي، في حين أن الولادة بالروح ضرورية للدخول في العالم السماوي أي ملكوت الله (الخلاص). وبالتالي فإن الخلاص غير ممكن دون الايمان بمن أرسله الآب: «تكون له الحياة الأبدية». فإنْ أراد نيقوديمس الخلاص، عليه اتباع يسوع حتى الصليب حيث يعطيه الروح الذي يلده من عل، فيدخل ملكوت السماء. إن الخلاص (العهد) غير ممكن على البشر لأنه لا ينتج عن ولادة بشرية، لكنه أصبح ممكنا لأن الله أراد ذلك فولدنا روحياً، وبالتالي فإن الولادة الروحية هي وجه من أوجه الخلاص التي حقّقها يسوع.

وتأخذ نصوص الآلام عند يوحنا بعداً رمزيّاً خاصاً. فاعتقال يسوع هو اعتقال «أنا هو» (يو ١٨:١-٩)، مع ما يعطيه يوحنا لهذه العبارة من معنى للاسم الالهي (٨:٥٨ و٢٤؛ رج اش ٤٣:١٠-١٣). على مدى ثلاث مرات يكرر يسوع «أنا هو»، فيتسبب ذلك بذعر الجنود أمام الظهور الإلهي، ويظهر خوفهم من وضع أيديهم الملوّثة على الله الحيّ. وأمام بيلاطس، يظهر يسوع أنه آدم أو ابن الانسان، «هذا هو الرجل»، من جهة (١٩:٥)، وانه الملك، «هوذا ملككم»، من جهة أخرى (١٩:١٤)، وفي ذلك إعلان لافتتاح ملكوت الرب الذي وعد به الأنبياء، وهذا ما فهمه بعض الآباء من وقوف يسوع على منصّة القضاء (١٩:١٣) مؤكداً أن الحكم الالهي الأخير قد حان (١٢:٣١؛ رج ٥:٩، ٢٢؛٢٧:٣٩). لقد جلس يسوع على كرسي الملك، «يسوع الناصري ملك اليهود» (١٩:١٩-٢٢)، فأظهر أنّ الآلام ليست إلا تتويجاً ملوكيّاً. ومن خلال ما لم يفهمه، أعلن بيلاطس الوثني الاعتراف الشامل بملك يسوع الناصري وبكل اللغات، لقد أعلن افتتاح ملك الله.

أُرسل يسوع ليعيد ملك الآب باسم الآب (١٢:٣١-٣٢). ولكن، بما أن الرسول يمثّل بشخصه من أرسله، فإن الآب ذاته هو من يملك بواسطة الابن (رج ٦:٤٤). لقد تمم يسوع الخلاص، فأبرم العهد بين الله وشعبه، وأدخل كل مؤمن في شركة الحياة بين الآب والابن. بتتميمه الخلاص بدأت شركة حياة جديدة ، شراكة علاقة ثلاثية تتمثّل بالآب والابن والمؤمن، وهو ما نجده في يو ١٧:٢١-٢٣ (رج أيضاً ١٤:٢٣). إنه عربون إبرام عهد الله بابنه.

رسل يسوع يكملون عمل الخلاص لأن يسوع وضع هذا العمل بعهدتهم

الابن في المؤمنين، والمؤمنون في الابن

للدلالة على العلاقة التي تربط المسيح بالمؤمنين يستعمل يوحنا الحرف ἐν، وهو الحرف عينه الذي يستعمله للعلاقة بين يسوع وأبيه. وغالباً ما يستعمل هذا

الحرف مع فعل الكينونة ومع فعل «ثبت» (μενειν) (يو ٦:٥٦؛ ١٥:٧،٦،٥،٤). ففي مقطع إفخارستي الاطار يقول يسوع: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت **فيّ** وأنا **فيه**» (٦:٥٦)؛ وعن البارقليط يقول بأنه سيأتي ليثبت «مع» التلاميذ وليكون **فيهم** «ἐν» (يو ١٤:١٧)، فيعرفون «أني **في** الآب وأنتم **فيّ** وأني **فيكم**» (١٤:٢٠)؛ وفي مثل الكرمة يشدّد يوحنا على أن الأغصان هي **في** الكرمة (١٥:٢)، وثابتة **في** الكرمة (١٥:٤). فالمؤمن الذي يثبت في المسيح ويثبت المسيح فيه يعطي ثماراً كثيرة، وبعيداً عن المسيح لا يقدر أن يصنع شيئاً، ذلك ان وجود المؤمن متعلق بثبات المسيح فيه وثباته في المسيح[٦].

هذه العلاقة المتبادلة بين الآب والابن، من جهة، وبين الابن والمؤمنين، من جهة أخرى، يوسّعها يوحنا في مقاطع يربط فيها العلاقتين ببعضهما، بحيث يظهر يسوع حلقة الوسط التي تربط الآب بالمؤمنين من خلال علاقته بالآب وبإخوته الذين في العالم. فبتتميمه الخلاص اتسعت وحدة الآب والابن لتشمل المؤمنين: «في ذلك اليوم تعلمون أني **في** الآب وأنتم **فيّ** وأنا **فيكم**» (يو ١٤:٢٠). إن المؤمنين هم في الابن، والابن هو في المؤمنين وفي الآب أيضاً: «ليكونوا واحداً **فينا** أيها الآب، كما أنت **فيّ** وأنا **فيك**» (يو١٧:٢١). لقد دخل المؤمن بشكل واضح في العلاقة المتبادلة بين الآب والابن، وأصبحت وحدة الآب والابن مثال وحدة المؤمنين[٧].

أن يصبح المؤمنون **من** الله ، كأبناء له، يعني أن المؤمنين يشاركون الآب والابن وحدتهم وعلاقتهم الأزلية. إنهم كالابن يشاركون الله حياته، ومشاركة الله ليست أبداً مشاركة فردية حسب الإنجيل الرابع. إن جماعة المؤمنين هي التي في الابن وفي الآب، وهي التي تكون واحداً في الآب وفي الابن. فإن كانت كينونة الله الأبدية هي في البداية آب – إبن – روح، فإن كينونة الله الأسكاتولوجية هي نتيجة لصيرورة أبنائه بحيث تصبح آب – ابن– روح قدوس– وجماعة الذين آمنوا فأصبحوا واحداً مع بعضهم ومع الله. والذي هو من الله، يعمل أعمال الله. إن المؤمنين بالابن يقومون بما أوكله الابن إليهم : عمل الخلاص.

رسل الابن يكملون مهمة الابن

إن يسوع هو رسول الآب، الممثل الوحيد لله **المخلّص**، والله هو الذي يعمل من خلاله فيحقق الخلاص (بحسب أشعيا النبي، «أنا هو» الوحيد الذي يخلص). إن يسوع هو رسول الآب الأسكاتولوجي، إنه الطريق الوحيد إلى الآب، طريق الخلاص الوحيد، المخلص الأوحد. من لا يقبل يسوع كرسول الآب الأسكاتولوجي تتحوّل إمكانية الخلاص بالنسبة إليه إلى حكم أكيد (٨:٢٤): «إن لم تؤمنوا أني أنا هو، تموتون في خطاياكم»، ويعلن انه ذاهب حيث لا يستطيع اليهود أن يأتوا (٨:٢١–٢٣). لكن الرسول الخاص يستطيع أن يقيم رسولا مكانه، بحيث يرتبط الأخير بالمرسِل الأساسي، وذلك من خلال العلاقة القانونية عينها التي تربط المرسِل بالمرسَل الأول[٨]؛ فعندما يحصل ما يمنع الرسول من إتمام مهمته ، يقيم هذا الأخير مكانه من يكمل المهمة ويتممها.

يرتبط رسول الرسول بعلاقة مباشرة مع المرسِل الأساسي بواسطة رسوله الأول؛ وقبول رسل الرسول هو قبول للمرسِل نفسه: «من يقبل الذي أرسله يقبلني يقبل الذي أرسلني». لقد أصبح التلاميذ شركاء في العلاقة التي تربط الآب بالابن: «اذهبي وقولي لإخوتي، إني صاعد إلى أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم « (٢٠:١٧)، أي أن وحدة الآب والابن قد امتدت لتشمل رسل الرسول: «كما أنت فيّ وأنا فيك، أيها الآب، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني» (١٧:٢١).

لهذا السبب نجد يسوع يعطي تقريراً عن رسالته أمام تلاميذه (يو ١٧)؛ فإن كانوا سيصبحون رسلاً مكانه، فعليهم أن يعرفوا تماماً جوهر الرسالة التي سيضطلعون بها. وفي يو ١٧:١٨ يعلن

٦– يعبّر يوحنّا أحياناً عن العلاقة المتبادلة بين المسيح والمؤمن باستعماله حرف الجرّ ἐν في آيات أخرى. فالمؤمن يثبت في كلمة المسيح (٨:٣١)، وكلام المسيح يثبت فيه (١٥:٧). ويجد المؤمن السلام في المسيح (١٦:٣٣)، ويجد المسيح فرحه فيه (١٥:١١)، ويثبت المؤمن في محبة المسيح، تماماً كما يثبت المسيح في محبة الآب (١٥:٩ت ؛ ١٧:٢٦). تمجّد الابن في المؤمنين (١٧:١٠)، وتمجد الآب في الابن (١٣:٣١؛١٤:١٤) .

٧– صحيح أن كلمة κοινωνία غير واردة في الإنجيل الرابع، لكنها في رسالة يوحنا الأولى – حيث نجدها أربع مرات – تعني المشاركة والاتحاد العميق، دون أن يؤدي ذلك الى الذوبان، لا بين الآب والابن، ولا بين الابن والمؤمنين.

٨– *Qidd* 41a; *Gitt* 3,5-6 ; 29b

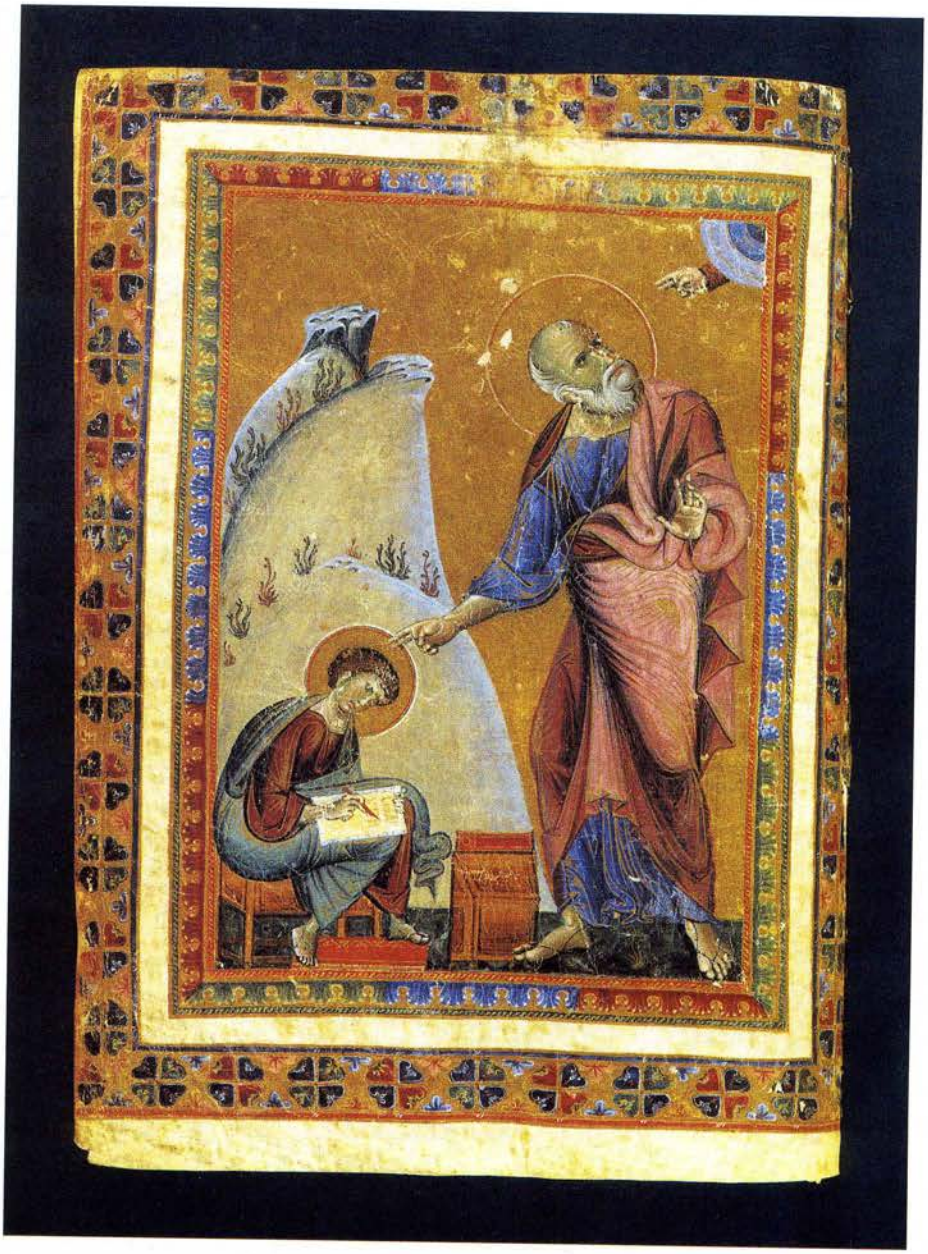

يوحنّا الإنجيلي

يسوع لأبيه نقل رسالته إلى تلاميذه: «كما أرسلني إلى العالم، أنا أيضاً أرسلهم إلى العالم»، ويقيمهم ممثّلين له: «كما أرسلني الآب أنا أيضاً أرسلكم» (يو ٢٠:٢١-٢٢)؛ وكما أعطى الآب الروح ليسوع بحيث يستطيع أن يتمّ رسالته (٣:٣٤-٣٥)، يعطي يسوع الروح لتلاميذه ليقدروا على إتمام الرسالة: «ونفخ فيهم وقال: «خذوا الروح القدس»: ليؤمن الناس بيسوع من خلال كلامهم (١٧:١٠؛ رج ٣:٣٤)، ويؤمنوا بأن يسوع هو رسول الآب (١٧:٢١، ٢٣؛ رج ٣:٣٦،١٨) والحياة الأبدية هي معرفة الله ومن أرسله يسوع المسيح (١٧:٣). إن رسالة التلاميذ هي، اذا رسالة خلاصية تماماً كرسالة يسوع (رج ٣:١٦-١٨)، وعهد الله الذي تمّمه يسوع ما زال بعهدة جماعة المؤمنين أبناء الله.

عنقودُ عُصِرَ على خشبةِ الصّليب فأروى العِطاشَ إلى البرّ

أ. نجم شهوان

«دمي الذي للعهد
«τό αἷμα μου τῆς διαθήκης»
(مت ٢٦:٢٨؛ مر ١٤:٢٤؛ لو ٢٢:٢٠؛ ١ قو ١١:٢٥)

مقدّمة

يعرض الازائيّون نصّ العهد المجدّد بواسطة يسوع إنطلاقاً من العشاء الحدث (مت ٢٦:٢٦–٢٩؛ مر ١٤:٢٢–٢٥؛ لو ٢٢:١٤–٢٠؛ ١ قو ١١:٢٣–٢٦)، الذي فيه صارح يسوعُ تلاميذَه بواقع عاشه وسيعيشونه هم أيضاً (مت ١٠:١٧؛ ٢٤:٩؛ مر ١٣:١٩؛ لو ٢١:١٢–١٣؛ يو ١٥:٢٧؛ مت ٢٤:١٤)، في سبيل بناء الكنيسة، جسده (مت ١٠:٢٠؛ ١ قو ١٢:٢٧؛ روم ١٢:٥–٨؛ أف ١:٢٣؛ ٤:٤، ٢٥؛ ٥:٣٠؛ ١ قو ١٠:١٧؛ ١٢:٧–١١)، صورة العهد الجديد، وذلك بالشهادة المطلقة حتّى الدّم.

فما علاقة الدّم بالعهد من خلال شهادات الإزائيّين وشهادة بولس الرّسول؟ فهم ليسوا أصحاب المبادرة ولكن بكل أمانة، كما عبّر بولس في رسالته إلى أهل قورنتس (١ قو ١١:٢٣)، ينقلون ما قاله الربّ، وما حافظ التّقليد عليه.

بدا واضحاً موضوع الغفران مع ذكر الدّم المسفوك (مت ٢٦:٢٨)، لذلك لا يمكن أن يكون الدم الذي يُسفك دون مفعول، خاصّة وأنّ دمَ يسوع كان زكيّاً، و«كشاة سيق إلى الذبح ولم يفتح فاه» (أش ٥٣:٧؛ رسل ٨:٣٢)؛ ويهوذا الاسخريوطي قال: «خطئتُ إذ أسلمتُ دماً بريئاً» (مت ٢٧:٤).

ارتبط ذكر الدم أيضاً بالحياة؛ فمن شرب دم الابن نال الحياة الأبديّة (يو ٦:٥٤)؛ فمن هو يسوع إذن كي يكون دمه المهراق قادراً على غفران الخطايا؟ عندما قال يسوع للمخلّع: «مغفورةٌ لك خطاياك» (مت ٩:٢،٥) قال له الفرّيسيّون: «إنّ هذا الرّجل يجدّف» (مت ٩:٣)، كون غفران الخطايا هو من عمل الله بنظرهم؛ حسناً، فإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون يسوعُ الذي عمل هذه الأعمال إلهاً!

قدّم يسوع ذاته على الصّليب لكيما بدمه المسفوك يتعطّل عمل الشرّ؛ فكونه البريء يستطيع أن يغلب الشرّ بتضحيته بنفسه، عوضاً عن الخطأة والأشرار الذين يستحقّون هم الموت، ولكنّ موتهم سيكون جزاءً لهم، ولن يفيد شيئاً، بينما بموت إنسان واحد مطيع (روم ٥:١٩) ستكون الحياة. هذا لأنّ يسوع قد تألّم وهو بريء، فصار الحمل الذي لا عيب فيه (خر ١٢:٥)، الذي يُقرَّبُ قرباناً للربّ، فيكون قدساً له (لا ٢٧:٩)، لأنّ اللقاء بالله يتطلّب البرّ والعدل، وهل أبرّ من ابنه كي يلتقي به؟

يمكننا أن نفهم دور تضحية المسيح بنفسه لأجل الخطأة من خلال سرّ الافخارستيّا الذي تكوّن بذبيحة يسوع، لأنّه بذبيحته أسّس جماعة جديدة، شعباً جديداً، كنيسة يجمعها روح واحد، لأنّهم جميعهم يأكلون من الخبز الواحد، ويشربون من الدّم الواحد، وقد تعمّدوا بالرّوح الواحد. من هنا أهميّة الرّسالة الأولى إلى أهل قورنتس في كيفيّة الحفاظ على وحدة الجماعة؛ فمن أراد أن يقترب من جسد المسيح يسوع،

يجب أن يطهّر ضميره من كلّ عيب، لئلاّ يجني دينونة لنفسه (١ قو ١١: ١٩) بدل الحصول على الحياة.

١- مفهوم الدّم بشكل عام

أخذ عنصر الدّم في الحضارات القديمة معاني عدّة نتيجة ما عاشته هذه الحضارات من تيّارات فكريّة وأزمات حرب واصطدامات ونزاعات، وما تاقت إليه من آمال. ففي الحضارة اليونانيّة ارتبط ذكر الدّم بالنّسل وبانفعاليّة الكائن الحي وبتأثّريّة مشاعر الشّخص البشري، بينما ورد ذكر الدّم في حقل الكتاب المقدّس كونه مسفوكاً ومهدوراً، إمّا في المعارك القتاليّة وإمّا قد حُكم على شخص ما بالموت فأُهرق دمه على الأرض، إمّا للانتقام وإمّا للفدية.

لقد استُعْمِلَت كلمة «دم» في اللغة اليونانيّة «αιμα»، والعبريّة «دَمَخْ» (رسل ١: ١٩)، وهي تعني الحياة الأساسيّة للإنسان كما للحيوان. وقد حملت هذه الكلمة معاني عدّة، ومن أهمّها طول الحياة، لأنّ ذكر الدم ملتصق بسرّ البقاء، فمن طالت أيّامه اعتُبر ذا سرّ كبير، وهو حكيم، وذات دمٍ زكيّ، وبالوقت عينه رضي الله عنه.

من هنا فإنّ الجسد والدّم عنصران في الكائن الحي، أكان إنساناً أم حيواناً، ولهذا رأى فيه نصّ سفر اللاويّين تقدمة كاملة: «... لأنّ نفس الجسد هي في الدم، وأنا جعلته لكم على المذبح ليُكفّر به عن نفوسكم، لأنّ الدّم يكفّر عن النّفس» (لا ١٧: ١١؛ عب ٩: ٧؛ ٢١). يرد في الرسالة إلى العبرانيّين ما يلي: «هوذا دمُ العهد الذي عَهِدَ الله فيه إليكم» (٩: ٢٠). وكذلك نقرأ في كتاب الخروج: «هوذا دمُ العهد الذي قطعه الرّبُّ معكم على جميع هذه الأقوال» (٢٤: ٨).

إنّ الميثاقَ يُبرمُ بالدّم (لا ١: ٥ي)، لذلك رشّ موسى من دم الذّبيحة على الشّعب (خر ٢٤: ٨)، هذا لأنّ الدّم يعدّ قوام المبدأ الحيوي (تك ٩: ٤؛ رج تث ١٢: ١٦ و٢٣؛ مز ٣٠: ١٠)، ومن هنا قيمته التكفيريّة (رج أح ١٧: ١١)، ودوره الطّليعي البارز في رُتب الذّبائح وفي المعاهدات (خر ٢٤: ٨).

إن تصفّحنا بعض الكتب في العهد القديم نرى كيف أنّ فكرة الدم ظهرت وتطوّرت مع الوقت. فأوّل ذكر للدم كان عند مقتل هابيل، الذي سَفَكَ أخوهُ قاينُ دمَه، فاعتُبر قاتلاً (تك ٤: ١٠)، لذلك وجب ملاحقة القاتل والانتقام منه (تك ٩: ٦)، لأنّ الله أمر بعدم القتل (خر ٢٠: ١٢؛ مت ٥: ٢١؛ ١٩: ١٨؛ روم ١٣: ٩؛ يع ٢: ١١).

أمّا الذي يُقتلُ عن غير قصد، كما يصف لنا سفر تثنية الاشتراع (١٩: ٦-١٣)، فلا يُدان القاتل لأنّه فعل من غير قصد ما قد فعل، ولكنّ الأفضل له أن يهربَ إلى مدينة أخرى؛ ولكنّ كتاب المزامير يدعو إلى الثأر لدماء عبيد الله المسفوكة (مز ٧٩: ١٠) ولكن عن يد الله، لأنّ الله هو «ولي دم» اسرائيل (رج عد ٣٥: ١٩)، مع العلم أنّ القاتل يجب أن يموتَ موتاً (عد ٣٥: ١٦-٢١). إنّ فكرة الانتقام هذه بقيت محفوظة حتّى في تفكير الأنبياء (أش ٦٣: ١-٦)، ولكنّ المسيح يسوع غيّر هذه المقاييس فبدّل حكم الشّريعة بحكم المحبّة التي تُبنَى على البرّ (رج مت ٥: ٢٠-٤٨).

٢- ما معنى عبارة «الدّم الزكيّ»؟

إنّ دمَ هابيل كان زكيّاً لأنّ هذا الأخير صنع ما يرضي الله، «إذ قدّم شيئاً من أبكار غنمه ومن دهنها» (تك ٤: ٤). لقد قام العهد بين الله وشعبه عندما حرّرهم من العبوديّة المصريّة (خر ١٣: ١٧ي) وأعلمهم كيف يعيشون قدّامه: بحفظ الوصايا (خر ٢٠: ١-٢١)، وتقدمة القرابين (خر ٢٢: ٢٨-٢٩)، وأعياد الشكر (خر ٢٣: ١٤-١٩)، وهذه الأمور الثلاثة تؤلّف الأسسَ التي عليها تُبنى جماعة الربّ. فحفظُ الوصايا له قوّة العدل والعدالة والاعتدال، وتقدمة القرابين لها قوّة التّخلّي والاعتراف بعطاء الله، والأعياد قوّة بالله من خلال الفقراء.

إنّ عدم الخضوع لإرادة الله يؤدّي إلى التطرّف فالموت، لأنّ الطاعة كانت ميزة الأبرار وميزة الابن الوحيد يسوع المسيح، ولكن لماذا مات المسيح، وهو الطائع والبريء، فأصبح الضّحيّة والقربان (أف ٥: ٢ و٢٥؛ روم ١٤: ١٥؛ ١ يو ٣: ١٦؛ غل ٢: ٢٠؛ مز ٤٠: ٦؛ عب ١٠: ١٠؛ فل ٤: ١٨؛ خر ٢٩: ١٨؛ حز ٢٠: ١٤)؟! لقد هاجم يسوعُ الذين خرجوا على العهد مع الله، وعنّفهم لأنّهم كانوا المؤتمنين على العهد، ولكنّ أفعالهم تهدم أسس هذا الأخير. فبعد تكوين الشّعب أرسل الله الأنبياء والملوك، ولكن الفرّيسيّين والكتبة لم يصغوا إليهم، وتبعهم الشّعب، فوبّخهم يسوع بسبع ويلات (مت ٢٣: ١٣-٢٩) لأنّهم سائرون على خطى آبائهم، الذين قتلوا المرسلين والأنبياء، وهم قادمون على قتل يسوع نفسه (مت ٢١: ٣٨-٣٩)، لذلك قال لهم أيضاً: «سيقع عليكم كلُّ مل سُفِكَ

على الأرض من دمِ زكيّ، من دم هابيل البارّ (تك ٤:٨) إلى دم زكريّا بنِ بَرَكْيا (٢ أخ ٢٤:٢٠، ٢٢)، ذاك الذي قتلتم بين الهيكل والمذبح» (مت ٢٣:٣٥). يدلّ هذا المقال على أنّ يسوع يذكّر بعدم القتل، الذي نهى الله عنه على لسان موسى عبده (خر ٢٠:١٣؛ رج روم ١٣:٩)، وهو بتذكيره الشّعب والمسؤولين بذلك يكمّل عمل أبيه وإرادتِه، وأمّا لدى عودته إلى حضن أبيه السّماوي سيرسل الآبُ باسم يسوع ابنِه الروحَ القدسَ ليذكّرَ المؤمنين بتعاليمه (يو ١٤:٢٦).

فإذا كان الله يحرّم ويمنع سفك الدّم الزّكي، بحيث لعن قاينَ الذي قتل أخاه هابيل (تك ٤:١١)، إذ سأله: «أين هابيلُ أخوك؟» (تك ٤:٩أ)، فتبرّأ قاين من أخيه قائلاً: «لا أعلم! أحارسٌ لأخي أنا؟» (تك ٤:٩ب)، كما فعل أولاد يعقوب الأحد عشر بأخيهم الأصغر يوسف (تك ٣٧:٣١-٣٢)، فأجابه الله موضحاً له الحقيقة: «إن صوتَ دماء أخيك صارخ إليّ من الأرض» (تك ٤:١٠)، فهذا يعني أنّ الله له الحق وحده بأخذ الحياة لأنّه معطيها.

فالويلات السّبعة التي أنزلها يسوع بالفرّيسيّين والكتبة تجعلهم قتلة ولو لم يسفكوا دماً، لأنّهم أبناء قتلة، وسينتقم الله منهم: «سيقع كلُّ هذا على هذا الجيل» (مت ٢٣:٣٦).

فالدّم الزكيّ المسفوك يخيف مَنْ يدرك حجم المسؤوليّة، كما فعل بيلاطس أمام هيجان الشّعب الذي طالب بقتل يسوع، فقال على مرأى من الجمع: «بريء أنا من دمِ هذا البار! أنتم أنظروا!» (مت ٢٧:٢٤)، ولكن هذا هو حكم الله لكي يفدي الخطأة والأشرار: «لأنّهم سفكوا دمَ قدّيسين وأنبياء، فأعطيتهم دماً ليشربوا. إنّهم لمستحقّون» (رؤ ١٦:٦)، ولكنّ دمَ الأنبياء والقدّيسين وجميع المذبوحين على الأرض (رؤ ١٨:٢٤) يصرخ إلى الله العادل فينتقم لخائفيه (رؤ ٦:١٠؛ ١٦:٦؛ ١٩:٢).

٣- غفران الخطايا من عمل الله

إنّ كلمة «تكفير» في اللّغة العبريّة تعني «غطّى» (لا ١٦)، وقد طُبِّقَت على الأبرص، وعلى البيت المدنّس (لا ١٤)، على المذبح وعلى عظيم الأحبار (لا ٨)، كما كُتب في المزمور: «طوبى لمن معصيته غُفِرَتْ وخطيئتُه سُتِرَتْ» (مز ٣٢:١؛ رج روم ٤:٧-٨)، ويقابله: «لقد غلب عليّ أمر الآثام، ولكنّك لمعاصينا غَفور» (مز ٦٥:٤). فهذا التّعبير الكتابي يدلّ على غفران الخطايا من قبل الله، لأنّه هو وحده يمحو الخطايا، فلا تُوجد من بعد (مز ٨٥:٣؛ مثل ١٠:١٢؛ يع ٥:٢٠؛ ١ بط ٤:٨).

فنحن لسنا أبراراً، بل نتبرّر بالابن، لذلك يقول في موضع آخر: «إن كنتم تعلمون أنّه بارّ، فاعرفوا أنّ كلّ مَنْ يفعلُ البرَّ يكون منه مولوداً» (١ يو ٢:٢٩). فباعتبار أنّ المسيح «بار» (١ يو ٣:٧) أمكنه أن يبرّر الذين يسمعون كلمته فيولدوا أبناء الله.

فبما أنّ الناس أجمعين خطأة، ظهر المسيح وحده البار الذي يمكنه أن يمحو، يغفر ويفدي الناس إذ يبرّرهم من خطاياهم، التي نسمّيها أحياناً ديوناً تجاه الله (مت ٦:١٢؛ رج سي ٢٨:٢؛ مت ١٨:٣٢-٣٣)، ولكن المسيح ابن الله البار اشترانا بدمه إذ قدّم نفسه (يو ١٠:١٨) فدية عنّا (أف ١:٧؛ ١ بط ١:١٨) بحيث جعل نفسه عبيداً (فل ٢:٧؛ ٢ قو ٨:٩؛ مت ٢٠:٢٨؛ روم ٨:٣؛ غل ٤:٤؛ عب ٢:١٤، ١٧؛ ١ طم ٢:٥؛ يو ١:١٤)، لكيما يصالحنا بدمه مع الله (روم ٣:٢٥)، لا بل ليصالح جميع الناس، والقبائل والألسنة، وكلّ شعب وأمّة مع الله، لأنّه دفع ثمنها دماً ليشتريها (رؤ ٥:٩).

فهذا الاعتبار الكتابي يجعلنا نرى الكنيسة كونها الشّعب الجديد المشترى بدم يسوع المسيح (رسل ٢٠:٢٨)، الذي حلّنا بدمه من خطايانا (رؤ ١:٥؛ عب ٩:١٢، ١٤؛ ١٣:١٢؛ ١ يو ١:٧؛ روم ٥:٩)، وبه صار السّلام (قول ١:٢٠؛ أف ٢:١٣)، «لأنّه بذل نفسه عنّا، ليفتدينا من كلّ إثم، ويطهّر لنفسه شعباً خاصّاً، غيوراً على الأعمال الطيّبة» (طي ٢:١٤؛ أف ٥:٢، ٢٥). فمن هو يسوع الذي يغفر، فيعفو من الدَّين أي الخطيئة ويشفي، وإن هو شفى يُعيدُ النّظامَ إلى الحياة، وهذا من صنع الله الذي يخلق.

يخبرنا يسوع عن هويّته في الإنجيل بحسب يوحنّا: «الأعمال التي آتاني الآب أن أنجزها، تلك الأعمال نفسها تشهد لي أنّ الآب أرسلني» (يو ٥:٣٦؛ ١ يو ٥:٩؛ مت ٩:٦؛ يو ٢:١١؛ ٣:٢؛ ٩:١٦، ٣٣؛ ١٠:٢٥، ٣٨). هناك وصف جدير بتكملة الصّورة عن يسوع بحسب سفر الرؤيا: «نعمة لكم وسلام من الكائن، والذي كان، والآتي...، ومن يسوع المسيح، الشّاهد الأمين، بكر الأموات، ورئيس ملوك الأرض! للّذي يحبُّنا الذي حلّنا بدمه من خطايانا، وجعلنا ملكوتا، كهنة لإلهه وأبيه، المجدُ والقدرة لدهور الدّهور. آمين» (رؤ ١:١-٨).

عبر هذه المقارنة يظهر الإنسان سائراً نحو الموت، كما يصفه سفر الحكمة

(٢:١-٥)، ويبدو يسوعُ بالمقابل الوسيط الأوحد الذي يمكنه أن يمنع عنه الموت، لأنّه وهب نفسه فدية عن الجميع (١ طم ٢:٥-٦؛ مت ٢٠:٢٨؛ غل ١:٤؛ ٢:٢٠؛ طي ٢:١٤؛ ٢ قو ٥:١٥؛ أف ٥:٢).

٤- من هو المسيح الذي يسفك دمَه فداء عن الكثيرين؟

يسوع بحسب معطيات الكتاب المقدّس هو ابن داود (مت ١:١؛ ٩:٢٧؛ ٢٠:٢٩؛ ١٢:٢٣؛ ٢٠:٣٠-٣١؛ ٢١-٩)؛ ابن الإنسان (يو ١٢:٢٣، ٣٤؛ مر ١٤:٦٢؛ لو ١٧:٢٢)؛ وهو ابن الله (مت ٨:٢٩؛ ٢٧:٤٣؛ يو ١٠:٣٦) وقدّوس الله (مر ١:٢٤؛ لو ٤:٣٤؛ يو ٦:٦٩)، وهو الربّ (مت ٢٠:٢٩؛ ٢٠:٣٣؛ ٢١:٣؛ يو ١٣:٦)؛ المسيح (مت ١١:٢)؛ المعلّم (مت ١٢:٣٨؛ ١٧:٢٤؛ ١٩:١٦؛ لو ١٠:٢٥)؛ يسوع المسيح (مت ١٦:٢١)؛ المسيح ابن الله (مت ١٦:١٦؛ ٢٦:٦٣؛ مر ١٤:٦١)؛ النبيّ (مت ١٦:١٤؛ ٢١:١١؛ مر ٦:١٥؛ لو ٧:١٦، ٣٩؛ ٢٤:١٩؛ يو ٦:١٤؛ رسل ٣:٢٢-٢٣)، والله يعترف به أمام النّاس: «هذا ابني الحبيب» (مت ٣:١٧؛ ١٧:٥؛ مر ٩:٧؛ لو ٩:٣٥؛ ٢ بط ١:١٧).

بيسوع هذا نؤمن أنّه يستطيع أن يبرّئ الخطأة لأنّه لم يعرف الخطيئة وجاء ليعمل مشيئة أبيه السّماوي؛ فبموته افتدى كلّ الضّالين، وهذا ما يساعدنا على فهم كلامه لنا: «خذوا اشربوا من دمي، دم العهد الجديد».

٥- عنقود العنب في التّعبير البيبلي

وُجدت شجرة الكرمة في إسرائيل منذ آلاف السنين، ولقد تكلّم عليها الأنبياء والكتّاب الملهمون، حتّى أصبحت رمزاً للشعب اليهودي، بحيث أنّ كرمة الربّ هو شعبه الذي اختاره، وهذه الكرمة تعهّدها الله وأقام معها عهداً. من هنا كانت الكرمة في النّصوص البيبليّة ترمز إلى الشّعب المختار (هو ١٠:١؛ أش ٥:١-٧؛ ار ٢:٢١؛ حز ١٥:١-٨؛ ١٩:١٠-١٤؛ مز ٨٠:٩-١٢)، وهكذا طبّقها يسوعُ على ملكوت السّماوات حسب النّصوص الإزائيّة (مت ٢١:٣٣-٤١؛ مر ١٢:١-١٢؛ لو ٢٠:٩-١٩)، وعلى نفسه بحسب يوحنّا (يو ١٥:١، ٥). وأمّا الكرمة بحسب إنجيل يوحنّا فترمز ربّما إلى الخمرة الافخارستيّة، لأنّ وصف الحنطة الكثيرة الحمل (يو ١٢:٢٤) يقابلها الثّمر الجم من العنب (يو ١٥:٢، ٥)، وكلاهما يؤلّفان مادّة الخبز والخمر للافخارستيّا. قال يسوع: «أنا الكرمة الحقّ، والحارث أبي،... أنا الكرمة وأنتم الأغصان،... إن تثبتوا فيّ، وتثبت أقوالي فيكم، تسألوا ما تشاؤون، وتنالوا ما تسألون، في هذا مجد أبي: أن تحملوا حملا جمّا، وتصيروا لي تلاميذ» (يو ١٥:١، ٥، ٧-٨؛ رج أش ٥:١؛ ار ٢:٢١؛ مز ٨٠:٩-٢٠؛ سي ٢٤:١٧).

شرب المدعوّون إلى عرس قانا (يو ٢:١-١٢) الخمرةَ التي هي عصارة عنقود العنب، ولقد شربوا كلّهم من الخمرة نفسها وفرحوا لأنّ العهد قد قام بين شخصين لبناء عائلة؛ فالشرب دليل الاشتراك بالعيد، ولذا لدى فراغ الخمر شاع الخوف بأنّ الفرح سيكون ناقصاً، فإن فُقِدَ الفرح نقص معنى العيد، وإنّما العيد هو صورة العهد، والحال أنّ العهد هو عيد اللّقاء، يُعبَّرُ عنه بالأكل والشرب، وهل أجمل من اللقاء للتّعبير عن العهد؟

يخبرنا النبي هوشع عن أنّ الشّعب راح يأكل «أقراص الزّبيب» ويلتفت إلى آلهة أخرى (هو ٣:١). ويروي لنا سفر القضاة كيف «خرجوا إلى الحقول وقطفوا كرومهم وعصروا وأقاموا فرحاً، ودخلوا بيوت آلهتهم وأكلوا وشربوا» (قض ٩:٢٧). وكذلك سفر العدد يتكلّم على العنقود: ثمّ وصلوا إلى وادي «أشكول» (أشكول معناه عنقود؛ والوادي قريب من حبرون)، وقطعوا هناك غصناً بعنقود واحد من العنب، وحمله رجلانِ بقضيبٍ مع شيء من الرمّان والتّين. فسُمّي المكانُ وادي أشكول، بسبب العنقود الذي قطعه هناك بنو إسرائيل (عد ١٣:٢٣-٢٤). ويقارن النّبي أشعيا بين العنب، الذي هو ثمرة تعب الإنسان، والحقّ (أش ٥:٤، ٧)؛ فمَنْ لا يكون أميناً ويعمل إرادة الله، يشبه قاينَ الذي قتل أخاه، لذلك قال أشعيا: «قد انتظرَ (ربُّ القوّات) الحقَّ فإذا سفكُ الدماء، والبرَّ فإذا الصّراخ» (أش ٥:٧). فهل مَنْ لا يعمل إرادة الله يصبح قاتلاً؟ فلماذا استحقّ يسوعُ الموتَ كقاتل، هو الذي عمل إرادة أبيه؟ إنّ قَتْلَ المجرم هو عدل، كما قال لصّ اليمين: «عقابنا نحن عادل، ونلقى جزاء أعمالنا، أمّا هو فلم يأتِ منكراً» (لو ٢٣:٤١). وقال داود: «أنقذني من الدّماء يا ألله»، هذا لأنّ داود تعدّى حقوقه وجرف قلبَه الطمعُ، فلذلك قتل أوريّا لكي يحقّقَ مآربه. سمح الله بالأكل والشّرب، ولكن بما أنّه إله الجميع يحبّ العدل والعدالة (مز ٥١:٦)، لكيما يشترك الجميع بخيراته؛ فمن تجاوز الحدود بسبب الطّمع، اعتُبر عملُه شرّاً

بنظر الله: «إذا دخلتَ كرم قريبك، فكُلْ من العنب على قدر شهوتك حتّى تشبع، ولا تجعل منه شيئاً في سلّتك...» (تث ٢٣:٢٥ي).

كان الخمرُ شرابَ الفقراء والجيش قديماً، وكان يُستعمل في المناسبات الفرحة، ولكن حُذِّر على الشعب الإسرائيلي الإكثار منه (١ صم ١:١٤). وكما يقول مار افرام السّرياني في شرحه لسفر التّكوين: إنّ الذي يسكر يعطّل دماغه عن العمل، والدّماغ هو صورة الله، لأنّ الله خلق الإنسان على صورته ومثاله (تك ١:٢٦). ويظهر تحريم الإكثار من شرب الخمر في الرّسالة إلى أهل أفسس: «لا تسكروا بالخمر، لأنّ فيه طيشاً، بل امتلئوا من الرّوح» (أف ٥:١٨؛ مثل ٢٣:٣١)، وربّما هذا تذكير بنص سفر اللاويّين: «لا تشربوا خمراً ولا مسكراً، أنتَ ولا بنوك، عند دخولكم خيمة الموعد، لئلاّ تموتوا» (لا ١٠:٩).

في هذه الحال يدعو بولس إلى الامتلاء من الرّوح القدس بدل السّكر، ما يذكّرنا بيوم العنصرة، عندما حلّ الرّوح القدس على التلاميذ «فامتلأوا جميعاً روحاً قدساً، وشرعوا يتكلّمون بألسنة غريبة على ما كان الرّوحُ يؤتيهم أن يتكلّموا» (رسل ٢:٤، ١٣). إنّ هذه القراءة للخمر الذي بكثرة شربه يؤدّي إلى السّكر والانتقال إلى عالم الرّوح، عالم إله الخمر – Σταφυλο-δαίμων، الذي يحمل السكران إلى الاستمتاع بعالم غير محسوس (مثل ٢٣:٣٢–٣٥)؛ «فلقد شربَ (نوح) من الخمر فسكر وتكشّف في داخل خيمته» (تك ٩:٢١). هكذا بالنسبة إلى المسيحيّين الذين تبعوا المسيح وحفظوا كلماته، سيحلّ فيهم روحُهُ القدّوس، فيتكلّمون بألسنة (رسل ٢:٤؛ ٤:٣١؛ ١٠:٤٤–٤٦؛ ١٩:٦؛ مر ١٦:١٧)، فليسوا هم بسكارى، كما توهّم اليهود والقاطنون في أورشليم، لأنّ الساعة كانت الثّالثة من النّهار، بل لأنّ الرّوح أُفيضَ عليهم» (رسل ٢:١٤–٢١؛ رج يؤ ٣:١–٥).

خاتمة

إذا كان العنب هو الثّمرة التي نضجت، فيسوع الذي قدّم دمه ليُشرب، والدّم هو عصير الكرمة، يجب أن يكون قد نضج لكي يُعصر ويُشرب، وقد عُصر على الجلجلة وشرب منه الشهداء، فألهب روحهم وساروا وراءه. فيسوع الذي أعطى رسله دمه وجسده ليتغذّوا بهما، أعطاهما من خلالهم إلى كافّة الشّعوب، لأنّ الخلاص مع المسيح يأخذ طابع الشّموليّة، كونه ابن الله الآتي إلى العالم، ليفدي بسفك دمه كلّ الخطأة.

إنّ النّصوص الإزائيّة ورسالة مار بولس تطلعنا على عمل يسوع، ألا وهو تقديم ذاته على الصّليب، لكي يحمل الذلّ والعار بدل إخوته، لأنّ ذكر الدّم يتوارد إلى الذهن مع تقديم الذّبيحة والقربان، اللذين يُعتبران فدية. فيسوع كان يعلم أنّ دمه سيُسفك على الصّليب، لكيما بموته وتضحيته الحرّة يجدّد العهد بين الله أبيه والعالم.

إنّ المدرسة البولسيّة وكتاب الرؤيا لخير دليل على تثبيت لاهوت الذبيحة الروحيّة، لأنّ دم المسيح كان زكيّاً، فلذلك قال عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيّين: قرّب نفسه مرّة واحدة ونهائيّة عن الجميع (عب ١٠:١٠؛ رج ٢:١١؛ ٧:٢٧؛ ٩:٢، ١٤، ٢٨؛ ١٠:١٢، ١٤؛ أف ٥:٢٢–٢٦).

مراجع:

الكتاب المقدّس، العهد القديم، دار المشرق، بيروت ١٩٨٩.

الكتاب المقدّس، العهد الجديد، كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس الكسليك، ١٩٩٢.

Illustrated Dictionary of Bible Life & Times (Reader's Digest Association, New York 1997).

La Bible est un trésor (Fleurus, Lyon 1994).

Dictionary of the Bible (edited by David Noel Freedman, USA 2000).

A Bailly, *Dictionnaire Grec - Français* (Hachette 1950).

La Bible de Jérusalem (Cerf, Paris 1981).

Vocabulaire de Théologie Biblique (Cerf, Paris 1981).

العشاء الأخير

في العهد يتجلّى حوار اللّه المتواصل مع الإنسان

أ. لويس خوند

في إبراهيم وإسحق ويعقوب يتجسّد حوارُ الله مع الإنسان

المقدمة

ليس الله فردا منعزلا مكتفيا بذاته. الله هو «الكلمة». هو إله العهد. وعهده الإلهي حوار مع الإنسان صورته. ولذا لا تعتبر قصّتا الخلق (تك ١: ١–٢؛ ٢: ٤–٢٥) الانسان خليقة منعزلة. في الرواية الأولى، في الفصل الأول، يجعل الله الانسان رأس الهرم، تتوق إليه المخلوقات جميعاً. وفي الرواية الثانية، الفصل الثاني، يجعله المحور الذي تدور حوله المخلوقات كافة؛ والكائنات خُلقت في شبه دائرات تنطلق الواحدة بعد الأخرى من المحور. وهكذا يتجلّى الانسان رأس الهرم ومحور العالم. ولذا فعلاقته بالله علاقة حيّة يترجمها الانسان بفعل طاعة حرّة لشريعة الله عن طريق حوار دائم معه. يشهد تاريخ الخلاص على أن الله «أمين» لعهده منذ خلق العالم وعبر مراحل التاريخ حتى يومنا وإلى الأبد، لأن الله مساوٍ لنفسه، وعهده إلى الأبد، و«إلى الأبد محبته». وهكذا عبر التاريخ، وفي الكتاب المقدس، نرى الله ونسمعه ونصغي إليه ونسأله ويكون معنا. يحاورنا، وينتظر جوابنا. ونحن أبناء شعب الله، نجيب على مبادرة الله

في العهد يتجلّى حوار اللّه المتواصل مع الإنسان

أ. لويس خوند

في إبراهيم وإسحق ويعقوب يتجسّد حوارُ الله مع الإنسان

المقدمة

ليس الله فردا منعزلا مكتفيا بذاته. الله هو «الكلمة». هو إله العهد. وعهده الإلهي حوار مع الإنسان صورته. ولذا لا تعتبر قصّتا الخلق (تك ١: ١–٢؛ ٢: ٤–٢٥) الانسان خليقة منعزلة. في الرواية الأولى، في الفصل الأول، يجعل الله الانسان رأس الهرم، تتوق إليه المخلوقات جميعاً. وفي الرواية الثانية، الفصل الثاني، يجعله المحور الذي تدور حوله المخلوقات كافة؛ والكائنات خُلقت في شبه دائرات تنطلق الواحدة بعد الأخرى من المحور. وهكذا يتجلّى الانسان رأس الهرم ومحور العالم. ولذا فعلاقته بالله علاقة حيّة يترجمها الانسان بفعل طاعة حرّة لشريعة الله عن طريق حوار دائم معه. يشهد تاريخ الخلاص على أن الله «أمين» لعهده منذ خلق العالم وعبر مراحل التاريخ حتى يومنا وإلى الأبد، لأن الله مساوٍ لنفسه، وعهده إلى الأبد، و«إلى الأبد محبته». وهكذا عبر التاريخ، وفي الكتاب المقدس، نرى الله ونسمعه ونصغي إليه ونسأله ويكون معنا. يحاورنا، وينتظر جوابنا. ونحن أبناء شعب الله، نجيب على مبادرة الله

بالشكر والحمد والتسبيح والتوبة إلى عهد الحب الإلهي.

في هذا المقال، أحاول أن أتتبّع الوحي الإلهي في الكتاب المقدس، بدءاً من سفر التكوين، مركزاً على بعض حلقات وأحداث وأشخاص، مبيّناً من خلالها أنّ «العهد حوار»، لقاء وكلمة.

١- هكذا انتقل الحوار من عالم الله في ذاته إلى حضور الله في حياة الإنسان

تطالعنا البيبليا، من أولها إلى آخرها، بتصرّف الله الحواري مع الإنسان ومع الشعب ومع الأنبياء والملوك والقضاة، في التجلّيات الإلهيّة من خلال بعض المعطيات الكونيّة الطبيعيّة والاختبارات البشرية الدينية والخلقيّة في حياة الأفراد والشعب. ففي البيبليا نرى الله يسمّى دائماً في علاقة مع الإنسان ومع الشعب. إنّه «إله...»: «إله إبراهيم وإسحق ويعقوب»، «إله يسوع المسيح»، «إله إسرائيل»، «إلهنا». وهكذا يكون الشعب جزءاً من إسم الله: «إسرا – إيل». هذا هو العهد. يتضمّن الزميلين: الله والإنسان. يحدّد اسم الله، كما أراد هو أن يدعى من قبل الشعب. ويبدل حياة الشعب، فيكون شعبه ومحبوبه (هوشع).

٢- ولكي تعبّر البيبليا عن التزام الله تجاهنا، تستعمل مختلف صور العلاقات العائليّة

العلاقات التي تجعلنا نعتبر أن الله هو أب لإسرائيل، وملكه (تث ٣٢:٦؛ أش ٦٣:١٦؛ ٦٤:٧؛ مز ٢:٧؛ ١٠٣:١٣-١٤). أب يحبّ مثل أمّ، تتحرّك أحشاؤه أمام بؤس ابنه (أش ٣٩:١٤-١٥؛ هو ١١:١-٨). الله هو زوج لا ييأس من خيانة زوجته (أش ٥٤:٥-٦؛ هو ٢:١٦-٢٥)، ولا ينام، ولا يندم.

٣- من داخل شعبه المختار، ينتخب الله لنفسه رجالاً يجعلهم وكلاء على رسالته الخلاصية

يظهر الاختيار غالباً خلال الدعوة، أي نداء الله المباشر، الذي يعرض أسلوباً جديداً للحياة ويطلب جواباً.

«في كلّ البيبليا، نرى أنّ حواراً يقوم بين الله وشعبه، حواراً لا يتوقّف على البعد المزدوج أنا–أنت، بل يصبح شمولياً، ويتضمّن ثالثاً ألا وهو الوعد، وشروط الوجود، والحياة الحقيقيّة في العالم المتجدّد»[١].

٤- الخالق يحاور المخلوق

نفخ الله من روحه في تراب الأرض الذي جبله، فكان الإنسان «على صورته ومثاله» (تك ١:٢٦-٢٧). وأوحى الخالق إلى المخلوق أن ينمو ويملأ الأرض ويسود عليها. وأمره ألاّ يتعدّى حدوده كمخلوف، بل أن يلتزم العلاقة الوجوديّة والقرار وَفْقَ الخير الذي فطره الله عليه. وخلق الله له من ضلعه (كيانه بالذات، جوهره، طبيعته) حوّاء، بإزائه. فوعى الترابي وجوده إزاء الحياة. وكان جواب الإنسان الأولاني الاندهاش أمام سرّ وجوده العاقل المحاور الخالق، وأمام فرادته بين جميع المخلوقات، لأنه هو يعطيها أسماءها. فهو سيد من «السيد». وكان الله يتمشّى مع الإنسان في الفردوس (تك ٣:٨) وكأنه زميل له.

ولكنّ هذا الحوار الهادئ لم يستمر، فانقطع باستقلال الإنسان في القرار البشري السلوكي، طالباً لنفسه معرفة الخير والشر، مستقلاً عن خالقه. فأصغى إلى الحيّة (للتراب، للأرض، للحم والدم، للحكمة البشرية الضالة المضلّة)، فأمسى عبداً للجهل والخطيئة (روم ٥:١٢)، إنساناً «عرياناً من نعمة الله، عتيقاً (قول ٣:٩)، يموت أبدياً (روم ٦:٦؛ أف ٤:٢). رغم القطيعة من قبل الإنسان، يبقى الله إله العهد، يحاور الإنسان، لأنه مصرّ على تنفيذ مشروعه الخلاصي (روم ١-١١).

وبانقطاع الحوار الإلهي البشري بسبب خطيئة الإنسان، تخربط الحوار بين آدم وحواء. فمن كانت أمس لحماً من لحم آدم وعظماً من عظامه، صارت من قبله تلك المرأة المشتكى عليها لتبرئة الذات من مسؤوليّة الخطيئة التي قطعت العهد والحوار. فبخطيئته نكث الإنسان العهد الأول الذي قطعه الله مع الإنسان الذي صنعه على صورة الله. «إن قصد الله الأول والأساسي في الإنسان... لم يبطله الله، حتى بعد أن نقض الإنسان العهد الأول الذي بتّه الله معه»[٢].

من الواضح أنّ الله، بعد امتحان الفردوس، وفشل الإنسان، استمرّ يحاور آدم وحواء. «لم يترك الإنسان ولم يهمله، بل كأب كثير المراحم أدبّه، وبالشريعة وعده، وبالأنبياء هداه»[٣]. فكان من الله الوعد بالخلاص، والعهد بإرسال المخلّص من نسل الإنسان بالذات.

١- أيوب شهوان، «كلنا مدعوون للشركة الحقة في العهد»، **بيبليا**، نيسان – حزيران، ١٠ (٢٠٠١) ٢-٥.
٢- يوحنا بولس الثاني، **العمل البشري**، ١٤:٩:١٩٨١، ٤ و٩.
٣- راجع نافور مار يعقوب أخي الرب (في القدّاس الماروني).

٥- الله يحاور نوح. لا يسلّم الله بقطع الحوار، لأنه لا يرضى بهلاك الضالين والخطأة. فيختار نوحاً، ويقيم معه عهداً. وعلامة هذا العهد بناء فلك النجاة. يتفهّم نوح الإرادة الإلهية ويطيع، وينفّذ الفلك تماماً في كلّ تفاصيله، كما أمره الرب. نرى في نوح آدم جديداً. يدرك نوح إدارة الله. ونرى حواره صمتاً يتجسّد في طاعة كاملة. أليس هكذا يكون حوار المختار ليكون أباً لخليقة جديدة تولد على غمار ولادة جديدة ؟ !

هكذا انتهت الإرادة الإلهيّة الخلاصية عن طريق مياه الطوفان (تك ٦:١٧-٢٤) إلى عهد مع نوح البار في جيله (تك ٧:١) الكامل، المخلّص (تك ٧:١ و ٧ و١١) المختار، يضمن وفاء الله وأمانته نحو البشرية جمعاء (تك ٩:١-١٧). فبنوح «كانت المصالحة في زمن الغضب... وأقيمت معه عهود أبدية لكي لا يهلك بالطوفان كلّ ذي جسد» (أش ٥٤:٧-٩؛ سي ٤٤:١٧-١٨؛ حك ١٢:٤-٥؛ ١٤:٦).

هذا، وإنّ العهد القديم الذي أبرم مع نوح سوف يتحقّق بملئه في نظام جديد، نوح جديد، المسيح، حيث يتوصّل عمل الله الخالق إلى جعل الإنسان والعالم المطهّرين والمحرّرين والمخلّصين يعيشان في تناسق وتناغم وحوار دائم.

فالطوفان هو عهد خلق جديد، مشروع عرضه الله على نوح. وتجاوب نوح مع الله، فبنى السفينة، وسيلة الخلاص والخلق الجديد. تنشأ تعزية نوح من الكلمات التي تعهّد بها الله بعد الطوفان: أن لا يعود يلعن الأرض مرّة أخرى (تك ٨:٢١). وهكذا يكون نوح، بتجاوبه مع المبادرة الإلهيّة الجديدة، قد صالح الأرض وسكانها مع الخالق المجدّد.

٦- وسفر التكوين هو أيضاً قصة دعوة إبراهيم (تك ١٢-١٩). يدعو الله إبراهيم ويحاوره. فيكون العهد مع إبراهيم (تك ١٥:١-٢١). الله هو دائماً صاحب المبادرة بالعهد وبدء الحوار. إبراهيم العائش في الوثنيّة، يدعوه الله ليذهب إلى أرض يريه إيّاها لاحقاً. يتجاوب إبراهيم وجوابه انطلاقة صامتة منسجمة كلياً مع التدبير الإلهي. هذا هو منطق الحوار من قبل المختار ليكون «أباً لأمم كثيرة»، «كرمل البحار ونجوم السماء !» وعد الله إبراهيم بـ «إبن العهد»، إسحق. «فآمن إبراهيم بالرب، فحسب له ذلك برّا» (تك ١٥:٦). وبروح إيمان إبراهيم يوجّه سلوكه، لأنه مبدأ عمله وطاعته. ويكون العهد مع إبراهيم حواراً يقيمه الله معه.

شاخ إبراهيم وشاخت ساره وهي أيضاً عاقر. تشكّى إبراهيم إلى الله لأنه لم يرزقه ولداً، وسيكون وريثة قيّم بيته ألعازر الدمشقي (تك ١٥:١-٤). ولكن الرب سيعيد الأمور إلى نصابها بكلمة ميثاقه، وسيرسل ملاكه. حين تراءى الملاك لإبراهيم وعقد معه ميراثاً، قال له: «لا تخف، يا أبرام. أنا ترسٌ لك» (تك ١٥:١)، أي أنا أحميك ولا أريد لك الموت.

وظلّ إبراهيم مؤمناً بوعد الله رغم شحوب الرجاء. حبلت ساره وولدت إسحق. إذا بالله يطلب إلى إبراهيم أن يقدّم ابنه إسحق ذبيحة محرقة. سار إبراهيم وابنه إسحق إلى جبل التقدمة، قائلا لابنه: «الله يرى». فالحوار من قبل الإنسان يمكن أن يكون بغير الكلمة. يكون بتسليم المنطق البشري المحدود لحكمة الله الأمين لوعده: «الله يرى». فالذي خلق من العدم بمبادرة مجّانيّة، لا يعجزه أن يرى نسلاً لإبراهيم.

٧- وبعد إبراهيم، يظهر الله للآباء الذين يبرم معهم عهدا (تك ١٧:٧؛ ٢٦:٤؛ ٢٨:١٥). أثناء إقامة العهد (تك ٣٤:٩-١٠)، ينطق الله بالوعد بحضوره المرافق لشعبه (تك ٣:١٣-١٥؛ ٣٣:١٦): «الله معنا» (أش ٧:١٤؛ مز ٤٦:٨)، «الرب هناك» (حز ٤٨:٣٥)، أي في المدينة المقدسة، ولجميع الأمم (أش ٤٥:١٤-١٥)، للعالم كلّه (ملا ٣:١؛ زك ١٤:٥و٩). إنّ الله يحاور الأمم جميعاً.

٨- في مصر، يدعو إله إبراهيمَ موسى، ويظهر له، ويعده بأن يكون معه، ليقود إسرائيل إلى أرضه (خر ٣:١-١٥). يجيب موسى على هذه المبادرة الإلهيّة بإيمان: «سيبقى ثابتا» (عب ١١:٢٣-٢٩). إنّ موسى هو وسيط العهد الذي يقوم عليه التدبير القديم، ومن ثمّ فهو أيضاً الوسيط الذي عن طريقه يبيّن الله لشعبه المتطلّبات الناجمة عن ذلك العهد (مز ١٠٣:٧). فالله دعا موسى ليحرّر إسرائيل ويبرم العهد ويعطي إسرائيل الشريعة ويقيم طقوس الشريعة.

«أنا اخترتك»، قال الله لموسى. نظرت إلى مذلّة شعبي المقهور المستعبد. إذهب وقل لفرعون ليخرج شعبي من العبودية، لأني أريد شعباً يعبدني بحرية. وتوالت حوارات موسى مع الله ولقاءاته مع فرعون. وكانت نتيجة حواراته مع الله أن دخل في خط الله المحرّر، وصار هو «المخلّص». وكان أنّ وعد الله قد تمّ، و«بذراع قويّة» أخرج اللهُ الشعبَ من العبودية على يد موسى، في منتصف القرن الثالث عشر قبل المسيح (حوالي ١٢٧٥ ق. م.).

وفي وجود الشعب في الصحراء، دعا الله موسى إلى الجبل، جبل حوريب،

للتحاور في شأن الشعب. وكان التجلّي الإلهي (خر ١٩:١٦-١٩). وكانت علامة الحوار الناجح لوحَا الكلمات العشر (الوصايا؛ خر ٢٠:١-٨) التي تعبّر عن إرادة الله المحرِّر. ويطلب الله من الشعب الحوار معه على الموجة نفسها، حفظ الوصايا، طريق الحوار الناجح، طريق السعادة، برضى إله العهد والوعد؛ وقال بنو إسرائيل: «كلُّ ما يتكلم الرب به نفعله» (خر ٢٠:٨)؛ وأكمل الشعب المسيرة صوب أرض الميعاد، أرض الحريّة.

٩- وعلى مثال موسى، كان الأنبياء. إنّهم رجال «الكلمة»، «كلمة الله»، المدفوعون بروح الله. إنهم محاورو الله والشعب والملوك وخدام الهيكل. في وعظهم، أرادوا حضّ الشعب على القيم الدينية والأخلاقية، وتذكيره بالعهود المعقودة بين الله وبينه، وعليهم المحافظة على العهد لأن الله «أمين» عليه. لم يتوانَ الأنبياء عن تذكير الشعب بمقتضيات العهد. كانوا يبشّرون بعهد جديد لا يكون مجرد إحياء شرائع وتقاليد ماضية، بل به يغيّر الله ما في القلوب أو يحفر فيها شريعة روحه (إر ٣١:٣١-٣٤؛ حز ٣٦:٢٥-٢٧). وتكلّموا باسم الله من أجل الفقراء والمستصغرين والمقهورين (أش ١١:١-٥)، والذين لا يحاورهم المسؤولون، لا المدنيّون ولا الدينيون. أن يُظلم المستصغرون والفقراء، ذلك إثم فظيع يقطع كلّ حوار مع الله واتّصال به (أش ١:١١-١٧).

ويدعو الأنبياء إلى التوبة التي هي حوار الخاطئ مع الله الغفور. وفضلا عن كونها تذكُّراً للزلّات، تكون في الوقت نفسه التماساً موجّهاً لذاكرة الله (حز ١٦:٦١-٦٣؛ نح ٧-٩)، وعند الصفح، يذكر الله العهد بفضل ذاكرته التي هي ذاكرة الحب (١ مل ٢١:٢٩؛ إر ٣١:٢٠)، وينسى الخطيئة (إر ٣١:٣٤).

ويبشّر الأنبياء بالتجديد الروحي (إر ٣١:٣٣)، ثمرة لعهد جديد سوف يجعل من الشعب مسكناً لله (حز ٣٧:٢٦-٢٨).

١٠- إيليا يحاور الله والشعب وكهنة باعال والأرملة والملك آحاب. أرسله الله إلى نهر كريت (١ مل ١٧:٣و٥). وكانت الغربان تعوله (١ مل ١٧:٥). جفّ النهر. وقال له الرب بأن يذهب إلى صرفت صيدا (١ مل ١٧:٩ و١٠). أرسله الله ليدربه على روح التمييز، ليميّز الإله الحقيقي من الإله الوثن. والتمييز يتمّ من خلال عمل نبويّ حقيقي، مبادرة إعلان حقيقة إيمان: يتمّ شفاء اليتيم إبن أرملة كنعانية. وهكذا يُظهر رحمة الله والخلاص. وأرسل الرب إيليا إلى آحاب. ووبّخ النبيُّ آحاب. فجمع آحاب أنبياء البعل إلى جبل الكرمل، وبدعاء إيليا، نزلت نار من السماء. فقتل إيليا أنبياء البعل. بلغ إيزابيل ما صنعه إيليا وهدّدته بالقتل. هرب إيليا وظهر له الرب في حوريب.

في رسالته إلى أهل روما، ينقل لنا بولس صرخة إيليا، يشكو همّه لله لكون الشعب قد قتلوا أنبياءه وهدموا مذابحه، «وبقيتُ أنا وحدي» (١ مل ١٩:١٠ و١٤)، فيجيبه الرب: «لقد أبقيت لي سبعة آلاف رجل، لم يسجدوا للبعل» (١ مل ١٩:١٨). الـ «سبعة آلاف» هم استمرار العهد والحوار. معهم يكمّل الله عهده وحواره في وجه باعال وعجل الذهب.

١١- أيوب يحاور الله. يفسح الله في المجال للبطل المتألم من دون سبب ليدافع عن نفسه ويدين السلوك الإلهي (أي ٤٠:٨-١٤). لكن أيوب يرفض قبول التحدي ويكتفي بالندامة على الاعتداد بنفسه (أي ٤٢:١-٦)، ويمسي اعترافه محتّما: «لذلك أرجع عن كلامي وأندم في التراب والرماد» (أي ٤٢:٦)، وهكذا يُستأنف الحوار، ويترسّخ العهد من جديد.

نصل إلى العهد الجديد، عهد الحوار بيسوع المسيح.

إنّ الكتاب المقدس، بعهديه العتيق والجديد، يتمحور كلّه حول شخصية يسوع ابن الله.

١٢- حوار ملاك البشارة مع مريم العذراء المخطوبة (لو ١:٢٦-٣٨)، هو أخذ وعطاء، عرض وتجاوب، إختيار وقبول. وجواب مريم: «ها أنا خادمة الرب».

بعد مطلع يقدّم لنا المشهد والأشخاص (أليصابات، جبرائيل، مريم، يوسف، آ ٢٦-٢٧)، نقرأ الحوار الذي يشكّل جوهر الخبر، وينقسم إلى مرحلتين (آ ٢٨-٣٣ وآ ٣٥-٣٧)، نميّز السؤال المركزي في آ ٣٤. وترد خاتمة قصيرة فتنهي آ ٣٨ المشهد.

القسم الأول من الحوار (لو ١:٢٨-٣٣): يبدأ الحوار بسلام الملاك جبرائيل لمريم عذراء الناصرة. يحيّي الملاك مريم بالسلام (آ ٢٨). تضطرب مريم من كلامه، يطمئنها الملاك من قبل الله بأنها ستحبل بابن الله. وأعلن لها: «الرب معك». ويفسّر ما قاله: لأنها ستلد طفلاً

يكون المسيح المنتظر. ينتهي الخوف. ويصير الله حاضراً: «الرب معك»؛ نحن أمام نداء الفرح الذي يعلن نداء نعمة الله الخيّرة.

القسم الثاني من الحوار (آ ٣٤-٣٧): تبدأ هذه المرحلة بسؤال في آ ٣٤: «كيف يكون ذلك، لأني لا أعرف رجلاً» ؟ لقد اختار الله مريم أمّاً، على أن تكون عذراء. إنّ بتوليّة مريم ترتبط بنداء الله لها: «الروح القدس يحلّ عليك، وقدرة العلي تظلّلك». لعبت آ ٣٤ دور المفصل في الحوار لذي يورده لوقا، فوصلت الحوار الأول بالحوار الثاني. كانت مريم عذراء، وأكّدت بتوليّتها حين دعاها الله لتكون أمّ المسيح. شكّلت آ ٣٥ العنصر الجوهري في الحوار كلّه. يعلن الإنجيل تدخّل الروح القدس: «الروح القدس يحلّ عليك». إن ما يعمله الروح الخلاق منذ بداية العالم (تك ١:٢)، يعمله في حشا مريم، فينتج فيها الحبل البتولي بالمسيح ابن الله، المسيح المنتظر (لو ٤:٣٤ و٤٤؛ رسل ٩:٢٠ و٢٢).

وتأتي نهاية الحوار: أعطيت علامة لمريم (آ ٣٦-٣٧). فقالت: «ها أنا خادمة الرب». نحن هنا أمام فعل إيمان (آ ٤٥) ومحبّة. وينتهي المشهد على قبول مريم. تبدو عظمة مريم بصورة خاصّة حين وعت السر وأدركت كلّ عمقه، فاستسلمت لمتطلّبات عمل الله[٤].

١٣- يسوع، في بيت أبيه، في هيكل أورشليم، وهو في الثانية عشرة من عمره، وجدته مريم ويوسف، يحاور العلماء في الهيكل. مريم ويوسف وجدا يسوع «بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالساً مع معلّمي الشريعة، يستمع إليهم ويسألهم» (لو ٢:٤٦). وكان الحوار ما بين مريم ويسوع: «يا بني، لِمَ صنعت بنا هكذا» ؟ ويجيبها يسوع: «ألا تعلمان أنّه عليّ أن أكون في ما هو لأبي؟»: حوار هادئ على طريقة سؤال وجواب. يوضح يسوع بعض سرّه، لأمّه العذراء مريم، وهي بعد لا يمكنها فهمه. ويوسف يصغي بصمته التأملي المعهود (متّى ١:١٩).

بعد هذا، تبدأ حياة يسوع الخفيّة.

١٤- حوار السماء والأرض في اعتماد يسوع. في كلامه عن تعميد يسوع على الأردنّ، يورد متّى حواراً قصيراً حيث يبدأ يوحنا يمانع قائلا: «أنا المحتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ» (متّى ٣:١٤). ينخرط يسوع في جموع الخطأة المنتظرين الخلاص. يتضامن معهم. اعتمد يسوع أيضاً مع جميع الشعب (لو ٣:٢١). «حُسِب مع الأثمة»، يقول أشعيا (٥٣:١٢). وهكذا يفهم لوقا صلب يسوع بين لصّين: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣:٤٣). فـ «اليوم»، الآن، «السماوات مفتوحة» (رسل ٧:٥٦)، والطريق إلى الآب سالك، وقلب الإنسان يستطيع أن ينفتح على الله.

١٥- حياة يسوع العلنيّة حوار مع الآب وتلاميذه والجموع. حين اعتمد يسوع، سمع صوت الآب: «أنت ابني الحبيب، بك ارتضيت». وفي التجلّي سمع صوت الآب أيضاً يقول: «هذا ابني الحبيب، فله اسمعوا». وفي العرس في قانا الجليل، قالت مريم للخدام: «إصنعوا ما يأمركم به». وكلّ حياة يسوع تحقيق لعهد الله وحواره مع البشر. أعمال يسوع أعمال إلهيّة، لا يعملها «إلاّ من كان الله معه» (يو٣). و«إذا جاء المسيح، ألعلّه يصنع من الآيات أكثر ممّا صنع هذا الرجل»؟ (يو ٧:٣١). وتعاليم يسوع حوار باسم الآب في عهدة البشر: يعلّم التطويبات (متّى ٥:٣-١١). وبدل أن ينتظر ردّ تلاميذه، يعدنا مباشرة بـ «ملكوت السماوات». وكأنه يبلّغنا رسالته.

«بين يسوع والأعمى، بين يسوع وزكّا، بين يسوع والسامرية، بين يسوع والمخلّع... يبدأ حوار، تُبنى علاقة، تظهر ثقة متبادلة»[٥].

يسوع يحاور الفقراء (متّى ٥:٢-١٠؛ ١١:٥)، ويؤاكل الخطأة ويحاورهم، ويدعو زكا إلى النزول عن الجميزة ليستضيفه في بيته وعائلته، ولا يقاطع الفريسيين الذين يتآمرون عليه ويحاولون الإيقاع به وقتله.

بعد أن أكل التلاميذ قمحاً في حقل يعبرون فيه، «في السبت»، احتجّ عليهم الفريسيون وتذمّروا لأنهم «يعملون ما لا يحلّ عمله يوم السبت»، فلا يجوز أن يعملوا يوم السبت. وبعد حوار مع يسوع (متّى ١٢:٢-٦)، أفهمهم معنى الآية «أريد رحمة لا ذبيحة» (متّى ١٢:٧)، ووضع المحبّة في المقدمة، وختم قائلا: «إبن الإنسان سيد السبت» (متّى ١٢:٨).

٤- راجع: بولس الفغالي، **إنجيل لوقا**، الجزء الأول، الرابطة الكتابية، ١٩٩٤.

٥- يوسف ضرغام، من محاضرة بعنوان «الخلاص في الكتاب المقدس»، في **الكتاب المقدس تعليم وحياة**، منشورات طريق المحبة، الجزء العاشر، ص ٩٣.

وما هدف الحوار بين يسوع وتلاميذه (متّى ١٦:١٣-٢٠) ؟ ما هي أبعاد جواب بطرس ليسوع ؟ ما هو دور بطرس في الكنيسة ؟ هل سلطان الحلّ والربط في الكنيسة، هو سلطان يسوع نفسه ؟ كيف نفهم ذلك ؟

وفي مثل السامري الصالح (لو١٠)، رأى يسوع في تصرّف السامري الحوار الحق الحكيم الفعّال الخيّر. هذا هو الحوار الذي يتجسّد في التضامن، الذي هو معلومة دينية وخلقيّة في آن. هنا يلتقي لوقا بمتّى: «كنت مريضا فزرتموني» (متّى ٢٥:٣٦). يسوع آتٍ ليقيم المجروحين ويعيدهم إلى الطريق السويّ، لأنه «هو الطريق» (لو ١٤:٦).

مثل الإبن الضال (لو١٥:١٢-٣٢) هو مثل الحوار الوالدي مع الابنين: الابن الأصغر لأبيه: «أعطني حصّتي من الأملاك» (آ ١٢). تجاوب الأب مع ابنه. أخذ الابن ماله المادي. بذّر ماله. عاد. استقبله أبوه، عامله أحسن معاملة. عاد الابن الأكبر من الحقل. رفض أن يدخل البيت. خرج إليه أبوه يرجوه: «أنت معي في كلّ حين. وكلّ ما هو لي فهو لك» (آ ٣١). الابن الأكبر يعمل حسابات ماديّة. الأب لا يعمل حسابات. يحاور ابنيه مجاناً وبمحبة أبويّة صافية. الماديات في نظره في خدمة الإنسان والعائلة. حاورَت الأبوةُ البنوة، فأعادت الأخوّة، وعاد البيت الوالدي بيت حوار العائلة. فلا يصحّ الحوار إلاّ في قلب الآب، في حضن البيت الوالدي، في اللقاء الجامع الشامل الودّي الهادئ. هكذا يعود الابن الأصغر، «الشاطر»، إلى قاعدة البنوّة، ويعود الأبن الأكبر إلى الأخوّة، متجاوزاً مادّيته وأحكامه المسبقة وأنانيّته الانفصاليّة. فالمطلوب في الحوار الناجح التوبة إلى الأصول والتركيز على المبادئ، واحترام القيم، واللقاء في بيت الآب، في الملكوت الروحي.

هكذا يسوع، باسم الآب، يحاور الجماعتين، اليهود والوثنيين، ليجعل منهم جماعة واحدة، شعباً جديداً، كنيسة، عائلة روحية، محورها المحبة، وحول هذا المحور يتحاور أعضاؤها المؤمنون بالمسيح. فـ «من هو في المسيح هو خلق جديد» (٢ قور٥:١٧).

حوار يسوع ونيقوديم ليلاً حول الإنسان الجديد، ضرورة الولادة الجديدة، الولادة من الروح (يو ٣:١-٢١). يقسم الحوار بين يسوع ونيقوديم إلى ثلاثة أقسام: عمل الروح القدس (آ ١-٨)، وعمل الابن (آ ٩-١٥)، وعمل الآب (آ ١٦-٢١). وموضوع الحوار واحد، الولادة الجديدة هي الإيمان بالله، بالآب والابن والروح القدس. يحدّث يسوع نيقوديم عن رؤية «ملكوت الله» والولادة الجديدة (آ ٣)، «من جديد»، «من عَل» (يو ٣:٣١)، بالمعمودية. فيها يموت المعمّد مع يسوع عن إنسان عتيق خاطئ ليعود فيحيا معه إنساناً جديداً نقياً (٢ كو ٥:١٧).

علاوة على الاستعمال الكثير للمتناقضات (مثلاً روم ٥-٦، الخ)، «وهو أسلوب كتابي مألوف، يلجأ بولس غالباً إلى أسلوب الحوار والنقاش في رسائله، وهو أسلوب هلّيني رواقيّ، به يتخيّل الكاتب، ويتصوّر شخصاً معارضاً له ولأقواله. ثم يروح يجيبه موضحاً المقال، ومبيّناً الحق، ليقنعه ويستميله إلى فكرته. إنه تصوّر وأسلوب أدبي من وضع الكاتب، لا إشارة حقيقية إلى أشخاص تاريخيين واقعيين (روم ٢؛ ٦:١-٢ و١٥؛ ٧:٧؛ ١١:١-٢؛ ١ كور ٩:١-٧)».[٦]

١٦- كتاب أعمال الرسل هو حوار الروح مع الرسل، ومن خلال شهادة الرسل وكرازتهم، مع اليهود والوثنيين. وموضوع الحوار: سرّ المسيح: «إنّ يسوع هذا هو المسيح».

الخاتمة

«الدعوة التي يوجّهها الله لإقامة حوار مع الإنسان تبدأ ببدء الحياة».[٧]

«كما أنّ المسيح نفسه تفحّص قلوب البشر وقادهم بالحوار الإنساني الحق إلى النور الإلهي، كذلك تلاميذه، المتغلغل فيهم روح المسيح تغلغلاً عميقاً، فليعرفوا الناس الذين يعيشون في ما بينهم، وليتحاوروا معهم، حتى يعلّموهم، بالحوار الصبور المخلص، ما هي الكنوز التي وزّعها الله بسخائه على الأمم».[٨]

يبقى الحوار نهجاً إلهياً في عهدة البشر. إنّه تعبير العهد الإلهي الخلاصي. فهو موقف روحي.

٦- كلية اللاهوت الحبرية، أونجليون. **الرسائل والرؤيا** (لبنان، ١٩٩٢) ٦٤٧.

٧- **الكنيسة في عالم اليوم**، ١٩:١.

٨- **قرار في نشاط الكنيسة الإرسالي**، ١١.

العهدُ حوار

الأب جان عقيقي

بعد الخلق تأتي قصّة العهد، وبين القصّتين أكثر من صلة وقربى:

كلاهما قصّتا إله خالق، آخر، يتكلّم ويمدّ يده إلى خليقة ضعيفة، هي صنع يده، يريدها نداً له في القوّة والعظمة. فنراه يجاملها، ويجالسها، ويقاسمها المأكل والمشرب حيناً، ويتوعّدها بالضربات أو ينتقم منها حيناً آخر، حتّى يدعوها، في نهاية المطاف، إلى وليمة سماويّة قدسيّة قد يكون المدعو أهلاً لها أو لا يكون. وأخطأ من ظنّ أن في هذه وحدها تكمن الغاية الأخيرة لبنود العهد الأوّل، إذ غاب عن الحسبان أمر التدبير الإلهي، الذي، وإن بدأ بالكلمة، فلأنّه يريد من الإنسان، بين الخلائق مجتمعة، أن ينطق بدوره، تاركاً له حريّة الاختيار بين الكلمات، حتّى ولو استوقفته معاني الأبديّة بعد الأزليّة التي سُبق عليها.

هكذا، ولأن القصّة الأولى بدأت بكلمة «كن» وكان الوجود[1]، أكملت الثانية، ولم تخطأ، فيما ترتّب على الموجود من وجوب الردّ على فعل الأمر الإلهي، وكانت آمين هي سيّدة الموقف الأمين. عليه، صمتت الكلمة الأولى في اليوم السابع[2]، وكأنّها كانت تدعو بصمتها صورتَها، مثيلَها، ليتكلّم. وبدأ الحوار، ولمّا يتوقّف حتّى الساعة، أقلّه على مسمع ومرأى المؤمن البسيط.

نعم، العهدُ حوارٌ!... هل يكون غير ذلك؟.. ولكن، إن صحّ القولُ فيه، وتمّ التأكيد عليه، فهل يسلّم أصحاب المنطق السليم والعقلانيّة المفرطة بصدقيّة حوار بين داعٍ آمر، ومدعوّ مطيع، بين إلهٍ خالق وإنسان مخلوق؟ «وهل تقول الجبلة لجابلها لماذا صنعتني هكذا؟»!!

في هذه الإشكاليّة الجدليّة نحاول الولوج إلى مسألة إنسانيّة البعد تجمع بين متطلّبات الروح ومستلزمات العقل. هي معضلة شقّ حلّها على المتبحّرين بالعلم، والتنقيب، والتمحيص في الحروف ومعاني الكلمات، وصعب فهمها عند المستسلمين لنبضات الأحاسيس المتقلّبة المعايير والهواجس. وكانت بوادر الحلّ الممكن في محاولة تعلو على الحسّ والعقل، وتتمطى الروح لتتركه بعد تحليق سريع في عالم الممكن والمعقول، فتتخطّاهما وتلج إلى عالم أبعد، قد يكون اليقين.

الله هو البادئ

بالنسبة إلى المؤمن، الله هو البادئ في هذا الحوار. هو صاحب المبادرة، وهو سيّد العهد، رابطه والمجيز له وحده حقُّ حلّه. الإنسانُ، في هذه الرواية، مدعوٌّ

---

١ – نشير إلى أنّ كلمة «وجود» في اللاتينيّة *ex-sistere* = être ex, expulsé، تعني المنفي، أي في لغة الخلق البيبلي، مبعد عن تجاوزيّة المطلق، كما عن السرّ. يعود ذلك إلى طرح مشكلة أنّ الموجود لا يصنّف كشيء، جوهر، أو شخص، إنّما كفارغ من المعاني؛ وهذا ما يصل بالفكر إلى طرح الموجود كمبعد عن الانسجام اللامحدود الذي يملك على الصمت الأبدي، أو كما يريده هيجل، في مفهومه للتمثّل وللغيريّة الإلهيّين: ما كان مختلفاً على الإطلاق. هكذا كان على الإنسان أن يتكلّم، ويحاور، ليصل بوجوده المنفي إلى صورة الخالق، والخالق من العدم.

٢ – أنظر Paul Diel, *Le symbolisme dans la Bible* (Payot, 1994) 53-54

لا شك في أن احترام يوم السبت بندٌ أساسيّ في بنود العهد بين الله الخالق والإنسان المخلوق. وقد ذكّر به غالبيّة الأنبياء بعد الآباء.

للمخاطبة، مرفوعٌ إلى مرتبة ليست له، تسوغ له حقَّ المشاركة[٣] في الإلهيّات. والجواب المقنع (مجازاً) أنّ الله، الفائق الطيبة[٤]، أحبّه، واصطفاه، وأراد مخاطبته؛ وللتعليل، وصل البعض إلى القول، وبعد الفيض في المجانيّة، إنّ حاجةً للحوار نشأت في الأزليّة، وسئم الله وحدته[٥]، فتكلّم أوّلاً وثانياً وأبداً.

لا يسعنا، في هذا المجال، تجاهل أبعاد الجدليّة القائمة على فن المخاطبة والحوار البنّاء. فبعدما كان الحوار هو الفنّ الجدلي بامتياز، حسب أفلاطون، وصلت الاجتهادات الكنطيّة في الجدليّة التجاوزيّة (transcendentaler Schein) إلى طرح إمكانيّة تخطّي كل حدود للاختبار العملاني، وفرض لعبة التفكير العقلاني المنطقي، على طبيعة النفس والعالم والله. من هنا، إذا كان الإنسان حيواناً ناطقاً، متكلّماً في الأساس، فمن البديهي أن يطرح مسألة العلاقة مع الله كمسألة جدليّة وحده قادر عليها. وكانت التكملة مع هيجل، الذي رأى في حوار الله مع الإنسان ضرورة لانفتاحه على الغيريّة – «وإن لبرهة» –، كشرط أساسي لتحقيق ذاته كما يجب. وهذا ما بقي في ذاكرة المخلوق من آثار الألوهة في لحظات تمثّلها[٦]، وخروجها نحو الغيريّة والموضوعيّة: إذ كان على الإنسان، أن ينفتح على الله، هذا الآخر، ليحقّق آخر وأبعد ما يمكن تحقيقه.

أمّا بالنسبة إلى الروّاد العهود القديمة والحديثة، فبقيت مسألة الجدل والحوار بين الخالق والمخلوق، متّسمة بالخجل والوقاحة في آن. وهل أقرب على الفكر اليهودي البيبلي من ترهات الرحّل الاستثنائيّين، ذوي النفوس الثائرة والمنفعلة ضمناً، والمتديّنة «المتمسكنة» جهاراً، لترسم صورة الله الواحد القادر على العطاء والأخذ، على الوعد والوعيد، «المميت والمحيي»، ترساً–ذريعة، في وجه الأبطال الذين لا يستحون بإله يسكر ويقاتل معهم؟ فكان إلههم في هذه الصورة أكبر من أن يحاور، وأبعد من أن يُقارب. مع ذلك، تجرّأ هذا الإنسان على رفع عينيه إلى العلى ملتمساً ما يعتبره حقّاً له على الخالق. هكذا استرسل في التهليل يوماً، وفي النحيب أيّاماً، ودعا الله إلى مائدته، حيث أبرمت أولى الاتّفاقيّات البشريّة الإلهيّة، وكان العهد مع أبرام، وإسحق ويعقوب. والأقرب إلى هذه الصورة الغامضة، ما كان من أمر أولئك الرحّل الآخرين، الذين وصلوا في اتّفاقيّاتهم إلى سنّ عهود خطّتها، في اعتقادهم، يدُ الله نفسُها بلغة القوم. واستساغ المناصرون المكتوبَ، ضامرين بدورهم تفوّقَ الرسالة، فهبّوا يناضلون لأجل الله، واستباحوا القتل والغزو لنصرة الدّين، فكان منهم المنصورون والمنتصرون على الكفّار والمشركين. ولا زلنا نشهد أعمال الغزو، والقتل، والهمجيّة المستوحاة كلّها من سفر العهود المكتوبة، وكأنّي بهم يقرأون، ويفهمون، ويسمعون، ويحاورن بلغة العهد الذي به ارتبطوا. وهل يبقى العهد عهداً إذا ما أردف بالعمل الصائب؟

في هذه وتلك، نجد أنّ الحوار المزعوم بين المرتبطين بالعهد إنّما هو حوار عملاني، بمعنى «أعطني لأعطيك»؛ وما قصّةُ الله العليّ السرمديّ، المحبّ الرحوم سوى محاور ثابت أرادته صحوة شعب باحث عن الاستقرار، أقلّه فكريّاً ومعنويّاً، بمواجهة مصير غلبت عليه العصبيّة والعنصريّة، والحقد والتقتيل. أمّا الأجدر بالأخذ في عين الاعتبار، فهو ما تخفيه حقيقة الأولويّة المعطاة لله في إبرام العهد وضمانه، علماً أنّ الأقوى هو الموافق على العهد وليس صانعه، بعكس ما تمليه لعبة القوانين التي تأبى دون الأقوى سيّداً لها.

الإنسان البادئ

من ناحية ثانية، تأتي موازية لما سبق، نرى أنّ هناك محاولةً أخرى، قد تكون مؤمنة أو لا تكون، تضع في مقدّمة اهتمامها ما كان من مؤهّلات ومقدّرات الإنسان الواصل إلى التفوّق، حتّى إلى

٣– المشاركة حسب مفهوم ديونيسيوس الأريوباجي، كليمنضوس الإسكندري وأوريجانوس، وهي ترجمة لكلمة «تأليه» الموازية لكلمة «تأنيس» (Théosis et Théandrie).

٤– «لأنّ الله فائق الطيبة، لم يكتفِ بتأمّل ذاته، فحسن عنده أن تشاركه الخلائق طيبته، وأعماله الصالحة»، يوحنّا الدمشقي، **في الأمانة الأرثوذكسيّة**، المقالة الأولى، ٢:٢ ؛ ٤:١٣.

المهمّ عند الدمشقي أن حواراً نشأ بين الله والإنسان في فعل الخلق بالذات: ففعل الخلق الإلهي هو فعل عقلاني: «الله خلق وهو يفكّر»، وقد تكلّم، وأعطى الإنسان أن يبادله هذا الأمر، أوّلاً بالاعتراف به إلهاً خالقاً، وثانياً، بدوزنة أعماله ومشاريعه على تصميم الله ومشيئته. وليس الأكويني بعيداً عن هذا التفكير.

٥– حسب اجتهادات فيخته وغيره من فلاسفة ولاهوتيي عصر الأنوار والمثاليّة التي تلت.

٦– Représentation.

فرض حقوق وواجبات على الألوهة. فخيط ثوب العهود بمسلّة البشر الساعين إلى فرض رؤياهم واجتهاداتهم الفكريّة على من اعتبروه أهلاً للقيام بدور المحاور، حافظ العهد، ومثبّت أمر التفوّق والإقدام. هكذا كان الله المحاور صورة أخيرة ونهائيّة لما يريده الإنسان ويراه. فلأن تاريخ البشريّة المتصارعة، والمتحاربة مليء بعهود واتّفاقيّات، طالما نُقضت وتغيّرت مع كلّ ريح، تولّدت عند الإنسان حاجة إبرام عهد قد يتفوّق على عهود البشر فيما بينهم، ويعلو، بخاصة، على رباط الزواج، الذي ينوء بدوره تحت ثقل التغيير، إن لم نقل الخيانة[٧]، وكلّ ذلك بعد فقدان الحوار الحقيقي والمخلص. هي حاجة، إذن، إلى عهد ثابت أبديّ، ضمانته هذا الآخر الأبدي الوفاء والإخلاص وليس الإنسان المتقلّب.

وإن أمعنّا النظر في خلفيّات الأمور، توضّحت أمامنا أسئلة كثيرة شغلت بال البشريّة منذ نشأتها، خلاصتها علامة استفهام واحدة: أفطريّة[٨] هي هذه الحاجة إلى الثابت، أم أنّها وليدة سعي دؤوب وطويل؟ فأبعد من مقولة أنّ الثابت الوحيد في حياة البشريّة هو التغيير واللاثبات – إن في الدوران الدائم، أو في الخط العامودي المستقيم–، نجد ثباتاً وحيداً في الهاجس الذي يقضّ مضجع المفكّر، والحالم، والساهي: إنّها فكرة الثابت دون شك. لا تُطرح هذه الفكرة على سبيل اللعب على المتناقضات، إنّما لأنّها تصبّ في خانة ما كان مؤسِّساً في طبيعة الإنسان، والمسؤول وحده عن ديناميّة رفع العيون إلى فوق.

ولأنّها كذلك، ولأنّ الإنسان مجبول على المتناقضات، طلب حواراً مع الثابت، لعلمه أنّ العهد خاضع لقوانين اللعبة ذاتها. قد يعود الأمر إلى استسلامه هو أمام متطلّبات التغيير، وما تتضمّنه كلمة التحديد من سحر وإغراء. فثبات الله على عهده ضمانة أكيدة على سلامة فكره، وصحّة رؤياه خاصّة إذا كان الثابت هو الله الذي لا يُدرك لأنّه الجديد، الأزليّ الأبديّ.

الخلاصة

وحده المسيحيّ، ابن العهد الجديد، قادرٌ على طرح مثل هذه الإشكاليّة دون خوف أو تردّد، لأنّه يقرأ صكوك العهد في قلبه[٩] وروحه، وليس على ألواح من حجر؛ ولأن كاتبها إله متجسّد خط هذا التجديد بدمه[١٠]. من هنا ولأن حلاً جديداً، «الجذري الوحيد»، أقيم، حواراً بين أب وبنيه، صارت العلامة أبعد وأعمق ممّا يربط الغمامة بالأرض[١١]، لأنّها إحساس وجوديّ، تركته يد الخالق عندما أراد أبناءً وليس عبيداً: إنّه الحب. عليه تقاس علاقة المسيح بكنيسته، كما تقاس علاقة الزوج بزوجته.

من أحبّ يثبت على الحبّ. ففي ثباته هنا تغييرٌ دائم، لأنّه مبنيّ جوهريّاً على أساس القبول بالآخر والانفتاح عليه، دون خوف، بلا خجل، ولا موارية، إذ تحقّقت فيه المصالحة بين الأنا والأنت، وذاب تصادم الضدّين. هذه هي الخلفيّة الجوهريّة لكلّ عهد ولكلّ حوار. فكيف أحاور أو أعاهد، إن لم أكن أعترف بالآخر؟ إن كنت لا أرى في الأفق سوى أنا متسلّطة، وجاهلة. جاهلة، لأنّ المعرفة، كالحب، تشترط الإصغاء سابقاً للكلام، والانفتاح مناصراً لفهم الذات، والاعتراف بقدرات الآخر زخماً يضاف إلى المقدرة الشخصيّة.

في هذه الأنا الساعية إلى تحقيق ذاتها باستمرار في عمليّة قبول الآخر، تتوضّح آخر معالم الفكر الحرّ القادر على فهم واستيعاب الثابت في التجديد. فالإنسان الذي يبرم معاهدة مع الله ليس شخصاً شموليّاً، أو نموذجاً واحداً يحاور الله، بل هو كلّ إنسان فرد، في غنى أحاسيسه وأفكاره وهواجسه وتصوّراته؛ والله هو الثابت الوحيد على التجديد ليقبل بمحاورة الإنسان كما هو، فيقيم معه العهد الثابت، أقلّه من جهته. وبقدر ما تنسجم رؤى الإنسان وأفكاره مع بساطة الداعي إلى الحوار، نجحت لديه أساليب وإمكانيّات المحافظة على العهد بأمانة وإخلاص.

٧– يكفي أن نرى ونسأل لماذا يصوّر هوشع علاقة الله بشعبه كعلاقة رجل بامرأته الخائنة، وكيف يسامحها باستمرار ويردّها إلى البيت العائلي، عروساً جديدة في كلّ مرّة، بعدما نسي كلّ «البعال» التي ارتبطت بهم.

٨– نعود هنا إلى الدمشقي القائل بهذه الفطرة التي يتميّز بها «الإنسان صاحب الطبع السليم والصافي الفطرة»، لمعرفة الله؛ قد وضعها الدمشقي في أولى البراهين لمعرفة وجود الله، لأنّها ما زرعه الله نفسه في طبع كافّة برياه. راجع المقالتين الأولى والثالثة من **الأمانة الأرثوذكسيّة**.

٩– إرميا ٣١:٣٣.

١٠– متّى ٢٦:٢٨؛ مر ١٤:٢٤؛ لو ٢٢:٢٠؛ ١ كور ١١:٢٥؛ عب ٨:١٠ و ١٠:٢٩؛ وليس بدم الكبش الذي أهرقه موسى على الشعب: خر ٢٤:٨.

١١– تك ٩: ١٢–١٧.

رحمة بعهد مقدس
(لو ١: ٧٢)

الطالب عماد غميض

لوقا الإنجيلي

مقدمة

«أظهر رحمته لآبائنا وذكر عهده المقدس» (لو ١: ٢٧). تندرج هذه الآية في نشيد زكريا الذي أنشده عند ولادة يوحنا، وتبيّن كلماتها عميق الصلة مع العهد القديم. من خلال هذا النشيد، يبرز عمل الله الخلاصي للبشر الذي تمامه مجيء المسيح الرب ؛ فما يقوم به يسوع من أعمال الرحمة هو دليل على تركيز الإنجيلي على أنه «المخلّص».

في بحثنا هذا ننطلق من تدخل الله في العهد القديم، لنصل إلى العهد الجديد، وهذه الانطلاقة ستكون من اختيار الله للآباء، وإعلانه لهم عن قصده وأهدافه ؛ فمن إبراهيم واختباره إلى موسى ومسيرة خروجه بالشعب، إلى اكتشاف رحمة الله، حيث أنها تظهر في نجدته للبائسين وخلاصه للخطأة، ورحمته التي تشمل كل إنسان، ننتقل إلى الكلام على العهد وما فيه من أمور، كالقسَم، والتذكار، والعبادة، والأمانة، والبركة، لننتهي بالكلام على العهد المقدس بالمسيح يسوع.

هذه المسيرة كلها تعتمد، لا على نص الآية وحسب، بل على إطار النص وما

يُحيط به من مشاهد وأقوال تدعمها ؛ فالغاية من هذه المسيرة هو تأكيد مسيرة تحقيق الخلاص، الذي بلغ ذروته بيسوع المسيح.

١- إطار النص

بعد لوحتي بشارة زكريا ومريم العذراء (لو ١: ٥-٥٦)، يضعنا لوقا أمام لوحتين ترسمان ولادة مَن بُشر بهما (١: ٥٧-٢: ٢١). ففي الأولى، مولد يوحنا وخبر ختانته، ثم نشيد المباركة ؛ وفي الثانية، خبر ميلاد يسوع، مع نشيد التمجيد الذي يطلقه الملائكة، ثم ذكر الختانة.

نحن في إطار الحديث عن مولد يوحنا المعمدان، حيث حان وقت أليصابات لأن تلد، فإن الرب «رحمها رحمة عظيمة» (لو ١: ٥٨)، فغمرت الفرحة الجميع، تحقيقاً لقول الملاك الذي سبق وأعلن له: «ستفرح أنت به، سيفرح بمولده كثير من الناس» (١: ١٤)، فامتلأ زكريا من الروح القدس، وأطلق نشيد مديح لله.

نشيد المديح غالباً ما كان يُتْلَى لشكر لله على خيراته، وفي الغالب هو مرفوع إلى الله، ويبدأ بالمباركة: «تبارك الرب إله إسرائيل...» (آ ٦٨)، وهي شبيهة بالصلاة التي تتلى في المجمع: «مبارك أنت أيها الرب إلهنا وإله آبائنا...، الذي تذكر أعمال آبائنا الحسنة، فأقام فادياً لأبنائهم»[1]، وهذا قريب جداً من نشيد زكريا: «مبارك الرب... (آ ٦٨)، ليرحم آباءنا ويذكر عهده المقدس (آ ٧٢)، وأقام لنا قوة الخلاص» (آ ٢٩). إذاً لنشيد المديح الذي أطلقه زكريا أصول في العهد القديم، وهو تعبير عن تدخل الله الخلاصي في حياة الشعب الإسرائيلي.

تقسم صلاة زكريا إلى قسمين: قسم أول في صيغة الغائب (تفقد، أقام)، يتحدث عن تدخل الله في الحياة (آ ٦٨-٧٥)، وقسم ثان في صيغة المخاطب (آ ٧٦-٧٩)، وفيها يتحدث زكريا إلى الصبي باسم الرب، فيحدد له مهمته كسابق للمسيح: «وأنت أيها الطفل... تسير قدام الرب». لا يحافظ النص على الغائب والمخاطب، رغم أن هاتين الصيغتين مسيطرتان. ففي القسم الأول نجد أفعالاً في صيغة الماضي: «تفقد»، «عملَ فداء» (افتدى) (آ ٦٧)، «أقام» (آ ٦٩)، «قال» (آ ٧٠)، «أقسم» (آ ٧٣)، وهي تدل على تدخل الله. ونتيجة هذا التدخل نجدها في أفعال ترد في صيغة المصدر: «رحمة منه»، «ذكراً لعهده» (آ ٧٢)، «لإعطائنا» (بأن يعطينا، آ ٧٣)، «لخدمته» (حتى نخدمه، نعبده، آ ٧٤).

أما في القسم الثاني فنجد أفعالاً في صيغة المضارع، وهي تدل على المستقبل الذي يعرفه هذا الطفل: «ستدعى، ستسير قدام الرب» («تتقدم»، آ ٧٦). ثم في صيغة المصدر أيضا: «لتهيئة» (آ ٧٦)، «لإعطاء المعرفة» (التعلم، آ ٧٧)، «ليضيء»، «ليهدي» (آ ٧٩).

إن التركيز على الغفران والخلاص والرحمة غير مستغرب عند لوقا، فالرحمة تشكل الصفة الرئيسية لله عنده: إحياء وحيد الأرملة في نائين (لو ٧: ١٣)، ورواية السامري، ثم الابن الضال، الخ. فيسوع عند لوقا هو المسيح حقاً، هو حامل الخلاص، وهو المحرر من الظلمة وظلال الموت.

في هذا النشيد تظهر رحمة الله لزكريا وامرأته أليصابات حيث أنهما طعنا في السن ولم يرزقا ولداً، وهذا بالنسبة إلى اليهود عار. فمولد يوحنا هو كرامة استرجعت، وهو تعبير عن حنان الله، لا فقط لزكريا وأليصابات، بل للعالم أجمع، حيث يوجّه لوقا الأنظار، من خلال مولد يوحنا، إلى يسوع الذي هو المسيح المخلص. من خلال هذا النص يعرض لوقا تاريخ إسرائيل، مما يعني أن دراسة هذا النص لا تكتمل إلا بالرجوع إلى الزمن الذي فيه ظهرت أعمال الله لشعبه، أي زمن الآباء الذين معهم صنع الرب الرحمة وأقام عهوده وأعطى مواعيده. فالله نفسه الذي صنع الخلاص لآبائنا هو نفسه ينقذنا ؛ هكذا أراد أن يقول زكريا في نشيده، وهذا ما سيوضحه لوقا، لكي ينتقل من زمن إسرائيل إلى زمن يسوع المسيح، كمال العهد ومحققه، ليصل إلى زمن الكنيسة، وهذا ما نراه في أعمال الرسل[2]. فحوى هذا النشيد نجده في آية واحدة تتوسطه وتعبر عنه بإسهاب، وهي الآية ٧٢: «أظهر رحمته لآبائنا وذكر عهده المقدس».

٢- مضمون النص

أ- الله والآباء: اختيار واختبار

كلمة «أب» أطلقت في العهد القديم على من هو رأس العائلة وتعترف به

١- صلاة الثماني عشر اليهودية.

٢- الفغالي بولس (الخوري)، **إنجيل لوقا ظهور الكلمة والرسالة في الجليل** (سلسلة دراسات كتابية ٣، الرابطة الكتابية، بيروت، ١٩٩٣) ١٤٦-١٥٠.

الزوجة كسيد، «بَعَل» (تك ٢٠: ٣)، وهو رب («آدون»، ١٨: ١٢)، وعليه تقوم مهمة تربية الأولاد (سي ٣٠: ١-١٣)، وعقد الزيجات (تك ٢٤: ٢-٣؛ ٢٨: ١-٢)، والتحكم في مصير البنات (خر ٢١: ٧)، بل نراه قديماً يتصرف في حياة الأبناء نفسها (تك ٣٨: ٢٤؛ ٤٢: ٣٧). فهو يجسد العائلة بأجمعها محققاً وحدتها (تك ٣٢: ١١)، فنسمي حينئذ «بيت آب»، أي البيت الأبوي (٢٤: ١٩). في نظام الملكية اعتبر الملك «أبا» للأمة (اش ٩: ٥)، وكان يُطلقُ على الكهنة (قض ١٧: ١٠؛ ١٨: ١٩)، وعلى المستشارين الملكيين (تك ٤٥: ٢٨؛ أس ٣: ١٣؛ ٨: ١٢)، وعلى الأنبياء (٢ مل ٢: ١٢)... ويتفرع عن الأب «سلالة»، فيُعتبر هو أصلها، فإنه بإنجاب البنين يخلد ذاته ويساهم في بقاء جنسه، مع ضمان حفظ التراث العائلي لورثة من صلبه (تك ٥: ٢-٣). يحمل الآباء مسبقاً مستقبل الجنس البشري: فكما أن لعنة ابن حام تتضمن خضوع الكنعانيين لأولاد سام، كذلك يجد إسرائيل سر عظمته في اختيار الله له[٣].

ب- الله يختار إبراهيم ويختبره

يحتل إبراهيم - كأب للشعب المختار - مركزاً ممتازاً في تاريخ الخلاص. فدعوته ليست مجرد نقطة البداية في تدبير الله، لكنها أيضاً تحدد الاتجاهات الأساسية لهذا التدبير. تسير حياة إبراهيم كلها في ظل مبادرة الله الحرة. يتدخل الله أولاً، فيختار إبراهيم، ويُظهر له كَرَماً لا حدّ له، فيعطيه أرضاً (تك ١٢: ٧؛ ١٢: ١٥-١٧؛ ١٥: ١٨؛ ١٧: ٨)، ويباركه، ويكثر نسله إلى أقصى حد (١٢: ٢؛ ١٦: ١٠؛ ٢٢: ١٧)، ثم تتجلى مجانية وعوده بالابن إسحق. هكذا يوجز إبراهيم في شخصه حياة شعب الله المختار بدون أي استحقاق سابق؛ وكل ما كان مطلوباً منه قبل كل شيء الإيمان، وقبول تدبير الله بدون تحفظ.

يعطيه الله وعداً بأن به وبنسله تتبارك جميع أمم الأرض (٢٢: ١٨)، فالله «يحلف لإبراهيم أن كل الأمم سيباركون في نسله» (سي ٤٤: ٢٢؛ تك ٢٢: ١٨). لم يقطع الله عهداً مع إسماعيل، ولا بعد ذلك مع عيسو، بل مع إسحق ويعقوب (١٧: ١٥-٢٢؛ ٢١: ٨-١٤)، وقد حدد وعوده لهما (٢٦: ٣-٥؛ ٢٨: ١٣-١٤)، وهما بدورهما نقلا الوعود والبركة كميراث لذريتهما (٢٨: ٤؛ ٤٨: ١٥-١٦؛ ٥: ٢٤)[٤].

ج- دعوة موسى

يقبل موسى دعوة الله الذي أظهر له نفسه، وأعلن اسمه وقصده للخلاص، وأبلغه رسالته، ومنحه القوة اللازمة لإتمامها (خر ٣: ١-١٥)، خاصة أنه سيكون معه (٣: ١٢)، وأنه الأكثر أمانة من بين جميع عبيده (١٢: ٢-٨)، وعامله كصديق (٣٣: ١١). ونال موسى نعمة فريدة، ألا وهي إعلان اسم الله ومجده (٣٣: ١٧-٢٣). وبحديثه معه من وسط الغمام يعتمده الله قائداً لشعبه (١٩: ٩؛ ٣٣: ٨-١٠).

يقوم دور موسى النبوي على المحافظة على العهد، وتهذيب الشعب المتمرد (هو ١٢: ١٤)، والتشفع من أجل شعبه، والتضامن معه[٥].

د- اختبار شعب الله

بدأ إسرائيل يعي اختيار الله له، وذلك بعهد يعقده معه. ففي مرحلة أولى يُدعى الإنسان إلى الالتزام تجاه الوعد فيحدث اختبار لإيمانه، كما حصل لإبراهيم ويوسف وموسى ويشوع (عب ١١: ١-٤٠؛ سي ٤٤، ١؛ ٢ مك ٢: ٢٥). وتشكل ذبيحة إسحق دون شك الاختبار الأمثل (تك ٢٢)؛ فلكي يصل الله بالوعد إلى تمامه، يجب على الإنسان أن يعبر عن إيمانه بطاعة حرة تقوم بتطابق الإرادتين. ويمر إسرائيل، بعد خروجه من مصر، بتجربة عدم الإيمان: إنه شك في حضور الله الخلاصي أثناء محنته في البرية (خر ١٧: ٧)، وهذا الرفض للإيمان يحاكم إسرائيل عليه، فلا يكتمل الفصح إلا للنسل المؤمن، وهو وحده الذي يرث أرض الميعاد.

بيت الله عهداً مع هذا الجمع الذي كوّن منه شعباً. تلك هي المرحلة الثانية التي تم فيها اختبار أمانة الشعب للعهد، ويمكن تسميتها: «اختبار المحبة». فترة الاختبار هذه لم تكن كلها تثير موضوع الإيمان بكلمة الله أو الأمانة نحو العهد، بقدر ما طرحت موضوع تنفيذ الوعد الإلهي نفسه.

٣- كلمة «أب» في **معجم اللاهوت الكتابي** (المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٩١).

٤- راجع كلمات «إبراهيم»، «اختبار»، «اختيار» في **معجم اللاهوت الكتابي**؛ الخوري بولس الغفالي، **سفر التكوين** (المجموعة الكتابية، ٢، منشورات المكتبة البولسية، جونيه، ١٩٨٨) ١٩٤.

٥- أنظر كلمات «موسى»، «دعوة»، «اختبار» في **معجم اللاهوت الكتابي**.

٣- رحمة الله

تقع «الرحمة» في ملتقى تيارين من الفكر هما: الرأفة والأمانة. فيعبر اللفظ الأول، «الرأفة (بالعبرية «رحاميم») عن الارتباط الغريزي الكائن بكائن آخر، ويتمركز هذا الإحساس، بحسب العقلية السامية، في بطن الأم («رِحِم»، ١ مل ٣: ٢٦ ؛ أنظر أيضاً إر ٣١: ٢٠ ؛ مز ١٠٣: ٣ ؛ تك ٤٣: ٣٠ ؛ مز ١٠٦: ٤٥ ؛ دا ٩: ٦). أما الكلمة العبرية الثانية، «حِسِدْ»، فتترجم في اليونانية بكلمة ελεος، وتعني هي الأخرى الرحمة، ولكنها تشير إلى «التقوى»، أي العلاقة الروحية التي تربط كائنين معاً، وتتضمن الأمانة. والترجمة لهذه الألفاظ العبرية واليونانية، في اللغات الحديثة، تتراوح بين الرحمة والمحبة، مجتازة معاني مختلفة: الحنان، الشفقة، الرأفة، الحلم، والطيبة، بل حتى النعمة. بالرغم من هذا التنوع نستطيع أن نحيط بمفهوم الرحمة في الكتاب المقدس حيث إنها من البداية حتى النهاية تظهر رحمة الله وحنانه تجاه الشقاء البشري[٦].

أ- نجدة البائسين

نرى في الكتاب المقدس أمثالاً عديدة لرحمة الله، وخاصة لنجدته للإنسان ؛ فلا يتوقف مرنم المزامير عن إطلاق صراخ النجدة: «إرحمني يا الله» (مز ٤: ٢ ؛ ٦: ٣ ؛ ٩: ١٤ ؛ ٢٥: ١٦)، ولا يصرخ طالباً النجدة إلا من يعلم أن من يصرخ إليه رحوم ويستطيع أن يرحمه. إنها تنطلق من العلاقة بين شخصين، فيطلب الواحد من الآخر رحمته، وخاصة عندما يخطئ له. ولا يتوقف الله عن إبداء هذه الرحمة نحو الصارخين إليه في ضيقاتهم، كما أنه يبدي رحمته لسائر «بني آدم» أيّاً كانوا، وهو يظهر نفسه، في الواقع، المدافع عن المسكين والأرملة واليتيم... ؛ فهو يشملهم بعطف خاص.

إن الخروج من مصر هو بنظر رجال إسرائيل الأتقياء من أعمال الرحمة الإلهية، مع أنّ كلمة «رحمة» لا ترد في سياق القصة. والروايات الأولى بشأن دعوة الله لموسى توحي بذلك بوضوح: «إني قد نظرت إلى مذلة شعبي...، وسمعت صراخهم...، وعلمت بكربهم...، فنزلت لأنقذهم» (خر ٣: ٧-٨ و١٦-١٧). فالله في رحمته، لا يحتمل مذلة شعبه المختار، إذ هو يرتبط به إلى الأبد برباط الحنان.

ب- رحمة الخطأة

رغم أن الشعب ابتعد وانفصل عن الله بخطيئته، إلا أن الله، برحمته، سيخلصه. فحنانه الإلهي يتغلب على الخطيئة: «الرب إله رحوم، حنون، طويل الأناة، كثير المراحم والوفاء، يحفظ الرحمة لألوف، ويغفر الذنب والمعصية والخطيئة، ولا يتزكى أمامه الخاطئ، ويفتقد ذنوب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع» (خر ٣٤: ٦-٧). سوف يلقي اختبار الأنبياء على تاريخ شعب الله، نبرات ذات طابع إنساني رفيع، فيعلن هوشع أنه، رغم أن الله قرر ألا يعود يرحم إسرائيل بعد (هو ١: ٦)، وأن يعاقبهم، إلا أنه «يتغلب فيه فؤاده وتضطرم مراحمه»، فيعتزم ألا يدع غضبه يتفاقم (١١: ٨-٩). وعليه فإن هذه العروس الخائنة سوف تدعى من جديد «مرحومة» («رُحَمَه»)، أي أنها نالت الرحمة (٢: ٢٣). ويقول الله: «أليس أفرائيم ابناً لي عزيزاً، ولداً يلذ لي؟ فإني منذ كلمته لم أزل أتذكره، فلذلك حنّت أحشائي إليه وإني سأرحمه رحمة» (إر ٣١: ٢٠ ؛ أش ٤٩: ١٤-١٥ ؛ ٥٤: ٧). الله يرحم الخاطئ لكي يتوب ويعود إليه.

ج- رحمة شاملة

لا يحدّ الرحمة الإلهية سوى قساوة قلب الخاطئ (أش ٩: ١٦ ؛ إر ١٦: ٥ و١٣). وكان الشعب الإسرائيلي يعتبر أن الرحمة هي وقف عليه وحده، ولكن الله، بسخائه المذهل، بدد أخيراً هذا التفكير البشري الضيق (هو ١١: ٩). ويصرح ابن سيراخ بوضوح: «رحمة الإنسان لقريبه، أما رحمة الله فلكل ذي جسد» (١٨: ١٣).

٤- تذكر العهد

أ- العهد في قصد الله

قبل أن يختص العهد («بريت») بعلاقات البشر مع الله، فهو يرجع إلى اختبار البشر في علاقاتهم الاجتماعية والشرعية. ذلك هو الاختبار الأساسي، والمنطلق الذي بموجبه يصوّر بنو إسرائيل علاقاتهم مع الله الذي يريد أن يقود كل البشر نحو حياة الشركة معه، وهذه الفكرة الأساسية بالنسبة إلى عقيدة الخلاص هي المتضمنة في مفهوم العهد.

١) الله يحب شعب إسرائيل

منذ رؤية العليقة المشتعلة بالنار، أعلن يهوه لموسى، في نفس الوقت، اسمه

٦- أنظر كلمة «اختبار» في **معجم اللاهوت الكتابي**.

ومقاصده بالنسبة إلى إسرائيل: إنه يريد تحرير إسرائيل من مصر، ليقيمهم في أرض كنعان (خر ٣: ٧-١٠ و١٦-١٧). إن بني إسرائيل هم «شعبه» (٣: ١٠)، وهو يريد أن يعطيهم الأرض التي وعد بها آباءهم (تك ١٢: ٧ ؛ ١٣: ١٥)، وهذا يعني أن الله جعل من بني إسرائيل موضع اختياره، مؤتمناً إياه على وعهده. ويأتي «الخروج» بعد ذلك لتأييد وعد حوريب: فإن الله يحرر شعبه فعلاً، ويريدهم أن يمتثلوا لأوامره ويحفظوا عهده، فإنهم يكونون له خاصة من جميع الشعوب، لأن جميع الأرض له، ويكونون له مملكة أحبار وشعباً مقدساً (خر ١٩: ٥-٦). تؤكد هذه العبارات مجانية الله وبالتالي حبه لهذا الشعب «خاصته». ألم يكن قد سبق أثناء الخروج أن «حملهم على أجنحة النسور، وأتى بهم إليه ؟» (خر ١٩: ٤). الله يعطي عهده ويبرمه مع إسرائيل لأنه يحبه، وبالتالي يحب له الحياة، فالعهد يعني الحياة والبركة[٧].

٢) تحقيق القسم

ولأنه يحبهم يريد المحافظة على اليمين التي أقسم بها لآبائهم (تث ٧: ٦-٨). فالقَسَم هو إثبات أو وعد يشهد به اسم الله على صدق ما يقال أو على إنجازه، وإن كان القول وعداً. من هنا نرى أن الله أقسم لإبراهيم بأن ينجيه من أيدي الأعداء، وهذا القسم مرتبط بالوعد المعطى لإبراهيم بنسل وأرض. ونرى الله يقول لإسحق: «أقِم في هذه الأرض، فأنا أكون معك وأباركك، وأعطي هذه الأرض لك ولنسلك، وأفي بالقَسَم الذي أقسمته لإبراهيم أبيك». يرد فعل «أقَسَم» مراراً في سفر التثنية، وهو مرتبط بالوعد بأرض تعطى للشعب، وهذا واضح بصورة خاصة في تث ٦-٧، حيث نجد أفكاراً ومفردات عند لوقا (١: ٧٢-٧٥): القَسَم للآباء، الخلاص من الأعداء، «فالرب إلهك تخاف وإياه تعبد... تعمل ما هو حق وصالح أمام الرب إلهك لتكون سعيداً وتملك الأرض التي أقسم الله لك بأن يطرد منها جميع أعدائك من أمام وجهك» (تث ٦: ١٣، ١٨-١٩). هذا القَسَم الذي يلقيه الله في مختلف المواقع والظروف في الكتاب المقدس يحمل بالطبع معنى الأمانة[٨].

٣) إعطاء البركة

البركة هي عطية تتعلق بالحياة، وتعبر عن عطية الله وسخائه (أم ١٠: ٦ و٢٢ ؛ سي ٣٣: ١٧)، وتذكّر دوماً بعطف الله. يكمن غنى البركة في غنى الخصوبة والحياة. فالبركة تُزهر (سي ١١: ٢٢)، والأب هو مصدر الحياة، بعد الله، ولديه القدرة على أن يبارك، وبركته فعالة أكثر من أية بركة أخرى، كما أن لعنته رهيبة (٣: ٨).

إن تاريخ إسرائيل هو تاريخ البركة التي وُعد بها إبراهيم (تك ١٢: ٣)، والممنوحة للعالم في يسوع «الثمرة المباركة»، «لبطن مريم المبارك» (لو ١: ٤٢). ما يهمنا هنا هو ارتباط البركة بالعهد: ففي كل عهد هناك وصية، وهذا الرابط بين البركة والوصية هو أصل العهد ذاته ؛ فالشريعة هي وسيلة لتوفير الحياة لشعب «مقدس لله»، وبالتالي «مبارك من الله»، وهذا ما تعبر عنه رتب العهد ؛ فالعبادة هي الوسيلة المفضلة لضمان توفر البركة الإلهية، ولا تكون العبادة صحيحة إلا في إطار العهد والأمانة للشريعة[٩].

ب- الله يتذكر عهده

ما يهمنا في الكلام عن التذكر هو المعنى الديني وعن دوره في العلاقة مع الله. يذكر الكتاب المقدس تذكر الله للإنسان وتذكر الإنسان لله ؛ فكل تذكر متبادل يفترض بعض الأحداث الماضية التي كانت خلال علاقة الواحد بالآخر، وهو يرمي، باسترجاع تلك الأحداث، إلى تجديد تلك العلاقة.

ترجع الذاكرة في الكتاب المقدس إلى لقاءات قد حدثت في الماضي، أقيم خلالها العهد. إنها باسترجاعها لتلك الأحداث الأولية تُقوّي العهد، وتقودنا إلى أن نحيا «اليوم الحاضر» بكثافة الحضور النابع من العهد. فالتذكار هنا مناسب للغاية، بحيث إنه يتعلق بأحداث ذات طابع ممتاز، كانت تقرر للمستقبل وكانت تتضمنه مسبقاً. والتذكار الأمين للماضي هو وحده يستطيع أن يكفل توجيه المستقبل توجيهاً صحيحاً.

١) الله لا ينسى

إنطلاقاً مما سبق نتبين أن هناك علامات من خلالها يتذكر الله الإنسان. فحدث الخلق مثلاً يجعل من الإنسان تلك العلامة المميزة لدى الله، إنه

٧- كلمة «عهد» في المرجع نفسه.
٨- كلمة «قسم» في المرجع نفسه.
٩- كلمة «بركة» في المرجع نفسه.

صورته ولذا يستطيع أن يتذكره. إن عهود الله المتتابعة مع الإنسان (نوح، إبراهيم، موسى، داود)، قد صدرت عن ذاكرة الله، عندئذ تذكر ووعد بأن يتذكر (تك ٨: ١ ؛ ٩: ١٥-١٧ ؛ خر ٢: ٢٤ ؛ ٢ صم ٧)، لكي يخلص (تك ١٩: ٢٩ ؛ حر ٦: ٥). لا يتوقف صاحب المزامير عن الإشادة بتذكر الله لبنيه، فالله «ذكرهم ولم ينسَ صراخ الوضعاء» (مز ٩: ١٢)، «ذكر أنهم بشر، ريح» (مز ٧٨: ٣٩)، «ذكر رحمته وأمانته» (٩٨: ٣)، «ذكر إلى الدهر عهده» (١٠٥: ٨)، والله لا ينسى عهداً أو ميثاقاً أبرمه مع شعبه: «إني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم، وبين كل نفس حية في كل جسد... وتكون قوس الغمام، حتى إذا رأيتُها ذكرتُ العهد الأبدي بين الله وكل نفس من كل ذي جسد على الأرض» (تك ٩: ١٥-١٦). فالرب يذكر كلمة قدسه (مز ١٠٥: ٤٢)، ويعترف الإنسان أن الله ذكره في مذلته (مز ١٣٦: ٢٣). الله لا يريد أن يتذكر خطايا الإنسان (عب ٨: ١٢)[١٠].

إن بشارة زكريا بمولد يوحنا، النبي السابق المسيح، مرتبطة ارتباطاً صحيحاً بافتقاد الله لشعبه، وهي علامة لتذكره وعدم نسيانه لشعبه ؛ هذا الافتقاد يصبح هو نفسه افتقاد المسيح، بمعنى أن مسيرة الفداء المسيحاني قد بدأت تتحقق[١١]. هذا التذكر مرتبط أيضاً بالقَسَم الذي أقسمه الله لإبراهيم (آ ٧٣)، فالله لا ينسى عهده، وبالتالي لا ينسى الإنسان المُقام لأجله هذا العهد[١٢].

٢) العبادة إيقاظ ذكرى العهد

تشمل العبادة وجهاً تذكارياً بإيقاظ «ذكرى العهد» ؛ فهذه العبارة المحببة في التقليد الكهنوتي، توضح بجلاء أن الله يتذكر شعبه، وأن الشعب يتذكر إلهه في طقوس العبادة الدورية (الأعياد والسبوت)، وحسب المكان والزمان. فبالصلاة، التي تأسست على أحداث خلاصية، تصبح العبادة أمراً أو حدثاً يُذكّر الإنسان بالله ويذكر الله بالإنسان. فيها يذكر الإنسان كل أعمال الله في الماضي، ويطلب منه صنعها في الحاضر ؛ والعبادة تقوم على بعض الشرائع والوصايا، والطاعة لهذه الشرائع هي التعبير عن هذا التذكر الذي يقوم على «حفظ طرق الرب» (مز ١١٩ ؛ حك ٦: ١٨ ؛ اش ٢٠: ٨). زكريا يوقظ ذكرى العهد هذه بعبادته وفي وقت خدمته، فيصرخ لله، والله يسمع صراخه ويستجيبه، أمانة منه لعهده، وجاعلاً من تدخله في حياة زكريا، تدخلاً خلاصياً يشمل العالم كله ؛ إنه زمن التهيئة لمجيء المسيح الرب، والذي يُعد لهذا المجيء هو يوحنا المعمدان ؛ فبولادته انبعث الفرح والابتهاج في الخلاص ؛ إنه يضع حداً لزمن الوعد ويعلن الزمن الجديد، زمن الخلاص، ويبدأ بتجديد العهد.

٥- العهد المقدس بيسوع المسيح

أ- يسوع المسيح محقق العهد المقدس

صورة المسيح عند لوقا هي صورة «المخلص الرحيم» (لو ٣: ٦ ؛ ٩: ٣٨ و٤٢ ؛ أع ١٠: ٣٨)، الذي يبشر الفقراء، ويهتم بالخطأة وبالمحرومين على الأرض، محققاً بذلك وعود الله.

١) يسوع المسيح رحمة الله المتجسدة

«تبارك الله رب إسرائيل، لأنه تفقد شعبه وافتداه» (لو ١: ٦٨). إن الله، وبدافع من محبته (١: ٧٨)، قد حقق وعوده في شخص يسوع المسيح، الذي دشن الزمن الجديد الذي ستتم فيه مواعيد العهد القديم ؛ وهكذا فإنه حقق، بمجيئه، هذه الوعود معطياً الخلاص لكل إنسان[١٣].

فيسوع، رئيس الأحبار الرحيم (عب ٢: ١٧)، لما كان عليه أن يتمم القصد الإلهي، أراد أن يشابه إخوته في كل شيء، لكي يختبر شقاء هؤلاء الذين جاء لينقذهم، لذا اتسمت كل تصرفاته بالرحمة الإلهية. ولقد اهتم لوقا الإنجيلي اهتماماً خاصاً بتوضيح هذا الجانب ؛ فالمفضلون إلى قلب يسوع هم الفقراء (لو ٤: ١٨ ؛ ٧: ٢٢)، ويجد الخطأة فيه صديقاً لهم (٧: ٣٤)، وهو من ناحيته لا يخشى معاشرتهم (٥: ٢٧ و٣٠ ؛ ١٥: ١-٢ ؛ ١٩: ١٧) ؛ وهذه الرحمة يبديها يسوع بصفة عامة نحو الجموع (مت ٩: ٣٦ ؛ ١٤: ٤ ؛ ١٥: ٣٢)، فنراه تارة يصنع رحمة نحو أرملة نائين الثكلى في «ابنها الوحيد» (لو ٧: ١٣)، وتارة أخرى نحو هذا الأب المفجوع في ابنه (٨: ٤٢ ؛ ٩: ٣٨ و٤٢) ؛ وأخيراً يعامل يسوع المرأة

١٠- كلمة «ذكرى» في المرجع نفسه.

١١- الفغالي بولس (الخوري)، **إنجيل لوقا ظهور الكلمة والرسالة في الجليل**، ص ٤٥٣-٤٥٤.

١٢- المرجع نفسه، ص ١٦١.

١٣- المرجع نفسه، ص ١٧٦.

والغريب معاملة تتميز بالرحمة ويصل الطابع الشامل للرحمة إلى كماله: «فكل بشر يعاين خلاص الله» (٣: ٦). إنّ قصد الله الرحيم في الخلاص والسلام (لو ١: ٥٠ و٥٤ و٧٢ و٧٨)، قد تم في يسوع المسيح.

٢) الخلاص بيسوع المسيح

يشير اسم يسوع إلى الخلاص: «الرب يخلص» (مت ١: ٢١)، ويدل على الخلاص الذي انتظره الشعب منذ أقدم النبوءات المسيحانية في التوراة[١٤]؛ ففي يسوع المسيح تحقق الخلاص، وظهرت محبة الله للبشر بأسمى ظهور؛ تحقق القَسَم والميراث فبدأنا نحصل عليه؛ فاضت البركة بافتقاد الله وتذكره الدائم لشعبه. ويتبين أن زكريا يرحب ببزوغ فجر الخلاص الذي وعد به الأنبياء (لو ١: ٦٩ و٧١ و٧٧)، وإن سمعان يحيّي ظهور ذلك الخلاص على الأرض في تطلع عالمي يشمل الكون كله (٢: ٣٠). وأخيراً تمهد كرازة يوحنا المعمدان، بحسب الكتاب المقدس، لسُبل الرب، بحيث إن «كل بشر يرى الخلاص الآتي من لدن الله» (٣: ٢-٦؛ اش ٤٠: ٣-٥؛ ٥٢: ١٠). وهذا الخلاص تحقق وبلغ قمته بالصليب والقيامة من الأموات.

مولد يوحنّا علامة تذكّر الله رحمته

الخاتمة

لقد رأينا في هذا العمل تدخل الله الخلاصي في حياة الإنسان، منذ أن تخلّى هذا الأخير عن الله، لكن الله لم يتركه وحيداً، بل سارع وأظهر رحمته للبشر أجمعين، متذكراً أنه هو خلقهم وهو وعدهم بميراث السماء والشركة معه في حياته الإلهية، وها هو الآن يبرهن على أمانته ويجعل من زمن مجيء ابنه زمن العهد النهائي، زمن تحقيق الخلاص. تدخل الرحمة في كيان الله، وهذه الرحمة تجلت بيسوع المسيح؛ هكذا يبرهن لوقا أن «الله أظهر رحمته لآبائنا وذكر عهده المقدس».

١٤- المرجع نفسه، ص ١٧٥.

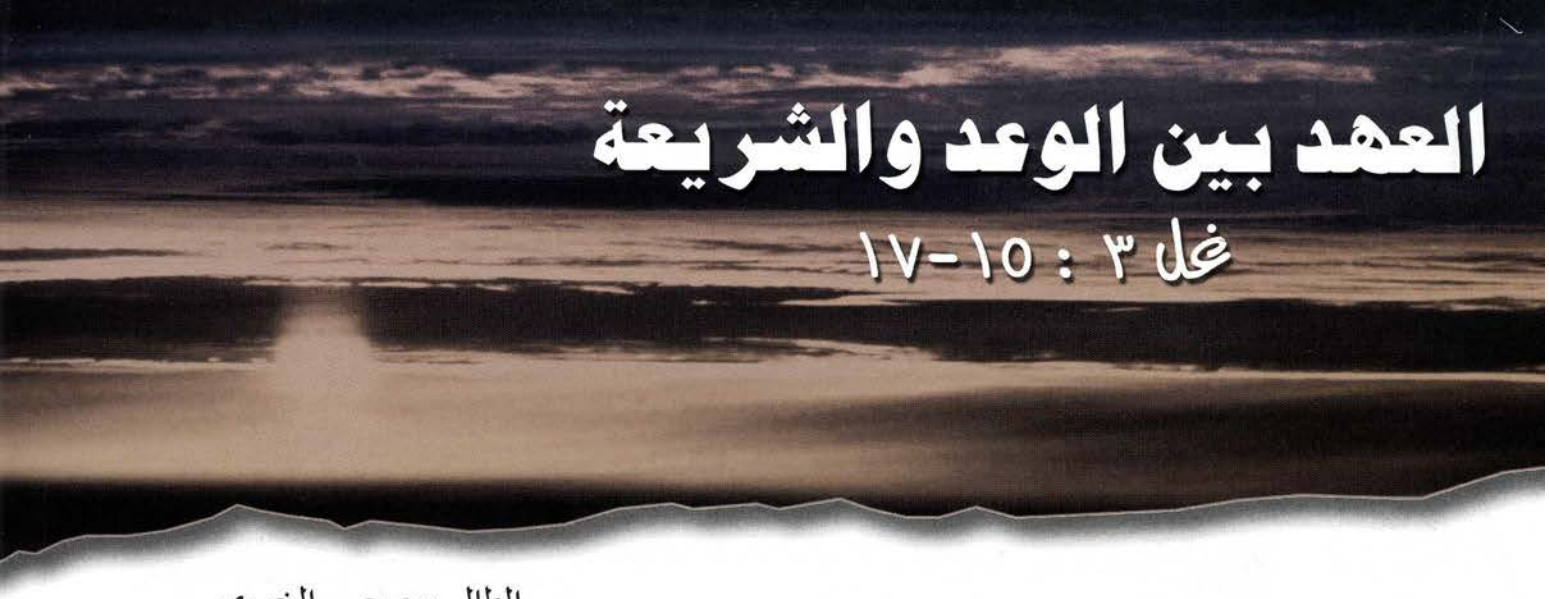

العهد بين الوعد والشريعة

غل ٣ : ١٥-١٧

الطالب جرجس الخوري

مقدّمة

يعتبر العهد انطلاقة جديدة للوحي الخلاصي في مسيرة الايمان التي يعيشها الإنسان على الأرض، وهذا العهد هو كلمة يوحي بها الله، ويوجهها إلى شخص يهتم به ويختاره من بين جماعات الشعوب اختياراً حراً لتنفيذ مخططه الخلاصي. وهنا وقع الاختيار على شخص اسمه إبراهيم. هذا الاختيار يدفع هذا الأخير إلى الانفصال انفصالاً تاماً عن كل الجذور والرباطات البشرية، طاعة لمتطلبات الله من أجل تحقيق مخططه. يبارك الله إبراهيم، والبركة هي عطاء من الله يتقبله الإنسان.

فعندما وعد الله الآباء، وعدهم بنسل كبير (تك ١٣: ٦؛ ١٥: ٥؛ ١٨: ١٨) وأرض خصبة؛ والوعد لإبراهيم يتعداه، وبنسله، ليصل إلى كل الشعوب، لأن الخلاص دخل به التاريخ. أما الشريعة فإنها لم تمنح كشرط لهذا العطاء الإلهي، بل فرضت على الخطأة لتكشف لهم أنهم عبيد للخطيئة، ولتبين لهم أن الخلاص هو بالايمان بالمسيح. يوضح بولس في رسالته إلى أهل غلاطية أن البركة والميراث والوعد تجد كمالها في المسيح، لأنه هو نسل إبراهيم الحقيقي ووارث المواعيد المجانية التي أعطيت لإبراهيم، والشريعة لم تقدر في ما بعد أن تبدل شيئاً في هذه الترتيبات (غل ٣: ١٥-٢٢). يشدد بولس على الطابع العابر للشريعة، ويبين أن الله لا يلزم نفسه بها كما بالوعد.

سنعالج، في ما يلي هذا الموضوع الذي طرحه بولس الرسول، إنطلاقاً من غل ٣: ١٥-١٧.

إطار النص

يدور بحثنا إذاً حول نص غل ٣: ١٥-١٧، الذي يسبق دفاع بولس الذي يقدم براهينه الكتابية للمتهودين في ٣: ٦ي. ويريد الرسول من ذلك أن يجيب على سؤال محدد: من هم أبناء إبراهيم الحقيقيون ؟ لمن تعود البركة التي وُعد بها إبراهيم ؟ ويورد بعض التلميحات التي ترجع إلى الكتاب المقدس، مثل «آمن بالله فحسب له براً» (تك ١٥: ٦)؛ بك تتبارك جميع الأمم (تك ١٢: ٣؛ غل ٣: ٨)؛ «البار بالايمان يحيا (حب ٢: ٤؛ غل ٣: ١١). نلاحظ أن موضوع الايمان يشرف على النص، لأن بولس يريد أن يفسّر كيفية نيل البركة والايمان، ويتوجه إلى قرائه بكلمات مثل: «افهموا»، «اعرفوا»، وغيرها، هدفها الوصول إلى المعرفة الايمانية، وإلى تقبل أقوال الكتاب المقدس؛ ويقابل موضوع الايمان موضوع الأعمال التي تفرض الشريعة على المؤمن أن يتمها، لأنّ مَن يتمها يحيا بها (غل ٣: ١٢).

سيستعيد بولس كل ما قاله على الوعد والبركة والايمان، مشدداً على وجهات من براهينه؛ فالآية ١٥ تهدف إلى الإجابة على اعتراض المتهودين الذي قد يستجوبونه قائلين: ماذا فعلت بالشريعة؟ أما أعطاها الله على سيناء ؟

يهدف هجوم بولس على الشريعة في غلاطية إلى القول بأنها أساساً تقود الناس إلى المسيح كمربٍّ ناجح (غل ٣: ٢٤)، فإذا بها تقف حاجزاً بين يسوع والمؤمن. يتكلم بولس على طريقة البشر؛ فحين نكون أمام وصية أرضية لا يستطيع أحد أن يبدل فيها (غل ٣: ١٧)، حيث أننا أمام تدبير اتخذه الله، وهو الموعد، فلا يستطيع أحد أن يبدله. فبولس يركز في

باقي الرسالة على أن البر لا يتمّ الحصول عليه بالشريعة، متوسعاً في شرح دور الشريعة كمربية.

أولاً: الوعد

١- وعد الله لإبراهيم

يظهر الله محبتّه بإعطائه الوعد، وبتأكيده بأنه لن يخيب أحداً أبداً: «ليس الله إنساناً فيكذب، ولا كبني البشر فيندم»(عد ٢٣: ١٩). فالوعد بالنسبة إليه هو إعطاء مسبق، ولكنه، أولاً، إعطاء الإيمان القادر على الانتظار حتى تأتي الهبة، وهو بفضل هذه النعمة، يجعل الآخذ أهلاً للشكر (روم ٤: ٢٠)، ومهيأً للتعرف من خلال الهبة على قلب الواهب[١].

يحدثنا سفر التكوين (١٧: ٥) عن أبرام، الذي كشف الله له نفسه للمرة الأولى في التاريخ إلهاً حياً وشخصياً، فلبى أبرام هذه الدعوة الأولى بطاعة تامة. ومن الأمور المهمة في هذا السياق، هي أن الله ظهر لإبراهيم ووعده بأن أمماً وملوكاً منه يخرجون ويرثون هذه المواعيد الأدبية؛ وغيّر الله اسم أبرام إلى إبراهيم الذي يعني أنه سيكون أباً لجمهور من الأمم، وأعطاه الختان كعلامة العهد الأبدي، والوعد بمولد إسحاق، وغيّر اسم ساراي إلى سارة، ومن ذلك الوقت أصبح الختان فريضة في بيت إبراهيم (تك ١٧: ١-٢٧). واختباراً لأمانة إبراهيم، امتحنه الله، وكان هذا الامتحان قاسياً، إذ طلب منه أن يقدم ابنه الوحيد إسحق ذبيحة؛ وفي طاعة كاملة شرع إبراهيم في تنفيذ ذلك الأمر، لكن، وفي اللحظة الأخيرة، أرشده الله إلى الكبش الممسك بقرنيه ليقدمه فدية عن اسحق[٢].

٢- العهد مع إبراهيم

«الدياتيقي»التي يجري الكلام عليها في غل ٣: ١٥ يوجد حولها جدل، ليس بسبب الجملة بالذات، بل بسبب التطبيق الذي يلي في ٣: ١٧. فالمعنى واضح في ٣: ١٥ بالنسبة إلى القارئ اليوناني، الذي يفهم كلمة «دياتيقي بمعنى «وصية». ويساعد على اعتماد هذا المعنى وجود كلمة «إنسان»التي تعني هنا أننا أمام «وصية»وليس عقداً أو عهداً. فالدياتيقي المبرمة مسبقاً مع إبراهيم ليست من إنسان، بل من قبل الله بالذات.

يلاحظ بولس أن هذه «الدياتيقي»، لا يمكن إبطالها بواسطة ترتيب لاحق، ويبين لنا إطار النص أن «الدياتيقي» هنا هي تلك المتعلقة بإبراهيم، والتي أثبتها الله علناً (تك ١٥: ١٧-١٨). هذه الدياتيقي هي حصراً دياتيقي الوعد. يبرز بولس هذه الناحية في غل ٣: ١٦، ثم في ٣: ١٨.

«لإبراهيم بواسطة الوعد أعطى الله الميراث» (غل ٣: ١٨). نلاحظ أن هذا الوعد هو مقطوع للنسل، وهذا ما يتماشى جيداً مع المعنى المعتاد لكلمة «دياتيقي» التي، كما ذكرنا، تعني أصلاً «الوصية». يحاول بولس أيضاً إظهار مسألة الميراث ويتكلم عليه في غل ٣: ١٨.

فالعهد، لكي يتحقق، ويأخذ معناه الحقيقي، ويصل إلى هدفه المطلوب، يحتاج إلى أمانة والتزام. وتوضيحاً للأمر يقارن بولس بين الأمانة للوصية البشرية، وبين الأمانة الإلهية.

يتوجه بولس إلى الغلاطيين (غل ٣: ١٥) بكلمة «إخوة»، بدلاً من كلمة «أغبياء» التي كان قد ابتدأ بها في مطلع الفصل الثالث، ويوجه اهتمامه هنا في هذه الآية إلى الميراث الإسكاتولوجي الذي به قبل الغلاطيون، بفضل طاعتهم للإيمان، الروح الموعود (غل ٣: ٢ و١٤)؛ فلا يمكن للشريعة أن تثبت وعد الكتاب المرتبط بالإيمان.

وينطلق من فكرة التشريع المتعلق بالوصية؛ لذلك يقول:«كبشر أقول»، وبذلك يهدف إلى إعطاء البرهان، أي أنه يريد أن يبرهن فكرته انطلاقاً من مَثَلٍ بشري، وهذا المثل مأخوذ من الواقع القضائي في العالم الوثني، وما هو مقبولٌ في العالم أو بين الناس هو مقبول أيضاً في ما يتعلق بالله. وهنا نرى أن من يتلقى وصية محررة وموقعة، لا يمكنه أن يبطلها أو يزيد عليها شيئاً، وذلك لأن الأمانة والالتزام بالمعاهدة أو الوصية البشرية هو أمر ضروري لإنجاح أو لتكميل هذه الوصية.

فمن خلال المثل الذي أعطاه في غل ٣: ١٥ يريد بولس إثبات وعد الله الذي أعطاه لإبراهيم، والذي يعتبره فعلاً قانونياً شبيهاً بذلك الموجود عند البشر في العالم الوثني؛ فالوعد لا يتراجع الله عنه بأي حال من الأحوال، وهذا ما يمكن التثبت منه من خلال العهد القديم، حيث نجد أن الله أمينٌ، ولا تتزعزع أمانته، وصادق في كلماته، وصلبٌ في

١- الأب صبحي حموي، **معجم الإيمان المسيحي**، دار المشرق، بيروت ١٩٩٤.
٢- الأب صبحي حموي، **المرجع نفسه**.

مواعيده، وكلماته تبقى إلى الأبد (أش ٤٠: ٨).

ويطالب الله شعبه بالأمانة للعهد الذي يجدده من تلقاء ذاته (يش ٢٤: ٤)، وهذه المطالبة بالأمانة تجعلنا ندرك أن الإنسان غير أمين لمواعيده، مما حدا ببولس أن ينتهر أهل غلاطية على تراجعهم عن مواعيد الله، ويشرح الوعود التي كانت لإبراهيم[٣].

ثانياً: الشريعة والعهد

١- لعنة الشريعة الموسوية

إن للتعبير العبري «تُوراَهْ» مدلول واسع، رغم أنه أقل اتصالاً بالطابع القانوني الصرف، من التعبير اليوناني «نُومُوسْ» الوارد في الترجمة السبعينية، وهو يعني «تعليماً» أعطاه الله للبشر لتنظيم سلوكهم، وينطبق أول ما ينطبق على المجموعة التشريعية التي ينسبها تقليد العهد القديم إلى موسى. واستناداً إلى هذا المعنى التقليدي اليهودي، يطلق العهد الجديد اسم «الشريعة» على النظام كله الذي كان هذا التشريع يشكل الجزء الأساسي فيه (روم ٥: ٢٠)، مميزاً إياه عن تدبير النعمة الذي أسسه يسوع المسيح (روم ٦: ١٥؛ يو ١: ١٧)، ولو أن العهد الجديد يتكلم هو أيضاً على «شريعة المسيح» (غل ٦: ٤)[٤].

فمنذ رؤية العليقة المحترقة، أعلن يهوه لموسى في نفس الوقت اسمه ومقاصده بالنسبة إلى إسرائيل: إنه يريد تحرير إسرائيل من مصر ليقيمهم في أرض كنعان (خر ٣: ٧-١٠ و ١٦-١٧)، وإعطاءهم الأرض التي وعد بها آباءه، وهذا يفترض مسبقاً أن الله جعل من بني إسرائيل موقع اختياره، مؤتمناً إياهم على وعده. وإذ يمنح الله عهده لإسرائيل ويقدم لهم الوعود بفرض بعض الشروط، يجب المحافظة عليها بأمانة؛ وهذه الشروط هي ما نسميها الوصايا العشر. وفي الروايات التي تتداخل في كتب موسى الخمسة، نجد صيغاً متعددة لتلك الشروط التي تشكل الشريعة.

فلقد تحدثت غلاطية عن لعنة الشريعة، وناقشت سؤالاً يدور حول كيفية الخروج من اللعنة التي يقع تحتها المتعدون على الشريعة. فهنا يتجرأ بولس ويستعمل عبارة لن يستعملها في روم لما فيها من التباس، يقول: «المسيح افتدانا من لعنة الشريعة، فصار بنفسه لعنة لأجلنا، على ما هو مكتوب: "ملعون كل من علق على خشبة"، وذلك لتصل إلى الأمم بركة إبراهيم في يسوع المسيح، ونال بالإيمان الروح الذي وعدنا به (الذي هو موضوع الوعد)» (غل ٣: ١٣-١٤)[٥].

يجعلنا كلام بولس على لعنة الشريعة نكتشف ردة فعله تجاه الشعب اليهودي الذي يهتم اهتماماً رئيسياً بالشريعة ويتقيد تقيداً مفرطاً بها؛ والذي يشهد على ذلك هو جدال بولس حول التبرير بالأعمال، وبذلك يريد سمو الوعد على الشريعة، أي الوعد الذي قطعه الله مع إبراهيم الذي بإيمانه وأعماله تبرر[٦].

٢- العهد والشريعة

لما كان الحصول على الميراث الإلهي هو ما يفكر به بولس، كان من الضروري الخضوع لشريعة موسى، على أن هذه الأخيرة لا تلغي العهد المبرم مع إبراهيم، والميراث لا يتعلق بالشريعة، إنما بالوعد الذي أعطي لإبراهيم. فيميز القديس بولس بين العهد والشريعة، موضحاً إنه، لو كان الميراث من الشريعة، فلن يعرف الرب؛ والحال أن الله بوعدٍ وهب إبراهيم الميراث (غل ٣: ١٨). فالشريعة لم توجد إلا بسبب المخالفات، وقد قام بها ملائكة على يد وسيط (غل ٣: ١٩).

يريد بولس أن يتجنب أن ينسب إعطاء الشريعة إلى الله، لكي يقلل من دورها[٧]. فالشريعة ليست سوى مؤدبة تقود إلى المسيح، لكي نبرر بالإيمان (غل ٣: ٢٤)، وهي إذاً لا تنقض العهد (غل ١: ٢٣).

وعندما يتكلم بولس على الشريعة التي جاءت بعد أربع مائة وثلاثين سنة، فإنه يقصد مدة إقامة شعب الله في أرض كنعان ثم في أرض مصر، أي منذ دخول إبراهيم أرض كنعان حتى خروج موسى بالشعب من مصر. طبعاً ليس المقصود الدقة التاريخية لهذه الأرقام، إنما الزمان الفاصل بين الوعد لإبراهيم وبين الشريعة لموسى، وإنه مهما طال هذا الزمان لا يبطل الوعد حتى يتحقق في المسيح يسوع[٨].

٣- VANHOYE Albert, *La nuova alleanza nel NT* (Roma 1983)

٤- الأب صبحي حموي، نفس المرجع.

٥- الخوري بولس فغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية** (سلسلة كلام الله ٣، الرابطة الكتابية، جونية، ١٩٩٦).

٦- MUSSNER Franz, *La lettera ai Galati* (Brescia, 1987) 370 ss.

٧- الخوري بولس فغالي، نفس المرجع، ص ١٤٤.

٨- الخوري بولس فغالي، نفس المرجع، ص ١٢٧.

ثالثاً: الوعد والشريعة[٩]

١- مقارنة بين عهد الوعد والعهد التشريعي

يأخذ عهد الوعد الذي أعطي لإبراهيم معنى كريستولوجياً موجهاً نحو المسيح، وينطلق من المسيح.

يشدد بولس على أن الإنسان لا يتبرر إلا عن طريق الإيمان بالمسيح يسوع، وليس بقوة الأعمال بحسب الشريعة (غل ٢: ١٦). إن مضمون هذا المبدأ مزدوج : من جهة، يعلن بولس عدم جدوى ترتيبات العبادة الخاصة باليهودية من ختان وحفظ فرائض معينة (غل ٦: ١٢ و ١٤: ١٠)، وبهذا المفهوم تكون الشريعة مقتصرة على تنظيمات العهد القديم، ومن جهة أخرى، يشجب بولس التصور الخاطئ لتدبير الخلاص الذي يرى أن الإنسان يستحق التبرير بحفظه الشريعة الإلهية، في حين أنه في الحقيقة يتم تبريره مجاناً بذبيحة المسيح.

فعهد الوعد هو أساس الميراث، إذ به تظهر مجانية محبة الله التي بلا حدود. عهد الوعد هو بركة لإسرائيل، وبهذه البركة يحصل على الخلاص. أما العهد التشريعي فلا يرتبط إلا بكيفية تحقيق هذا الوعد المعطى من قبل الله، أي أن الشريعة بصفتها مؤدبة تجعل من يمارسها أميناً للوعد. فالعهد التشريعي لا يبطل عهد الوعد إنما يجعل إمكانية تحقيقه أسهل.

٢- اكتمال العهد بيسوع المسيح

بمجيء المخلص يسوع المسيح، لم يعد شعب الله خاضعاً لمؤدب (غل ٣: ٢٥). على أن المسيح بتحريره الإنسان من الخطيئة، يحرره أيضاً من وصاية الشريعة. وأكثر من ذلك، فإنه يرفع التناقض الباطني الذي كان جعل الضمير الإنساني أسيراً للشر (روم ٧: ١٤ و٢٥). وبهذا يكون قد أنهى النظام المؤقت؛ فهو نهاية الشريعة بما أنه جعل المؤمنين يبلغون بر الإيمان، فلم يعد هناك شرائع تولد إنساناً للعبودية.

ففي سياق الحديث عن نسل إبراهيم الذي سيرث موضوع الوعد، نجد بولس يلفت الانتباه إلى وريث هذا الوعد الذي هو يسوع المسيح (غل ٣: ١٦)، وهو أن المسيح ليس فقط وريث الوعد، إنما محققه أيضاً، إذ به تصير البركة لإبراهيم لكل الأمم، وهذا يعني أن مسيرة الإيمان بالوعد هي مسيرة تتميم الشريعة التي نجد كمالهما في يسوع المسيح محقق البركة (غل ٣: ١٤). أما الآن، وقد تم افتداء المسيح للبشر أجمعين، فمن الضروري أن يعيش الإنسان، لا تحت الخطيئة بل بالإيمان بيسوع المسيح (غل ٣: ٢٢).

الخاتمة

العهد بيسوع المسيح إذاً جعلنا لا عبيداً بل أبناء الله، وبالتالي علينا أن نعيش كأبناء الله؛ فقد صرنا بيسوع المسيح الذي هو، بحسب القديس بولس، من نسل إبراهيم، ورثةَ العهد.

مراجع:

الأب حموي، صبحي، **معجم الإيمان المسيحي**، دار المشرق، بيروت ١٩٩٤.

الأب صبحي حموي، **معجم اللاهوت الكتابي**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

الخوري بولس فغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية**، سلسلة كلام الله ٣، الرابطة الكتابية، مطابع الكريم الحديثة، جونية ١٩٩٦.

MUSSNER Franz, *La lettera ai Galati* (Brescia 1987).

VANHOYE Albert, *La nuova alleanza nel NT* (Roma 1983).

٩- الخوري بولس فغالي، نفس المرجع.

بولس خادم العهد الجديد

٢ كو ٣ : ٦-١٤

الطالب نبيل حبشي

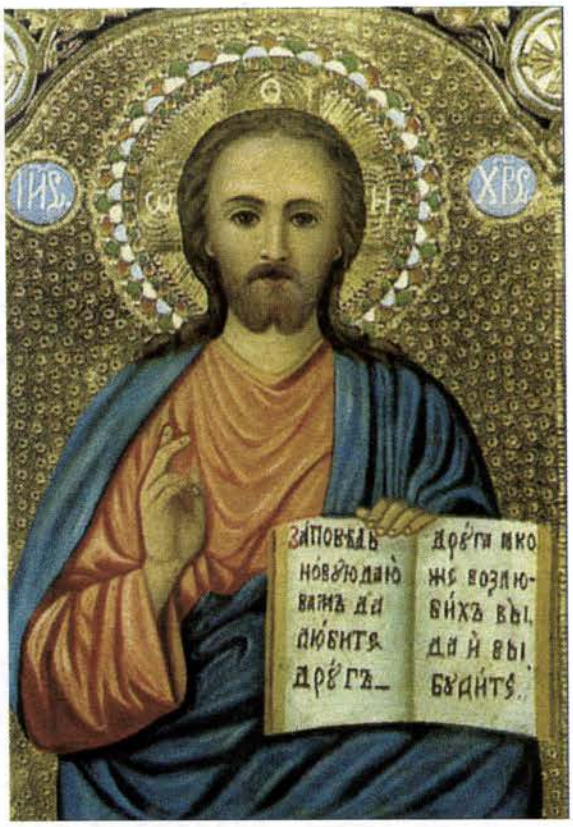

أمانة الربّ لعهد تدوم إلى الأبد

مقدمة

كان القديس بولس يعيش يهودياً محافظاً على كل شريعة موسى. إلاّ إنه، وبنعمة مجّانية، اختاره الله ليكون رسولاً وشاهداً لاسمه في كل الأمم. لذلك، فعندما قام بهذه الخدمة الشاقة، وأخذ يبشّر في كل المدن مؤسّساً الكنائس، كان يصطدم، وكثيراً من الأحيان، بالمتهودين والوثنيين. وهذا ما حدث له عند زيارته كنيسة كورنتس، حيث أراد اليهود أن يعودوا ويُعيدوا إلى الشريعة الموسوية. لذلك، بعد أن عرف بولس هذه الشريعة، واختبر عقمها، انطلق من سمو العهد الجديد. فنراه يكتب إلى هذه الكنيسة لا بالمداد، بل بروح الله الحي، على ألواح هي قلوب من لحم ودم (٣:٣). لذلك يؤكد لكنيسة كورنتس أن العهد الجديد هو مفتوح على كل الذين يتم فيهم عمل الروح، ولذا نراه يقابل بين الحرف وبين الروح. ستشكّل رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس دفاعاً بشكل تأكيد عن خدمة الميثاق الجديد.

ظروف كتابة الرسالة

كان لبولس في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس خطّة سفر من أفسس إلى قورنتس، بعد اجتياز مقدونية (١ قو ١٦:٥-١٢).

لكنه سرعان ما اضطرّ أن يغيّر خطّته، فقام بزيارة خاطفة مباشرة إلى كنيسة قورنتس، تسبّبت له بإهانة وحزن شديدين، تركا في نفسه ونفس مؤمني قورنتس ألماً مرّاً عميقاً (١:٢٣-٢:١)، وقد أتت هذه الزيارة الثانية بين زيارتين إلى قورنتس، الأولى هي زيارة التأسيس، أي سنة ٥٠، والثانية هي التي يصمّم الآن على أن يقوم بها (١٢:٤؛ ١٣:١-٢).

بهذه الرسالة القاسية استعاض بولس عن زيارته إلى أهل قورنتس، ويرجّح أنه كتبها سنة ٥٧ في مقدونيا.

بولس وكيل الميثاق الجديد

إن أسفار الميثاق القديم بالنسبة إلى القديس بولس، هي في طريقها لتصبح العهد (القديم) أو العتيق بالمقارنة مع الجديد الذي هو يسوع المسيح. لذا نرى بولس يتكلم بولس على القناع الذي ظلّ غير مكشوف إلى اليوم عندما يقرأ العهد القديم (٢ قو ٣:١٤). لذلك هو يسمّي العهد القديم «الحرف»، أي شريعة موسى، التي تفرض على الإنسان أن يعمل بها طائعاً، ولكنه لا يستطيع. فلهذا يقول إن الشريعة تعمل في أعضائنا لتثمر الموت (روم ٧:٥).

لذلك نتساءل عن السبب الذي جعل من التوراة حرفاً في زمن القديس بولس. والجواب هو لأنها انفصلت عن جذورها الحية، وأضاعت هدفها الذي هو الروح والحياة. فغارت هكذا في رمال جامدة، ولم تستطع أن تخرج منها. هنا ندرك أن العهد الجديد عند القديس بولس هو ليس نصاً يكمّل العهد القديم. فيتبيّن لنا من هذا أن العهد الجديد عند القديس بولس هو نقلة نوعية، هو انتقال مِمّا هو مكتوب، أي من الحرف، إلى ما يعيشه القلب، لأن النص بلا روح هو قاتل، كما أن الروح بلا نص ينقصه صوت يعبّر عنه عمّا في ذاته (إر ٣١:٣١).

خَدَمة العهد الجديد

بعد أن قرّر بولس الرسول سفره إلى مدينة قورنتس، قدّم دفاعه الأول عن الخدمة الرسولية. لذلك فهو يفرّق بين خدمة العهد القديم وخدمة العهد الجديد. فيصرّح أن خدمة العهد القديم هي خدمة بالوراثة، أي خدمة حتميّة دون أي اختيار حر، كما جاء في سفر العدد : «وتقدّم اللاويين أمام الرب، فيضع بنو إسرائيل أيديهم عليهم. ويحرّك هارون اللاويين تحريكاً أمام الرب من قبل بني إسرائيل، فيكونون لخدمة الرب» (عد ٨:١٠-١١). أمّا في العهد الجديد فنرى بولس يشدّد على اختيار الله الحر والمجّاني : «ولما ارتضى ذلك الذي فصلني من حشا أمّي، ودعاني بنعمته، أن يعلن ابنه فيّ، لكي أبشّر به بين الأمم، لساعتي ما استشرت لحماً ودماً» (غل ١:١٥-١٦).

فإن المسيحيين أنفسهم رسالة حية تدل على أن بولس هو خادم العهد الجديد، وعلى أن الروح يعمل فيه وفي جميع الرسل من أجل بناء الكنيسة. فيظهر هنا بيان كون كفايته من الله «الذي جعلنا كفاة»، أي أن بولس يريد أن يقول، إن الله جعلنا كذلك على ما نحن عليه، وهذا برهان ساطع على انه أهل للخدمة الرسولية. لذلك، إن حياة القديس بولس وشخصيته هي مفارقة بين موت المسيح وحياة المسيح. فمنذ الآن بدأت كرازته بالتبشير أي بالعهد الجديد يسوع المسيح الذي أصبح بولس خادمه. لذلك فوصفه بجديد، تمييزاً له عن العهد القديم الذي هو الناموس، الذي أعطاه الله لبني إسرائيل على جبل سيناء، أشار المسيح إلى ذلك التمييز بقوله على الكأس: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد» (متى ٢٦:٢٨). وورد في كلام بولس ما يلي : «وصنع مثل ذلك على الكأس بعد العشاء، قال: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. كلما شربتم فاعملوه لذكري» (١ قور ١١:٢٥).

تحديد هوية الخدم

يصرّح القديس بولس إن الرسل هم كفوٌّ أن يبشروا بالإنجيل كما يجب : «ليس أننا كفاة من أنفسنا...، بل كفايتنا من الله» (٢ قو ٣:٥). فهذا يعني أن المعلمين الكاذبين الذين يفسدون كلام الله لغاياتهم الدنيوية ليسوا أهلاً للمناداة بالإنجيل. ومع أنه لم يدّعِ أنه هو أهل لذلك من نفسه، صرّح بأنه أهلٌ له بالنظر إلى المعونة السماوية : «إني بنعمة الله أهل لتلك الخدمة». لذلك يبرهن بولس ويقول : إننا مولودون من الله، وهو قد مسحنا وأرسلنا ويقودنا، ونحن موقوفون له، ومتكلمون بكلامه. وهذا على وفق قول المسيح : «الذي من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم

لستم من الله» (يو ٨:٤٧). وجاء أيضاً في سفر أشعيا : «تطهروا يا حاملي آنية الرب» (أش ٥٢:١١). فوجب على الذين يبشرون باسم الله أن يكونوا قديسين.

لذلك نرى أن يسوع المسيح هو موضوع كل تعاليم الرسل؛ فهم متّحدون به وأعضاء جسده، ومتعلّمون ومنقادون بروحه القدوس. وقد صرّح بولس أنّه التقى الرب على طريق دمشق، وهذا ما يثبّت رسوليته، وقد صرّح أنّ الرب يسوع المسيح أظهر ذاته لأكثر من خمس مئة رسول. وهذا ما جعل الرسل أن يكونوا خدّاماً للكلمة ووكلاء أمينين لأسراره الإلهية : «والذين أقامهم الله في الكنيسة هم الرسل أولاً، والأنبياء ثانياً، والمعلمون ثالثاً» (١ قو ١٢:٢٨).

في كل هذا نرى أن الله هو الذي يجعل الرسل خدّامه جديرين بالميثاق الجديد. فإن الثقة والاتكال والتأكد الذي أظهره بولس هو يقين حميم أمام الله الذي وحده يجعل خدّامه قادرين على أن يكونوا أهلاً لهذه الخدمة، وذلك بفضل المسيح : «بهذه الثقة عزمت على السفر إليكم» (٨:٢٢). فتكون هذه الثقة (الجرأة) رسولية، لأنها لا تصدر عن طبع الرسول أو الخادم، بل عن النعمة التي أعطيت له بأن يمارس هذه الخدمة.

لذلك خَدمة العهد الجديد هم رسل، لا من قبل الناس، ولا بدعوة من إنسان، بل بدعوة من يسوع المسيح والله الآب (غل ١:١).

الحرف (الموت)

يصرّح القديس بولس أن خدمة موسى هي خدمة الموت، لأنها بدون الروح ، فيقول إنّ الناموس هو شريعة خارجية عرضت على الحواس، فاستطاعت العين أن تبصرها، والأذن أن تسمعها، والعقل أن يدركها.

بعد أن بيّن بولس أن النص حرف ميت بدون الروح، نراه يشدّد على الشروط الضرورية لكي ينتقل موسى من النص بحدّ ذاته، فيصبح «كتاباً مقدسا» ثم روحاً، مستعيناً بصورتي «القناع» أو «البرقع» على وجه موسى، وعلى قلب قارئ موسى وعقله، أي على الشريعة. إن هدف هذا البرقع هو أن يبيّن استحالة الاتحاد المباشر مع الله بواسطة موسى وبواسطة هذه الشريعة التي هي شريعة الحرف. فبرقع موسى يعني أن هدف الشريعة، أي المسيح، يبقى خفياً وغير منظور لبني إسرائيل؛ فإذا أرادوا أن يفهموا هذه الشريعة، عليهم أن يقتدوا بموسى الذي كان ينزع البرقع حين يعود إلى الرب (خر٣٤:٣٥). وهكذا بنو إسرائيل، عندما يعودون أو يتوبون إلى الرب، يسقط البرقع عن وجوههم، أي عن قلوبهم، مثلما فعل بولس الذي قال : «كل مرة نلتفت نحو الرب يسقط القناع».

خاتمة

بعد أن اختبر القديس بولس هذه الشريعة الموسوية وعاشها بكل حذافيرها، لكن بنعمة من الله استطاع أن ينتقل إلى عالم الإيمان والروح. لذا نراه يعلن لأهل قورنتس الأصل الإلهي لمهمته الرسولية. يقارن بولس دعوته بدعوة الأنبياء في العهد القديم، ولا سيما دعوة موسى. في إطار هذا التوازي يبرز القديس بولس عظمة الرسالة، أي خدمة العهد الجديد التي اؤتمن عليها (٣:١-١٨). كان الأنبياء خدّام عهد عابر، كان يُوَقّع بدم الحيوانات المذبوحة وخدام الشريعة التي كانت ثمرتها الموت. أمّا العهد الجديد الذي وقّعه يسوع بدمه، فهو ثابت ونهائي ويفوق الأول مجداً. فإذا كان للعابر مجد، فكم يكون مجد الخالد عظيماً (٣:١١). لذلك بعد أن عاش بولس هذه الشريعة وعرف عقمها، بعد أن أصبح خادماً للعهد الجديد، الذي اعتبره بولس ذروة كل العهود ومكملها، استطاع أن يقول : «حياتي هي المسيح، والموت ربحٌ لي»، بعدما كانت الشريعة هدف حياته، وفي سبيلها بذل قواه، قبل حدث طريق دمشق؛ لكن بعد لقائه الرب، صار يسوع المصلوب هدف حياته، و«من أجله حسب كل شيء كالزبل ليربح المسيح ويوجد فيه»، وصار بالتالي «خادماً للعهد» الذي بيسوع المسيح.

العهد والشريعة في غلاطية

الطالب حنّا أديب خوري

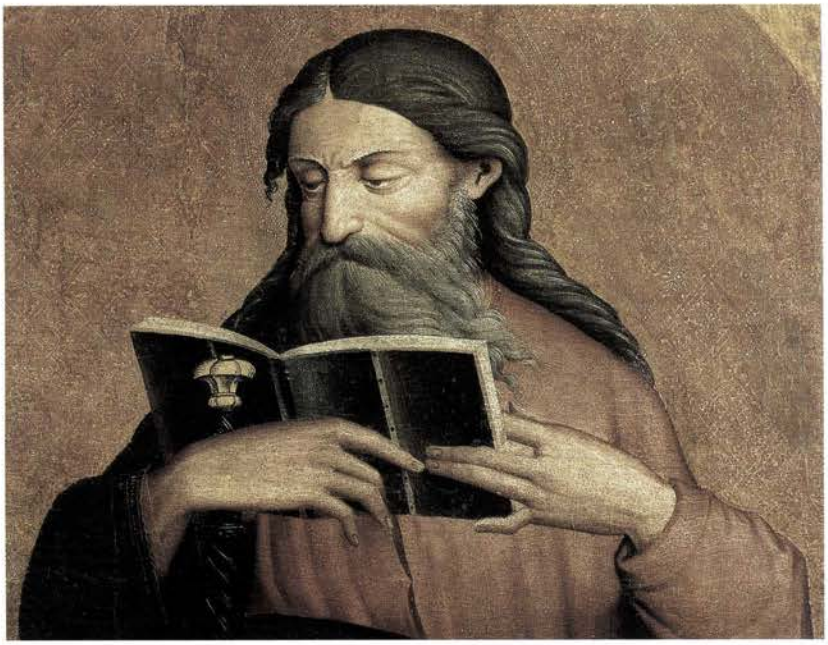

وجه بولس:
كم يخفي ويحكي من أسرار!

١ – عهد الوعد وعهد الشريعة

يتوافق إنجيل بولس مع وعود العهد القديم، وهذا ما يظهر جلياً في فكر الرسول، الذي أهتم بالعلاقة بين الشريعة ويسوع المسيح، وأظهر العلاقة بين وصايا المحبة والوصايا العشر (غل ٣: ٤).

قبل الغلاطيون الروح القدس، بدون أعمال الشريعة، رغم ذلك عادوا واتكلوا على هذه الأخيرة وعلى الناموس لأجل الحصول على الخلاص؛ لهذا وبخهم بولس على هذا التحول والضياع في إيمانهم، قائلا: إن الشريعة هي الجسد، بينما المسيحية هي الروح، التي يعلمنا إياها الروح القدس.

يقول بولس إن الإيمان هو مبدأ الخلاص، في العهدين القديم كما الجديد على السواء، وأبناء إبراهيم هم الذين يعلنون إيمان إبراهيم، أي الذين يؤمنون بالمواعيد المسيحانية (غل ٣: ٦–٩). إن التبرير هو فقط بالإيمان. الشريعة هي سبب لعنة، ونظام لعنة، ومسار لعنة، ولا رجاء منها (غل ٣: ١٠–١٢). الشريعة لا تلغي الوعد رغم إنها أتت بعده. يطبق بولس هذه النظرة على إبراهيم وعلى ذريته، وصولاً إلى المسيح (غل ٣: ١٥–١٨)، نبع وغاية

الوعود المسيحانية التي عاشها العهد القديم (غل ٣: ١٩–٢٠). لذا قال لهم يسوع: «إن الله قادر أن يجعل من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم» (متّى ٣: ٩)، لأن اليهود تعلقوا بالحرف، ولم يستطيعوا العبور به ومنه إلى الروح.

في ما يتعلق بدور الشريعة، فإن محتواها لم يكن سوى تجسيد مؤقت، بانتظار كمال الوعود، أي مجيء المسيح (الوسيط) (غل ٣: ١٩)؛ فالمسيح هو كمال العهد وكمال الوعد. هذه الشريعة هي معلم (مدرب) (غل ٣: ٢٤)، والخطيئة هي نابعة من عدم تطبيق الشريعة، وليس من الشريعة. فالإنسان لا يجد له مرجعاً ومخلصاً سوى الإيمان بيسوع المسيح (غل ٣:٢٥). إن المؤمنين الذين توحّدوا بالمسيح، هم الورثاء الحقيقيون للعهد، وذلك يتحقق بالإيمان والمعمودية (غل ٣: ٢٦–٢٩).

تحت حكم الشريعة لم يكن الإنسان سوى عبد، أما الآن فالإنسان هو ابن بالإيمان. نحن أبناء بواسطة إيماننا، وبه أصبحنا إخوة للمسيح، وأبناء الله الآب، أي أصبحنا أحراراً (غل ٤: ١–٧). نحن أبناء في الابن، بنعمة الروح القدس الذي هو ثمرة الوعد (غل ٣: ٨–٢٠). فالمسيح إذاً هو كمال الوعد وكمال العهد.

٢– للشريعة وجه سلبي ووجه إيجابي

على ضوء الخليقة الجديدة، التي أعلنت بقيام عالم يعلن انتصار المسيح، تظهر الشريعة التي حضّرت لهذا الحدث كأنها حبس.

فعندما نقرأ أن الشريعة هي طريق ملعون، خالٍ من أي وعد، هي إعلان للموت (غل ٣: ١٠)، حالة عبودية، فهذا يعني أن مواعيد إسرائيل، التي تحققت في المسيح، هي طريق توبة وإعلان حياة، وحالة تحرر وصداقة مع الله وبركة كاملة.

كانت الشريعة جيدة، لكنها لم توضح الهدف من وضعها. هذا الهدف الذي يظهر الطاعة لله والقدرة على الاقتراب من غفرانه، فقد أدانت كل من وثق بها.

من هنا يظهر التناغم القائم، في نظرة بولس الإيجابية والسلبية إلى الشريعة: هي صالحة في المطلق، لكنها في الواقع جعلت الشعب يقع تحت وطأة الخطيئة.

يميز بولس بين شريعة الحرف التي تغذي الخطيئة، وبين شريعة الروح التي هي آلة الله من أجل إعطاء الحياة (غل ٦: ٧–٨). ليست الشريعة في ذاتها مصدراً للشر، لكن الخطيئة استغلتها، استفادت منها كي تبعدها عن هدفها الأخلاقي، الذي يدعونا لاختيار الحياة. إن الشريعة عند اليهود هي «شجرة الحياة». بالنسبة إلى بولس، أخذت الخطيئة قوتها من الشريعة (١ كو ١٥: ٥٦) كي يستطيع البشر، أن يعوا مدى ضعفهم الأخلاقي، ومدى أهمية انفتاحهم على مجيء المخلص.

٣– كمال العهد بالمسيح

إنّ الشريعة مهمة، لكنها تحضيرية، موقتة، وموجهة إلى عالم المادة والخطيئة. سلطة الشريعة بهذا البعد توقفت مع موت وقيامة المسيح. المسيحي تحرر من الشريعة، كما تحول المسيح بقيامته من الجسد اللحمي، ولبس الجسد الروحاني (روم ٧: ٤–٦). فهو ليس تحت الشريعة، لكنه تحت النعمة (روم ٦: ١٤)، هو حر (غل ٥: ١)، والشريعة الوحيدة التي ترافقه هي شريعة الروح.

أ– الإيمان بالمسيح المائت والقائم من الموت

يتزامن مجيء الإيمان مع مجيء المسيح، فالشريعة اكتملت مع المسيح، بعد أن كانت نوعاً من الحارس، وليس مخلصاً. يتكلم بولس على الرقيب الذي هو المعلم (غل ٣: ٢٥)؛ فالشريعة هي معلم، وعملها كان قوياً، يختلف عن عمل الملقن. فمنذ مجيء الإيمان لم نعد تحت سلطة هذا الحارس.

في الواقع، إن الشريعة موجودة في العالم دائماً، ولكننا نحن أبناء الله المحررون، لم نعد تحت سلطة القانون الذي كسر (غل ٣: ٢٦). فالمسيح هو هدف الشريعة ونهايتها، في هذا المعنى تفقد هذه الأخيرة كل سلطتها.

يذكر بولس الغلاطيين الذين هم أبناء الله بالإيمان: نحن لم نعد أمام الله عبيداً، بل أبناء، إخوة لابنه الوحيد، لأننا بالمسيح تعمدنا (غل ٣: ٢٧). المعمودية هي أساس الحياة الجديدة، أي أنه بموت الإنسان القديم أصبحت قيامة الإنسان الجديد ممكنة.

فالذين اعتمدوا التزموا بالمسيح، وروح الله الذي أخذوه في المعمودية، خلق لهم الظروف الجديدة، التي بواسطتها يستطيعون أن يتمجدوا بالمسيح. فالمعمودية تثبتنا في عدل الله، الذي يجعلنا أبراراً بقوة رحمته، التي تهدف إلى إعلان مجد الله والمسيح وهبة الحياة الأبدية[١].

ب– التحرّر من الشريعة بواسطة الروح

يموت المسيحي المتحد بالإيمان عن

١– بسترس، سليم (الأب)، **اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر**، الجزء الثالث: **الأسرار–الحياة الأبدية**، طبعة ثالثة، المكتبة البولسية، جونيه، ١٩٩٥، ص ٨٣–٨٥ و١١٥.

الخطيئة، أي عن الشريعة، لكي يحيا تحت سلطة النعمة والروح. فبموته عن الشريعة، يموت عن الخطيئة بقدرة المسيح القائم من بين الأموات.

إذاً المسيحي تحرر من الشريعة، كما المسيح تحرر من الجسد المادي؛ فهو لم يعد تحت الشريعة، لكنه تحت النعمة، بالمقدار الذي يعيش فيه مسيحيته كابن لله، متحرك بقدرة الروح القدس.

إن شريعة الروح التي تعطي الحياة في المسيح تحرر من شريعة الخطيئة والموت. هذا أمر كان مستحيلاً على الشريعة القديمة (غل ٣: ١١). إن إرسال الله ابنه الوحيد بجسد الخطيئة، قد أدان الخطيئة في الجسد، كي تعلن وتكتمل المفاعيل الحقيقية لإرادة الله، في إعطاء الشريعة، التي تختصر بالطاعة ليس للجسد لكن للروح (غل ٣: ١٣).

ج- البنوة الإلهية بنعمة الروح القدس

أن تكون ابن الله ليس محفوظاً لليهود وحدهم. فالغلاطيون هم أيضاً أبناء الله، وقد حصلوا على هذه البنوّة بالإيمان بيسوع المسيح وبالمعمودية (غل ٣: ٢٦-٢٧). والروح القدس قد حلّ على الأبناء الذين آمنوا مسبقاً بالمسيح (روم ٨: ١٤).

إن الفعل الإلهي الذي يجعلنا أبناء الله، هو عمل متكامل يلعب فيه الآب والابن والروح القدس دوراً خاصاً يميز كل أقنوم عن الآخر (الآب خالق، الابن فادي، والروح محيي). فالرسالة تبدأ بعطية «روح التبني» (غل ٤: ٦) الذي بفضله نصرخ «أبّا»، أيها الآب، وذلك بقدرة الروح القدس الذي يعطي روحنا الشهادة على أننا أبناء الله (روم ٨: ١٥-١٦)، وهو الذي يجعل المؤمنين متحدين بالمسيح، ويعطيهم القدرة أن يكونوا بحق إخوة للمسيح وأبناء الله الآب (غل ٤: ٦).

إن نتائج هذا التحول يجعل اليهود والوثنيين المرتدين أحراراً. فهم أيضاً ورثة في ملكوت السماوات، لأنهم سينالون الخيرات التي وعدهم بها الله، أي أن يكون لهم نصيب وإرث في الملكوت السماوي. فالله ذاته لا يزال يعمل فيهم، بقدرة روح ابنه الذي جعل هذا التحول كاملاً.

٤- الشريعة هي الوصايا العشر وهي أساس العهد

وضعت الوصايا العشر لكي توصل إلى القداسة، لكننا لم نصل إلى هذه الأخيرة، كون هذه الوصايا أبعدتنا عن الوثنيين فقط. أما مع المسيح، فوصية المحبة جعلت المسيحيين ينفتحون على اليهود والأمم على السواء. هذا الانفتاح هو كامل لأنه يعكس صورة محبة الله الخالق (غل ٨: ٢٨).

أ- الشريعة القديمة

اختار الله إسرائيل شعباً له، وأعطاه شريعته (الوصايا العشر)، مُعِدّاً بذلك لمجيء المسيح. نرى هذه الوصايا تعاكس كل ما هو ضد محبة الله والقريب. فهي النور الذي أعطي للوعي البشري، كي يدرك دعوته وسبل الله التي تحميه من الشر. من هنا نرى أن الشريعة القديمة، بشقيها الطبيعي والموحى، هي تحضير للإنجيل أي للبشارة السارّة، وهي تكتمل بتعاليم الكتب المقدسة التي توجه الإنسان نحو العهد الجديد ونحو ملكوت السماء، نحو المسيح.

ب- الشريعة الجديدة أو وصيّة المحبة

إن الشريعة الإنجيلية، هي الصورة الأرضية للشريعة الإلهية الموحاة، التي يعبر عنها بشكل خاص في عطية المحبة الكاملة على الصليب. هذه الشريعة الجديدة دعيت شريعة المحبة، لأنها تحركنا لا بالحرف، بل بالمحبة المستمدة من الروح. وهي شريعة النعمة لأنها تحتوي الوعد بالبركة والخير والحياة، وتتحرك بواسطة الإيمان والأسرار. هي شريعة حرية، لأنها تحرر من الطقوس والقوانين القديمة، وتحملنا على تخطي حالة العبودية إلى حالة الصداقة مع المسيح، حالة الأبناء الشركاء الوارثين (غل ٤: ١-٧، ٢١-٣١؛ روم ٨: ١٥).

خلاصة

في ختام كلامنا لا بد من أن نطرح السؤال التالي: ماذا نستنتج من المقارنة بين الشريعة القديمة والشريعة الجديدة ؟

في غل ٤: ٢٤، يتكلم بولس على ولدي إبراهيم، فيقول: إسماعيل وُلِدَ من الأمة هاجر، وإسحق وُلِدَ من الحرّة سارة. الأول ولد بحسب الجسد، أي بحسب الشريعة الطبيعية، أما الثاني فبفضل وعد الله (تك ١٥: ٤؛ ١٧: ١٥-٢٠).

تمثل هاجر وسارة عهدَي الله، المتمثلين بأورشليم الأرضية، وأورشليم السماوية الممجدة. فهاجر تمثل العهد القديم الذي ولد للعبودية، وسارة تمثل العهد الجديد الذي ولد للحياة، للحرية.

يوضح بولس أنه، كي نكون ورثة إبراهيم، لا يكفي أن نكون أبناءه بالجسد فقط، بل يجب أن تكون نعمة الله متجذرة وفعالة فينا، كما هو الأمر بالنسبة إلى إسحق المولود من الروح، وهو بالتالي رمز للولادة الثانية بالمسيح.

«إن الشريعة ليست أداة للموت في جوهرها، ولكنها تعرفنا على الخطيئة. وفي تخطينا لفكرة الخطيئة تصبح الشريعة معلمة تقودنا إلى الوعد المسيحاني، أي إلى الإيمان بالمسيح المنتصر على الموت.

«كنتم غرباء عن عهود الموعد»
(اف ٢ : ١٢)

الأخ نبيل ملكي

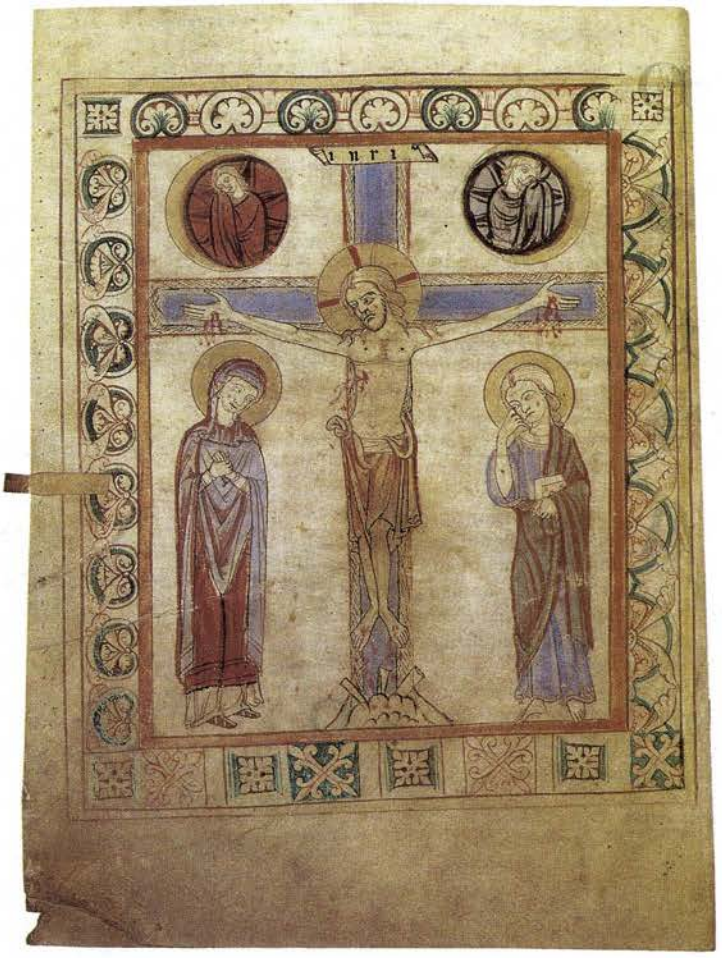

صلب يسوع

مقدمة

«تذكروا أنكم في ذاك الزمان كنتم دون المسيح الرب، منبوذين من مواطنية إسرائيل، وغرباء عن عهود الوعد، دون رجاء ودون الله في العالم» (أف ٢: ١٢).

لدينا في هذا النص كلمة «دياتيقي» في صيغة الجمع: «دياتيقون»، ويقابلها نص آخر في صيغة الجمع أيضا، هو روم ٩:٤. قد تشير صيغة الجمع –«غرباء عن عهود الموعد»– إلى مختلف العهود المحتواة في وثيقة واحدة ؛ لكن لا يوجد في العهد القديم وثيقة تدعى «الوعد». يتعلق النص إذا بالأحرى بعدة وثائق متتالية ؛ يمكن فهمه من خلال مختلف العهود التي أعطيت للآباء، كما هي الحال في روم ٩: ٤. ينبغي الانتباه إلى الإضافة، «الوعد»، التي تحدد كلمة العهود، هذه الإضافة التي تفترض منظاراً ديناميكيّاً.

لا يعير القديس بولس اهتماماً لتنظيم إسرائيل الداخلي، الذي تؤمنه «شريعة العهد»، بل يشدد فقط على مسألة العودة إلى تأوين إلهي مستقبلي. كما أنه

لا يعير اهتماماً لكثرة الوعود، لا بل يجمعها كلها في وعد واحد، لا يحدده الرسول، لأن هذا الوعد يفترض أن يكون معروفاً. تتناسب طريقة ربط «دياتيقي» و «وعد» بما في غل ٣: ١٥-١٨، حيث يعتبر بولس هذين التعبيرين عمليا ذات مدلول واحد ؛ بطريقة أقل وضوح، يمكن تبين هذا التقارب بين التعبيرين في نشيد زكريا (لو١: ٧٢). نجد الشيء ذاته أيضا في الرسالة إلى العبرانيّين: لقد أصبح المسيح «وسيط عهد...، وهذا العهد مقام على وعود» (عب ٨: ٦؛ ٩: ١٥).

هناك سؤال يطرح حول اتساع صيغة أف ٢: ١٢: هل ينبغي إدخال العهد السينائي فيما بين عهود الوعد ؟ تجيب ترجمة المعهد الكتابي في أورشليم (Bible de Jérusalem) بالإيجاب، وتحيل القارئ إلى خر ١٩: ١. المقارنة مع غل ٣: ١٩ و١٧ توحي بجواب معاكس: يوضع الوعد في مقابل الشريعة (غل ٣: ١٨).

يذهب إطار النص الذي يلي أف ٢: ١٢ في ذات الاتجاه ؛ فبعدما ذكّرت الرسالة بطريقة إيجابية بـ «عهود الموعد»، تذكر بأنه، من أجل «هدم الحائط الفاصل» الذي كان يحول دون بلوغ الوثنيين إلى الوعود، «ألغى المسيح بجسده الشريعة التي هي من وصايا ورسوم» (أف ٢: ١٤-١٥).

لا تعتبر إذا الشريعة السينائية جزءاً من العهود، بل بالأحرى عائقاً في وجه الوعد. توجد رؤية مماثلة في عب ٧: ١٨-١٩؛ ١٠: ١ و٩ و١٥ و١٧ .

يعبر كل إطار نص أف ٢: ١٢ عن تأسيس المسيح للعهد الجديد ببعدَيه: السلام بين الناس، والاتحاد مع الله ؛ يتكلم على المصالحة، والسلام، والبلوغ إلى الله بالوحدة المستعادة، وبمساهمة الجميع في تشييد بناء روحي هو مسكن الله .

تفسير النص

١) «أنكم كنتم»

أ- يشير بولس الرسول بضمير الجمع المخاطب، «كنتم»، إلى أنه يتحدث الآن بشكل رئيسي عن المؤمنين غير اليهود، علماً أن كلامه هذا يصح على الجميع قبل رجوعهم إلى الله ؛ وكلمة «كنتم» تشكل واحدة من أهم وأبلغ نقاط التحول ومن أكثرها إلهاماً؛ فهي تشير إلى أن تغييراً هاماً قد جرى، وهو تحول من الدينونة والموت واليأس وعدم الرجاء، التي تغمر وادي ظلال الموت، إلى الفرح العظيم الذي يميز ملكوت ابن محبة الله. ويقوم بهذا التغيير الله نفسه، ولا أحد سواه. وإحدى صفات إلهنا، هي أنه غني في الرحمة، وهو يظهرها لنا، وبحسبها يعاملنا (رج مز ١٠٢: ١٠).

ب- وتنبئ الآية ١٢ أيضاً بنجاح تبشير الرسل: «أذكروا أنكم كنتم من دون المسيح»، أي أنكم قد رجعتم إلى الله الإله الحيّ والحقيقي. فهذا النص يحمل مفهوم تغيير السيرة من وجهة إلى أخرى، وذلك على الصعيدين الجسدي والذهني على حد سواء ؛ من هنا نستنتج وجود موضوع التوبة أو العودة إلى الله، وقبول الإيمان المسيحي ؛ فالرسول لم يتوجّه بكلامه إلى اليهود، وينتج من ذلك أن أول المطلوب من غير اليهود عند قبولهم الإنجيل، عبادة الله الحقيقي، والتخلي عن عبادتهم الآلهة الأخرى .

ج- كان غير اليهود، قبل اهتدائهم، وثنيين يعبدون الإله الكاذب المزيف، أي أن السيرة على الصعيد الجسدي والذهني بعيدة عن الله (أع ١٤: ١٥ ؛ ٢٦: ١٨)، الذي هو الإله الحقيقي، بالمقارنة مع الأوثان التي هي أصنام فارغة وليدة تخيلات البشر.

د- وكانوا أيضا أجنبيين عن الله، وأعداء له في الفكر، بسبب أعمالهم الشريرة (أف ٤: ١٧-١٨)، وفاسدين، وهذا يعني أنهم كانوا عديمي الحياة بالنسبة إلى الله، إذ لم يكن لهم علاقة حيوية به. وهذا يفسّر سبب انحطاطهم إلى أنواع شريرة من السلوك.

وهذا يبقيهم غير مرضيين لله، وأعداء لإسرائيل، وبالتالي لا يطالهم التدبير الإلهي الصائر لخلاصهم عن طريق البشارة. لذلك كانوا بحاجة إلى المصالحة مع الله، ويسوع المسيح هو الذي حقّقها.

٢) «من دون المسيح الإله»

أ- من دون المسيح لم يكن الأمم ينتظرون المشيح الآتي، لأن عهود الوعد به كانت لبني إسرائيل. ومع أن النبوءات تشير إلى أن البركات ستشمل الأمم أيضاً من خلال خدمة المشيح المنتظر (اش ١١: ١٠)، فقد كان يفترض أن يولد المسيح يهودياً، وأن يخدم بالدرجة الأولى خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٥: ٢٤).

ب- من دون المسيح كان العهد مشروطاً

وجسدياً ومحلياً. فالعهود في العهد الجديد تختلف عن رموز وظلال العهود القديمة بنوعيتها الإلهية السماوية الروحية (١يو ٢: ٢٥؛ أف ١: ١٣ و٢: ١٢).

ج- من دون المسيح مغلق على الجميع تحت عبودية الجسد، وعبودية الناموس، وعبودية الخطيئة والموت. «فكما انه بآدم جميعهم خطئوا، كذلك جميعهم نالوا نعمة المسيح المبررة» (روم ٥: ١٢). وإذا كان الموت ساد البشر بخطيئة إنسان واحد، فكذلك بر إنسان واحد (يسوع البار) يبرر البشر جميعاً، فينالون الحياة. فكما سادت الخطيئة للموت، كذلك تسود النعمة التي تبررنا بيسوع المسيح للحياة الأبدية (روم ٥: ١٥-٢١)[1].

٣- «غرباء»

أ- بدون المسيح يموت المرء بدون أي موعد، ويكون غريباً ونزيلاً، أي لا وطن سماوي له آخر الأمر (٢ كور ٥: ١-١٠). إنكم بدون المسيح غرباء عن إسرائيل الجديدة، أمّا نحن فموطننا في السماوات التي منها ننتظر برجاء الرب يسوع (فيل ٣: ٥). والحقيقة هي أن العهد القديم لم يتمتع بما يتمتع به عهد المسيح الفادي؛ فهو زمن الانتظار الطويل للآتي، والعهد الجديد تحقيق ومشاهدة عيانية له (أع ٢: ٢٧).

لم يكن الأمم بدون المسيح المخلص فقط، بل كانوا غرباء عن مواطنية إسرائيل. لم يكونوا مواطنين في إسرائيل، ولا مواطني الله، بل «غرباء عن عهود وعد الله»؛ والغريب هو الشخص المجرّد عن الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها المواطنون الأصليون.

ب- كانوا غرباء عن عهود الوعد، فقد صنع الله عهوداً مع الأمّة من خلال رجال أتقياء، مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم. وقد تضمّنت هذه الوعود البركات لليهود، أمّا الأمم فكانوا خارج الحلقة.

لقد تحقّقت كلّ مواعيد الله لإبراهيم ونسله في النسل الأوحد، يسوع المسيح. في العهد القديم، كان يُقصَد بالميراث أولاً أرض الكنعانيين (لا ٢٠: ٢٤؛ عد ٢٦: ٥٣؛ تث ٩: ٦)، ثم صار إسرائيل نفسه ميراث الله وشعبه المختار (تث ٣٢: ٩؛ ١ مل ٨: ٥١)؛ لاحقاً أوضح الأنبياء والمزامير أن الصديقين وخائفي الله وحدهم يرثون الأرض ويسكنونها أبداً (أش ٥٧: ١٣).

ج- وكانوا منبوذين أيضاً بسبب عدم الختان، أي أن الأمم لم تكن لهم العلامة الخارجية الظاهرة في اللحم، والتي ميّزت الإسرائيليين باعتبارهم شعب العهد، عهد الله. إن الكلام على «غرلة» هو نوع من الطعن العرقي، وهي شبيهة بالتسميات التي يطلقها الناس اليوم على الجنسيات المحتقرة. ونشعر بشيء من لسع التسمية في وصف داود لجوليات الأممي عندما قال: «من هو هذا الفلسطيني الأغلف حتى يعيّر صفوف الله الحي؟» (١ صم ١٧: ٢٦). بينما اليهود كانوا يسمون أنفسهم «الختان»، وكان هذا الاسم مدعاة للفخر عندهم، فقد كان يميزهم بأنهم شعب الله الأرضي المختار قديماً، والذي أفرز عن بقية شعوب الأرض.

د- انطلاقاً ممّا تقدّم، كان اليهود يتمتعون بمركز مميّز أمام الله (روم ٩: ٤-٥)، أمّا الأممي فكان يُعْتَبَرُ أجنبياً وبالتالي محتقراً؛ وإذا شاء هذا الأخير أن يعبد الإله الحقيقي بالطريقة الصحيحة وجب عليه أن يتهوّد (مثل راحاب وراعوت). وقد اعتبر الهيكل في أورشليم المكان الوحيد على الأرض الذي جعل فيه الرب اسمه، وفيه يقدر الناس أن يقتربوا إليه تعالى. أما الأمم فكان محرّماً عليهم أن يدخلوا إلى الديار الداخلية تحت طائلة الموت.

٤) «لا رجاء لهم»

أ- أي لا رجاء مسيحاني، أو لا رجاء في القيامة (١ تس ٤: ١٣).

كانوا بلا رجاء على الصعيد القومي والفردي معاً. فلم يكن لهم على الصعيد القومي أي تأكيد بأن أرضهم ستبقى، وحكمهم سيستمر، وشعبهم سيدوم. أما على الصعيد الفردي، فلم يكن لهم رجاء، وقد قال أحدهم: إن مستقبلهم كان ليلاً بلا نجوم.

ب- يطلب بولس أن يتذكروا أنهم كانوا من دون الرجاء الذي يؤدي إلى الخلاص (مت ١٠: ٢٢؛ ٢٤: ١٣؛ مر ١٣: ١٣). فمن دون المسيح لا رجاء، وحيث لا انتظار لمجيء الرب يسوع في

١- تيودول دي مرميه، **نؤمن**، الكسليك، ١٩٨٣.
الأب اغناطيوس ديك، **الله حياتنا**، ١٩٨٣.

آخر الأزمنة لا خلاص باسمه، ولا وقوف أمام منبر الله الآب في الدينونة الأخيرة. فهذا الرجاء تأصّلت جذوره إذاً في شخص الربّ يسوع الفادي الذي افتدانا على الصليب، وقام من بين الأموات لينقذنا من غضب اليوم الأخير.

ج- «حيث لا رجاء»

وحده يسوع هو حدث الله لأجل الإنسان، لأنه مجيء الله إلى الإنسان، لأنه مع الإنسان: «الله معنا». فبينما في الديانات الأخرى والفلسفات والأيديولوجيات، هو الإنسان من يلتمس الله، ويبحث عنه، ويتوجّه إليه في كلّ ظروف حياته، نرى الله بالمقابل هو الذي يبحث عن الإنسان ويأتي إليه ويلتمسه في عمق موته وضعفه وخطاياه، ليرفعه إليه ويحييه ويخلصه ويقدسه. لا يبشرنا يسوع بالكلام، بل هو ذاته «الكلمة» الذي اتحد ببشريتنا ليشرب كأس موتنا حتى الثمالة، وهذا هو الموت الوحيد القادر على أن يدمر موتنا ؛ فيسوع الذي أمات الموت بموته ومنحنا الحياة الأبدية، هو الحدث الذي يستقطب كل شيء. وساعة يسوع هي قلب هذا الحدث وفاتحة الزمن الأبدي، وإليها تتوق البشرية كلها منذ سقطة آدم عبر زمن المواعيد ورجاء الأنبياء.

لهذا قال الرب يسوع مخاطباً تلاميذه: «أنتم الذين تبعتموني في عهد التجديد، متى جلس ابن البشر على عرش مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر» (مت ١٩: ٢٨). لقد صدق السيد المسيح هذا العهد الجديد بدمه المسفوك على الصليب. وقد أشار إلى هذه الحقيقة يوم رسم سر القربان المقدس فقال: «إشربوا من هذه الكأس كلكم، فإن هذا هو دمي، دم العهد الجديد الذي يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦:٢٧)؛ فصار لنا الرجاء «حيث لم يكن هناك رجاء».

٥) «وأخيراً كانوا بلا إله في العالم»

«لا إله» : تقع كلمة «لا إله» (atheoi) هنا فقط في العهد الجديد؛ ليس المعنى انهم كانوا «وثنيين» أو «منبوذين» من الله ، بل لم يكن لهم معرفة حقيقية له (أع ١٧: ٢٢-٣١).

كانت لديهم آلهتهم الخاصة المصنوعة من الخشب والحجارة، وكانوا يعبدونها. لكنهم لم يعرفوا الإله الحقيقي الوحيد. وهكذا كانوا بلا إله في عالم لا يعرف الله الإله الحي، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، وكانوا قبل اهتدائهم أمما بحسب الولادة.

بعد اهتدائهم أصبحوا من أهل الميراث الواحد، وأعضاء في الجسد الواحد، وشركاء في الموعد الواحد، في المسيح يسوع بالإنجيل (أف ٣: ٦). مع عهد المسيح تنال المواعيد ويدخل المرء راحة الله (لو ٢٢: ٢٩)، ليدنو من الآب (أف ١: ٤ ؛ كول ١: ٢٢)، ويحظى بالخلاص الأبدي (تيط ٣: ٧).

فالموعد قد تحقّق في تجسد الإله الحقيقي يسوع المسيح، وتشارك فيه أيضاً الأمم المؤمنون باسمه منذ يوم العنصرة. قال بطرس: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة خطاياكم، فتنالوا موهبة الروح القدس، لأن الموعد هو لكم ولبنيكم ولجميع الذين كانوا بعيدين (أش ٥٧: ١٩)، وبمقدار ما يدعو الرب إلهنا منهم» (أع ٢: ٣٨-٣٩).

الخاتمة

إن ظهور الابن في الجسد هو الختم الأبدي لمحبة الله لنا، حيث أن بشريتنا قد مسحت واقتُرن بها في المسيح. هذا التنازل هو كلي، ولذلك هو لا يكتمل إلا إذا بلغ أقصى حدود بشريتنا، أي الموت.

«نعم لقد أحب الله العالم، حتّى أنه بذل ابنه الوحيد» (يو ٣: ١٦). إن أحداث الخلاص كلها التي حققها الله في زمن المواعيد، لم تكن سوى ظلال لهذه الساعة التي فيها جاد الله بابنه لأجل حياة العالم.

فبالمسيح كان الوعد لإبراهيم (تك ١٢)، وبه كان العهد مع موسى (مز ١٩ و ٢٤)، وبه تكلم الله على لسان الأنبياء (عب ١: ١). هو الكلمة الكائن قبل الدهور، الكلمة المتجسد الذي به كل شيء (يو ١: ١-٣)، والذي دعينا قبل إنشاء العالم لنكون مشابهين لصورة مجده (أف ١: ٣-٥)، وهو كان انتظار الشعوب. وهكذا بعد أن كلمنا الله قديماً في الأنبياء، كلمنا في الأيام الأخيرة «في الابن» الذي هو ضياء مجده وصورة جوهره (عب ١: ٣)، وبه صار لنا القرب، وأصبحنا نحن أيضاً أبناء الوعد.

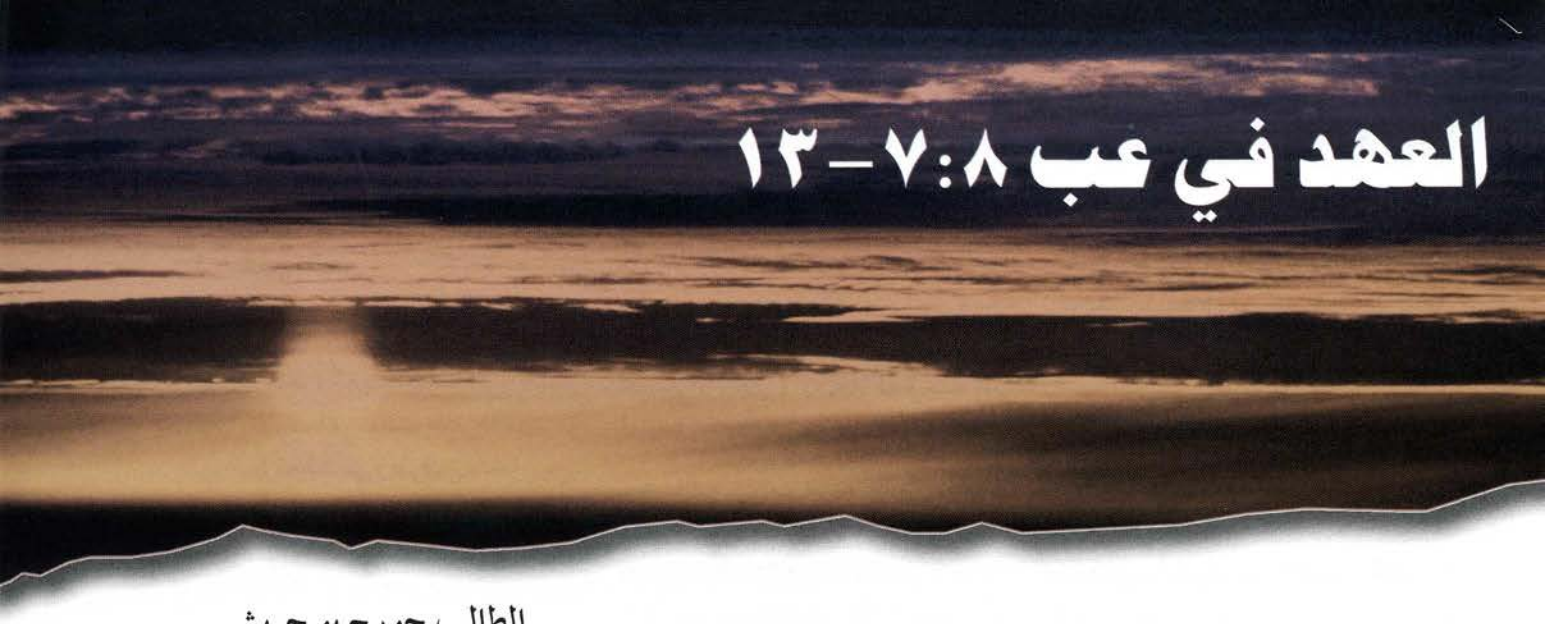

العهد في عب ٨:٧-١٣

الطالب جورج بو جريش

المقدمة

الله محبّة، لذلك يرغب في أن يُخلّص البشرية ويشركها في حياته الإلهية. يتضمّن العهد هذه الفكرة المركزية في الخلاص، إذ هو في أساسه مبادرة خلاصية يقيمها الله ويطلب من الإنسان أن يتجاوب معها. يتلخص مفهوم العهد إذاً بالوصية التالية: «أنتم تكونون لي شعباً وأنا أكون لكم إلهاً».

سنعالج موضوع العهد في عب ٨:٧-١٣ بهدف التعمّق فيه، والوقوف على مراحل تطوره. سنقسم هذا البحث إلى ثلاثة : نعالج في الأول المسائل الأدبية، ونتطرق في الثاني إلى المعاني اللاهوتية، ونخلص أخيراً إلى مفهوم العهد الكامل بذبيحته الكاملة.

١- كلمة «دياتيقي»

ترد كلمة «دياتيقي»، «الوصية»، «الميثاق»، «العهد»، ١٧ مرة في الرسالة إلى العبرانيين، في حين أنها لا ترد سوى ١٦ مرة فقط في سائر كتب العهد الجديد. لكن، بالرغم من أهميتها، فهي لا تشكل الموضوع الأساسي في الرسالة، لا بل تخضع له؛ كما أنها لا ترد في نصوص أساسية، بل في مواضيع ملحقة بنصوص أساسية. فالموضوع المركزي للرسالة هو «كهنوت المسيح»، يعلن عنه الكاتب في ٢:١٧ و٥:١٠، ويتوسع فيه من الفصل ٣ حتى الفصل ١٠. من هنا نقترح مع الأب ألبير فَانوَا اليسوعي تسمية الرسالة إلى العبرانيين بـ «عظة في كهنوت المسيح»، لأنها تعبّر عن المضمون. وتتواجد كلمة «دياتيقي» بشكل كثيف في القسم الثالث (٨ : ١- ٩ : ٢٨).[١]

ويقارن الكاتب في الفصلين ٨ و٩ بين العهدين القديم والجديد، ويتنقّل باستمرار بينهما. هو يهدف، من جهة، إلى إبراز نقائص الكهنوت القديم وشيخوخته وزواله في الزمن الأول؛ ومن جهة أخرى، يبرهن بوضوح أن تأسيس العبادة الجديدة يتأكد بقوة، وما كان الكهنوت القديم إلا ليشهد للكهنوت الجديد الذي سيحل محلّه ويكمّله في الزمن الثاني.[٢]

فيما خص نص بحثنا (٨:٧-١٣)، فإننّا نجد تضميناً في تكرار عبارة «العهد الأول» في ٨:٧ و٨:١٣. فيه يتذكّر الكاتب الوعود الأفضل (٨:٦)، ويستشهد حرفياً بنص إرميا (٣١:٣١-٣٤)، ليلفت الانتباه إلى عيب العهد الأول (عب ٨:٧-٨). فالهدف الرئيسي للنص هو إبطال ادعاءات العهد السينائي ورميه خارج الاحتمالات الجديدة.[٣]

١- الأب أيوب شهوان، **العهد الجديد بالمسيح يسوع** (حلقة أبحاث، جامعة الروح القدس، الكسليك، كلية اللاهوت الحبرية، العام الجامعي ١٩٩٩-٢٠٠٠).

٢- A. VANHOYE, *La structure de l'épître aux Hébreux*, p. 139.

٣- المرجع نفسه، ص ١٤٣-١٤٤.

٢ – تفسير النص

٢/١– معنى كلمة «عهد»

تعود فكرة العهد أساساً إلى اختبار الناس الاجتماعي والشرعي. فالعهد هو اتفاقية تعقد بين طرفين متساويين، وتحتوي شروطاً معينة تكفل حقوق الطرفين والتزامهما المتبادل (تك ١٤:١٣؛ ١ مل ٥:٢٦؛ عا ١:٩). هناك معاهدات غير متكافئة يفرض فيها القوي شروطه على الضعيف ويلتزم بحمايته (يش ٩:١١–١٥؛ ١ صم ١١:١؛ ٢ صم ١٢:١٤). كانت الاتفاقية تجري ضمن طقس معين يرتبط فيه الطرفان بقسَم : تشطر الذبيحة الحيوانية إلى قسمين، يمر المتعاقدان بينهما. كان الاعتماد سائداً بأن من يخالف بنود العهد تحلّ عليه اللعنات (إر ٣٤:١٨)، وبالتالي يصبح العهد لاغياً لمجرّد مخالفته؛ ثم يُقام نصب تذكاري هو عبارة عن شجرة أو حجر، كشاهد على إبرام الاتفاقية (تك ٢١:٣٣؛ ٣١:٤٨–٥٠).[٤]

٢/٢– محدوديّة العهد الأول

في هذه الفقرة يتحوّل مفهوم العهد إلى وصية. هو لم يعد بين طرفين على قدم المساواة؛ بل نجد طرفاً قوياً هو الله الذي يبادر ويُملي شروطه على الإنسان لكي يخلّصه. في هذه الحال لا يمكن للإنسان أن يناقش وصايا الله ولا أن يعدّل فيها، وما عليه إلاّ أن يقبل بالعهد أو يرفضه. وقد قبل الشعب بكل ما تكلّم به الله على لسان موسى (خر ١٩:٧–٨)؛ برغم ذلك يبقى عهد سيناء ناقصاً ومحدوداً، لأن إسرائيل فهمه خلاصاً مادياً يرتبط بمصير زمني تاريخي، واعتبره مكافأة له وحده على أمانته.

هناك عبارات استعملها الكاتب نستدل منها أن النص هو نبوءة؛ مثلاً : «يقول الرب» (أش ٧:١٠؛ إر ١:١١–١٣، وعبارة «إنها تأتي أيام» (أش ٤:١–٢؛ إر ٣١:٣١–٣٤). العبارة الأخيرة تحتمل معنيين : هي تشير إمّا إلى أزمنة نهيوية، أي إلى يوم مجيء الرب، وإمّا إلى أخرى مسيحانية. في الاحتمال الأخير، يكون الرب غير راضٍ على هذه الأيام، ويعدُ بمجيء أيام أفضل منها، سيأتي فيها المسيح المنتظر ليحقق الوعود، ويكوّن شعب الله الجديد، بعد أن يتوب إسرائيل عن خطاياه.

إن عبارة «أقطع عهداً» (عب ٨:٨) هي مهمة جداً، وقد استعمل الكاتب كلمة «قطع» وليس «كتب» ليدل على الذبيحة المشطورة إلى قسمين، و على اللعنة التي تنتج عن مخالفة العهد.

أخيراً المقصود بعبارة «لا كالعهد الذي قطعته مع آبائهم» هو طبعاً عهد سيناء مع موسى، لا العهد مع الآباء إبراهيم وإسحق يعقوب، وإن كان ذلك متضمّناً. فكلمة «آباء» تدل هنا على النسل، أي كما التزم الآباء بعهدهم مع الله وقبلوه وتجاوبوا معه واعترفوا به دون سواه، هكذا ينبغي على البنين أن يسلكوا بأمانة لعهد يهوه. هذا ما لم يفعله إسرائيل. في الخلاصة يبقى العهد الموسوي ناقصاً، والوحي يتطلب تحقيقاً أفضل في عهد جديد أكمل وأثبت من الأول.[٥]

٢/٣– كلمة «جديد»

تأتي نبوءة إر ٣١:٣١–٣٤ كشمس تسطع في ظلمة العهد القديم حيث كان انقطاع مأساوي بين الشعب والله (٢ أخ ٣٦:١٥–١٦)، أدى إلى نتائج مفجعة، منها سقوط أورشليم، واحتراق الهيكل، وموت عظيم الكهنة والسبي (٢ مل ٢٥:١–٢١). وسط هذه الظلمة تنبأ إرميا عهد جديد أفضل من الأول، بموجبه ستكتب الشريعة في القلوب، حيث تؤمّن بين المؤمنين والله علاقة متبادلة كاملة (إر ٣١:٣٣؛ عب ٨:١٠). لن يكون العهد الجديد اتفاقية جماعية، بل علاقة شخصية عفوية عميقة، محفورة في القلب. نتيجة لذلك، ستصير إعلانات الأنبياء غير ضرورية، لأن رحمة الله اللامتناهية ستسود، وسيترك الله كل خطايا الناس (إر ٣١:٣٤؛ عب ٨:١١–١٢).

يختلف العهد الجديد عن العهد الأول في الصفة والنوع، فليس هو صورة طبق الأصل عن سابقه، ولا تكراراً له. العبارة «عهد جديد» تشير إلى عهد سيناء المعتبر منذ الآن «قديماً»، ويضيف صفة الشيخوخة ليتكلم بعد ذلك على قربه من الزوال. فالله عندما يقول «جديداً»، معناه أن العهد الأول قد حُكِم عليه بالزوال.[٦]

٤– «عهد»، في **معجم اللاهوت الكتابي** (دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٩١) ٥٧٣–٥٧٤.

٥– الأب أيوب شهوان، **العهد الجديد بالمسيح يسوع** (حلقة أبحاث، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس، الكسليك، العام الجامعي ١٩٩٩–٢٠٠٠).

٦– E. COTHENET, M. MORGEN, A. VANHOYE, *Les dernières épîtres* (Bayard, éd. Centurion, Paris, 1997) 57-58.

٢/٤- نتائج العهد الجديد

أ- توحيد مملكة إسرائيل

سيكون العهد جديداً لأنه سيوحّد بيت إسرائيل وبيت يهوذا. كانت مملكة إسرائيل قد انقسمت أيام رحبعام إلى اثنتين: مملكة الشمال، ويسكنها عشرة أسباط، ومملكة الجنوب، وفيها سبطان. ويأتي العهد الجديد ليوحد الشعبين في شعب واحد.[٧]

ب- شمولية المعرفة

العهد جديد أيضاً في شموليته؛ فالجميع سيعرفون الله من صغيرهم إلى كبيرهم. كل من التزم بهذا العهد سيحوز على هذه المعرفة، ولا يعود يحتاج إلى معلم ديني ولا إلى نبي؛ بل روح الله هو الذي سيعطيه المعرفة الصحيحة. وقد بشر الأنبياء بفيض النور الإلهي الذي يشمل كل معرفة حول الله، هذه المعرفة شاملة لا تنحصر بعرق معيّن أو وطن محدّد أو مكانة اجتماعية ما (أش ١١:٩؛ ٥٥:٥؛ حز ١١:١٩؛ ٣٦:٢٦). وتقوم معرفة الله هذه على التعلق به والخضوع لإرادته وحفظ وصاياه (إر ٢٢:١٥-١٦؛ يش ٨:٢).[٨]

ج- عهد مكتوب في القلب

يظهر أيضاً تفوق العهد الجديد على الأول في كون العهد القديم يقوم على الطاعة الخارجية للشريعة، أما العهد الجديد فسيكتبه الله في قلب الإنسان وفي ضميره. عندئذ تتيح هذه الحالة للإنسان بأن يطيع الرب لأنه يحبه من كل قلبه وكل نفسه وكل قوته (تث ٦:٥). لم يعد يحفظ وصايا الله لأنه يخاف منه؛ فالخوف ينفي المحبة، ولم تعد طاعته خارجية يفرضها الناموس، بل تحوّلت إلى طاعة داخلية من القلب وتعمل بفرح.

د- غفران الخطايا

يبقى غفران الخطايا الميزة الأهم والأخيرة للعهد الجديد (عب ١٠:١٥-١٨). سيكون الله غفوراً ويصفح عن آثام شعبه ويمنح الإنسان غفراناً كاملاً. لن يذكر أية خطيئة من الماضي (أش ٣٨:١٧)، وكل ذلك بفضل الوسيط الجديد (عب ٨:٧). لن تعود الخطيئة ذلك الحجاب الفاصل (أش ٥٩:٢) ولا الحاجز الذي يهدد العهد مع الله بالقطيعة. من الآن وصاعداً سترتكز العلاقة الجديدة بين الله والإنسان على محبة الله. كانت العلاقة قديماً تقوم على حفظ الشريعة بقوى الإنسان الخاصة، أما في العهد الجديد فمحبة الله ورحمته هما نعمة مجانية يجود بها الله على الإنسان لكي يخلّصه.[٩]

٣- المعاني اللاهوتية

ينتقد الكاتب العهد الأول، مبيناً نقائص الكهنوت القديم، ومبرهناً أن الوحي نفسه يتطلع إلى عهد أفضل، ويصف أخيراً العبادة القديمة وينتقد مستواها.

١/٣- إنتقاد العهد الأول من خلال كهنوته

تميزت الرسالة إلى العبرانيين بكونها النص الوحيد الذي يتكلم على كهنوت المسيح بشكل واضح ومفصل، فاعتبرت أن المسيح هو الكاهن (مز ١١٠:٤؛ عب ٥:٦-١٠؛ ٦:٢٠). وتشرح نص تك ١٤:١٨-٢٠ في عب ٧ الذي يتكلم على كهنوت المسيح الذي صار كاملاً بآلامه، وبالتالي تحوّل ملكيصادق إلى صورة تستبق صورة المسيح الكاهن الكامل والمقام من الله إلى الأبد (مز ١١٠:٤؛ تك ١٤).

إن يسوع هو الحبر الأعظم على رتبة ملكيصادق. إنه الكاهن الجديد والوحيد الذي يفوق على الكهنوت القديم. ليس المسيح كاهناً على طريقة اللاويين (عب ٧:١٣-١٦)؛ فكهنوته أبدي (٦:١٧)، علماً انه من قبيلة يهوذا، وهي ليست قبيلة كهنوتية. إذاً، كهنوته ليس وراثياً، وكهنوت اللاويين زائل لأنه لا يوصل إلى الكمال. وهذا يبرهن أن شريعة الكهنوت القديمة قد ألغيت (مز ١١٠:٤؛ عب ٧:١٨-١٩). «أقسم الله ولن يندم بأن يقيم كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكيصادق» (مز ١١٠:٤). بموجب هذا القسم صار يسوع كفيلاً «لعهد أفضل»، كما أن كهنوته يدل أيضاً على تفوقه على كهنوت اللاويين المحكوم بالموت.[١٠]

ربط العهد القديم الإكمال الشخصي بشخص الكاهن والمؤسسة الكهنوتية. وكان عظيم الكهنة يقدّم ذبيحة التقديس

٧- وليم باركلي، **الرسالة إلى العبرانيين، تفسير العهد الجديد**، ترجمة القس جرجس هابيل (دار الثقافة المسيحية، القاهرة ١٩٧٥) ١٣٩.

٨- C. Spicq, *L'épître aux Hébreux,* (Sources bibliques, éd. Gabalda, Paris, 1979) 141-142.

٩- وليم باركلي، **الرسالة إلى العبرانيين**، ص ١٤٠.

١٠- الخوري بولس الفغالي، **الكهنة والكهنوت في الكتاب المقدس** (محطات كتابية ١٦، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩) ٢١٥-٢١٩.

المكرّسة للرب (لا ٧:٣٧؛ ٨:٢٢؛ خر ٢٢: ٢٢–٣٤). أما الرسالة إلى العبرانيين فقد برهنت عن عجز الكهنوت القديم عن البلوغ بالإنسان إلى الكمال. وحده الوحيد أقيم كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكيصادق، ونال الكمال بذبيحته الشخصية. عندما يصل الكاتب إلى النقطة المركزية (٨:١–٩:٢٨)، ينبه القارىء إلى أنه وصل إلى النقطة الأكثر أهمية في موضوعه : «إن لنا عظيم كهنة هذه عظمته» (عب ٨:١»)، أي عظيم كهنة كاملاً).[١١]

٢/٣ – الوحي نفسه تطلّع إلى عهد أفضل

الكلام على عهد أفضل (٨:٦) يعني أنّ هناك «عهداً ذات قيمة أقل». يركز الكاتب على هذه النقطة بالذات ليقيّم عهد سيناء السابق (خر ٢٤:٣٨) بأنه ناقص. نجد البرهان في نبوءة إرميا حيث يعلن الله عهداً جديداً (إر ٣١:٣١–٣٤؛ عب ٨:٨–١٢).[١٢]

أ– إثبات عيوب العهد القديم

الحجة الأولى: إذا كان الله قد أعلن عهداً جديداً، فهذا يدل على أن العهد الحاضر فيه عيب؛ وهو نفسه يتطلع إلى عهد آخر ويحتاج إليه ويدعو له. يشبه هذا البرهان مثيله في عب ٧:١١ فيما يخص موضوع الكهنوت القديم.

الحجة الثانية: تدعم الأولى وهي أن نص إرميا يحتوي في الواقع على اللوم الذي يتوجه به الله إلى الإسرائيليين لا إلى العهد بحد ذاته (روم ٧:١٢)؛ ذلك لأن سوء استعماله من قبل بني إسرائيل أظهر عجزه وعدم اكتماله. إنها مسؤولية الإنسان في الحكم على العهد القديم. لأنه بسلوكه أبطل مفاعيل الشريعة الصالحة. أضف على ذلك أن الشريعة نفسها أيضاً تنقصها الفعالية. لأنه إن كان الناس هم المذنبون فقط، أمكن استبدالهم بآخرين مباركين، لكن الله عاد ليقيم عهداً جديداً يختلف كلياً عن الأول. في الخلاصة يُظهر هذا اللوم نقص العهد القديم وعدم ديمومته.

الحجة الثالثة: إن وصف العهد الجديد بحد ذاته يتضمن نقداً خفياً لعهد سيناء. إذا كان الله قد وعد بأن يكتب شريعته الجديدة في القلوب، فهذا يعود إلى كون الوصايا التي حُفرت على لوحي الحجر (خر ٣٤:٣–٨) صارت غير نافعة. وبالتالي يحب ألاّ تبقى الوصايا خارجاً، بل يجب إدخالها إلى الباطن. وقد تنبأ الأنبياء بأن إسرائيل سيتمتّع في زمن المسيح الداودي بعهد ثابت ودائم (أش ٥٤:١٠؛ ٥٥:٣؛ ٥٩:٢١؛ حز ١٦:٢٠؛ ٣٧:٢٦).[١٣]

ب– التعليم[١٤]

٤– إنتقاد العهد القديم من خلال العبادة

يتابع كاتب العبرانيين نقده للعهد القديم من خلال التعريف بمستوى العبادة القديمة ووصفها. أظهر أولاً تفوق كهنوت المسيح الحبر الأعظم على رتبة ملكيصادق، وها هو الآن يسلط الضوء على مسألة العبادة القديمة. طبعاً هو يهدف من وراء ذلك إلى التمهيد الجديد بيسوع المسيح.

١/٤ مستوى العبادة القديمة

وصل الكاتب إلى النقطة الرئيسية (عب ٨:١)، فلمح إلى مز ١١٠ ليبرز هدفه بأن الكاهن الأعظم هو المسيح. وقد جلس عن يمين عرش الجلال (عب ١:٣–١٣). تشير ٨:٢ إلى «المقدس الحقيقي أو الخيمة الحقيقية» التي بناها الله لا الإنسان؛ وتشير في الوقت عينه إلى وجود خيمة غير حقيقية قد صنعها إنسان اسمه موسى. ويشكّل التعارض بين الخيمتين المحور الرئيسي لبنية المقطع الأول ككل (٨:٣–٩:١٠).

تطرّق الكاتب في هذه الفقرة (٨:٣–٦) إلى مسألة العبادة ليظهر قدم العهد الذي مُورست في ومحدوديته. يقول : إن الخدمة الطقسية تحتوي على ذبائح تقدّم كقرابين (عب ٥:١–٣)، ويمارس هذه العبادة فقط كهنة لاوي. لكن الكاتب يحطّ من شأنها (٨:٥)، ويعتبرها كظلّ للخيرات المستقبلية، أو نوعاً من عبادة صنمية (تث ٥:٨؛ غل ٥:٣–٩:١). تسيطر هذه الفكرة على ذهنية العهد القديم، وبدا الكاتب مشبعاً منها. هناك علاقة بعيدة بين الخيمتين، وبين الحقيقة والتقليد. صحيح أن موسى يصنع الخيمة على شبه المثال الذي أراه الله إيّاه، ولكن شتّان ما بين الحقيقة الإلهية والتقليد البشري.[١٥]

١١– E. Cothenet, M. Morgen, A. Vanhoye, *Les dernières épîtres*, p. 54.

١٢– *Ibid.*, p. 57.

١٣– Spicq, *L'épître aux Hébreux*, p. 140.

١٤– راجع الأب شهوان، «مع العهد الجديد، سيعرفونني جميعاً ولا يعود بعلم الواحد أخاه»، **بيبليا**، ١٠ (٢٠٠١) ٧–١١.

١٥– باركلي، **الرسالة إلى العبرانيين**، ص ١٣٣–١٣٤.

بعد أن ينتقد الكاتب مستوى العبادة الجسدية القديمة، يعلن بأن حبرنا الأعظم يحتفل بـ «ليتورجية مختلفة جداً»، ويربطها «بعهد أفضل» قيمته تفوق قيمة العهد الأول، لكونه يتأسس على وعود أعظم (٦:٨). إن ليتورجية المسيح هي ذبيحة عهد، والمسيح هو «وسيط عهد»؛ يشدّد هنا على وساطة المسيح مقابل خدمة الكهنة اللاويين، مظهراً تفوقها على وساطة موسى في إبرام عهد سيناء، وتجاوزها لوساطة إبراهيم لما قبل الوعد من الله. يبقى المسيح الوسيط الوحيد لعهد من نوع آخر. إذاً تلاحظ هذه الفقرة ارتباط الكاهن بالعهد، في حين أن العهد القديم أغفل ذلك. ويحدد الكاتب نسبة للوعود؛ فالعهد الجديد يكتسب قيمة أعظم من الأوّل لكونه يقوم على أساس وعود أفضل (٦:٨).[١٦]

٢/٤ وصف العبادة القديمة

يؤكد كاتب الرسالة إلى العبرانيين على وجود علاقة بين العهد والعبادة (٦:٨)، بينما لا نجد في نبوءة إرميا أي تلميح إليها. يصف الكاتب في هذه الفقرة العبادة في العهد الأول، مبيّناً عدم فعاليتها، وبكونها مرحلية، ممهّداً بذلك لتقدمة المسيح الشخصية في عهد جديد ونهائي.

يصف أولاً المكان المقدس ويشدّد على وجود خيمتين : المقدس، وقدس و الأقداس، ويهدف إلى إبراز الفرق العظيم في وظيفتيهما. المقدس، أو الخيمة الأولى، هو الطريق إلى الثانية، يدخلها الكهنة واللاويون كل سبت لتقديم الذبائح، بينما قدس الأقداس لا يدخله إلا عظيم الكهنة مرة واحدة في السنة بدم الذبائح، وفي عيد الغفران «كيبور». تحتوي الخيمة الثانية على تابوت العهد رمز حضور الله.[١٧]

نستنتج الخلاصة التالية : إن مختلف الطقوس القديمة، والمؤسسة الكهنوتية التي تحتفل بها، ومدى فاعلية وساطتها، والأمكنة المقدسة، كلها عناصر ترتبط بالعهد السينائي، وبما أنها كلها عاجزة لا يمكنها أن تعطي الخلاص الكامل للإنسان، فهي بالضرورة إلى زوال، ليحلّ مكانها عهدٌ أفضل بيسوع الذي سيمنح الخلاص الشامل ويبلغ بالإنسان إلى كماله. نرى إذاً أن كل هذا القسم (٣:٨-١٠:٩) قد حضّر للذبيحة الكاملة مع يسوع المسيح في عهد جديد كامل ونهائي.

٥- ذبيحة كاملة لعهد كامل

ارتكز العهد القديم على كهنوت لاوي الذي كان يقوم بعبادة قديمة مرحلية ناقصة وغير فاعلة. أما في العهد الجديد فقد أتى كهنوت جديد، إذ قدّم المسيح ذاته تقدمة فعّالة نهائية كاملة.

أظهر الكاتب في المقطع الأول من القسم المركزي (١:٨-١٠:٩) نقائص العهد القديم، وها هو يبرز في المقطع الثاني (١١:٩-٢٨) كمالات العهد الجديد؛ وقد قسمناه في المقدّمة الى ثلاث فقرات : آ ١١-١٤؛ آ ١٥-٢٣؛ آ ٢٤-٢٨. تتوازى هذه الفقرات وتتعارض مع الفقرات الثلاثة السابقة في المقطع الأول بترتيب معكوس (٣:٨-٦؛ ٧:٨-١٣؛ ١:٩-١٠). سنعالج إذاً في هذا الفصل النقاط الثلاث، وهي على التوالي : تقدمة كاملة لعهد أفضل، والمسيح هو وسيط عهد جديد، والعهد النهائي الكامل.

١/٥ تقدمة كاملة لعهد أفضل

يقدّم الكاتب ذبيحة المسيح باحتفال وعظمة، بعد أن مهّد لها في المقطع الأول (١:٨-١٠:٩). لقد حقّق المسيح ما عجز عنه عظيم الكهنة في العهد القديم، إذ «دخل قدس الأقداس مرة واحدة» (١١:٩). نلاحظ هنا موازاة بين الفقرة (١١:٩-١٤)، والفقرة ١:٩-١٠. ويأتي الكلام على عظيم كهنة آخر، وخيمة أخرى، ودم آخر، ومدخل آخر، وتقدمة أخرى؛ بينما يهمل وصف القدس ويتركه إلى ما بعد ٢٤:٩. يستخدم وسيلتين ليعبّر عن العهد : الأولى، يصف فيها طريق الدخول إلى قدس الأقداس، والثانية، يستعمل فيها كلمات التقدمة الذبائحية.[١٨]

أ- الهيكل الجديد

اجتاز المسيح الخيمة الأولى بدمه الشخصي. في ٨:٩ نرى الطريق أو الخيمة الأولى «غير مفتوح ما دام المسكن الأول قائماً». أما المسيح فقد اجتازها بالمسكن الأعظم والأكمل (١١:٩). المسكن الأعظم ليس هو

١٦- E. Cothenet, M. Morgen, A. Vanhoye, *op. cit.*, p. 56.
١٧- باركلي، **الرسالة إلى العبرانيين**، ص ١٤٣-١٤٦.
١٨- E. Cothenet, M. Morgen, A. Vanhoye, *op. cit.*, p. 64.

السماوات (٤:١٤)، بل الهيكل الروحي الجديد أو الخيمة الأعظم التي لم تصنعها أيد بشرية، ولا تنتمي إلى هذا العالم (٩:١١). السماوات حسب عب ١٠-١؛ ٢-١٢ تنتمي إلى هذه الخليقة. هذا دليل على أن السماوات ليست هي الخيمة الأعظم. يجري الكلام هنا على تبديل القديم بالجديد، وكان لموضوع الهيكل في البنية الأدبية أهمية عظيمة حسب التقليد الإنجيلي. هذا الأخير يسبق كتابة الأناجيل بشكلها النهائي، ويربط بين الهيكل الجديد وموت يسوع وقيامته. إنه الهيكل الذي سيقيمه يسوع في ثلاثة أيام (متّى ٢٦:٦١)، والهيكل الذي لم يصنعه إنسان (مر ١٤:٥٨)، إنه هيكل جسد المسيح (يو ٢:١٣-٢٢). فالهيكل الجديد إذاً هو جسد المسيح الممجّد الذي جعل العلاقة ممكنة وشخصية بين الله والإنسان.[١٩]

ب- الطاعة الكاملة طريق الخليقة الجديدة

كان على يسوع أن يتحوّل في بشريته قبل الدخول إلى المجد السماوي. وكانت آلامه هي طريق التحوّل. لقد صارت بشرية يسوع الممجدة هي الخيمة الأعظم والأكمل، لأنها تنتمي إلى خليقة جديدة (٢ كو ٥:١٧؛ غل ٦:١٥؛ أف ٤:٢٤). فالبشرية الأولى التي شوّهتها الخطيئة مع آدم، قد تحوّلت بفضل تقدمة المسيح لذاته، وبفعل طاعته الكاملة لله إلى بشرية جديدة، تنفتح بكل كيانها على عمل الله الخلاصي وتصغي إلى كلمته[٢٠]؛ فتح المسيح الطريق إلى الخيمة الأعظم بآلامه، وأعطى الإنسان وسيلة للدخول إليها، كما دعاه إلى الدخول في علاقة صحيحة وشخصية مع الله (١٠:١٩-٢٢).

ج- نتائج ذبيحة المسيح

أعطت ذبيحة المسيح نتائج تخطّت أحكام العهد القديم، وجعلت من ذبيحة المسيح ذبيحة عهد جديد تتوحّد فيه الخيمة الجديدة بالدّم.

تعتبر هذه النتائج علامات تعكس فاعلية الذبيحة الجديدة التي ارتبطت بالعهد الأفضل، وجعلت منه عهداً جديداً، نهائياً كاملاً.[٢١]

٢/٥ المسيح وسيط عهد جديد

ألغى المسيح بذبيحته رتبة الغفران القديمة (كيپور، لا ١٦؛ عب ٩:٧). تعلّم الطاعة من آلامه (عب ٥:٨)، وتحوّلت بشريته إلى بشرية كاملة لأجلنا نحن، وليس لأنه محتاج هو إلى التحوّل للدخول في مجد الله. وقد منح كلَّ من آمن به أن يتحوّل أيضاً مثله، منقّياً ضميره من الأعمال الميتة لكي يعبد الله الحي (١١:١٤).

ترتكز هذه الفقرة على ربط العهد بالدم. فتصور ضرورة موت المسيح (عب ٢:١٠) بعلاقة مع العهد (عب ٩:١٥؛ ٨:٦). انتصر المسيح بموته على الخطيئة؛ به صار واحداً مع الله، وبه تضامن مع البشر، أو بتعبير آخر جعل من دمه المسفوك أساس العهد الجديد الموعود به في إر ٣١:٣١-٣٤؛ عب ٨:٦-١٣. وبما أن غفران الخطايا المقترفة في ظل عهد سيناء هو شرط للدخول في العهد، لذلك حقّقه المسيح متمّماً بذلك الوعود (٩:١١)، ومحقّقاً فداء أبدياً (٩:١٢) شاملاً. هكذا صار المسيح وسيطاً لعهد جديد بتقدمة ذاته لأجل البشر.

ويستعمل الكاتب هنا كلمة «عهد» بمعنيين: أولاً، العهد بمعنى ويعني الالتزام، وهو عهد متبادل (عب ٩:١٥ و١٨-٢٠)؛ وثانياً، العهد بمعنى الوصية أو الترتيب، وتأتي من طرف واحد، إذ يوصي بها الوصي لوارثِه بعد موته (٩:١٦-١٧).[٢٢]

لقد وجب على المسيح أن يموت لكي يؤسس العهد الجديد، ولكي يرث المؤمنون الخيرات الإلهية. ربط الكاتب بين وظيفة المسيح الكهنوتية والعهد الجديد؛ ثم حدّد العلاقة بين الذبيحة المثالية والمقدس المثالي: على مثال عظيم الكهنة مَثُل المسيح أمام الله (آ ٢٤)؛ وهو لن يأتي ثانية إلا في المجيء الثاني (آ ٢٨) ليمارس وظيفته ككاهن ووسيط لنا. قدّم نفسه مرة واحدة، وبقيت تقدمته فعّالة إلى الأبد.[٢٣]

١٩- فَانوَا، **دراسة في الرسالة إلى العبرانيين**، ص ٥٢.

٢٠- المرجع نفسه، ص ٢٥-٥٣.

٢١- وليم باركلي، **تفسير الرسالة إلى العبرانيين**، ص ١٥٥-١٥٧.

٢٢- E. Cothenet, M. Morgen, A. Vanhoye, *Les dernières épîtres*, pp. 67-68.

٢٣- C. Spicq, *op. cit.*, p. 156.

أ- الدم الجديد علامة العهد الجديد

يطرح السؤال التالي بقوة : لماذا كان ثمن العهد الجديد التضحية بابن الله ؟ ألا تُوجد وسيلة أخرى لذلك ؟ كان موت الموصي ضرورياً ليصير العمل بمضمون الوصية قانونياً. ينطبق هذا الأمر على وصية المسيح. يجب عليه أن يموت لكي تُنفّذ وصيته بخلاص البشر. لم يكن العهد القديم يُبرَم بغير دم (خر ٢٤:٦-٨)، وهكذا جاء العهد الجديد على مثال القديم يحتاج إلى إراقة دم (عب ٧:٢٢؛ ٨:٦-١٠؛ ١٢:٢٤؛ متى ٢٦:٢٨). من هذه الزاوية يمكن القول بأن العهد القديم قد رسم الخطوط الأولية للعهد الجديد.[٢٤] يقول الأب فَانوَا[٢٥] : إن قيام عهد جديد يلزمه ذبيحة دموية أفضل من الذبائح الأولى (عب ٨:٩). وتأتي ذبيحة المسيح تلبية لهذه الحاجة (٩:١٥-١٧). معناها العميق هو أنه كان على الإنسان أن يجدّد كيانه الداخلي، ويجعل من ذاته خليقة جديدة تنفتح بكليتها على عمل الله. هذا يحتاج إلى موت شخصي كامل ولكن بمعنى إيجابي، لكي يدخل في علاقة شخصية مع الله.

يبرهن الكاتب على أن موت يسوع هو ذبيحة العهد (٩:١٨-٢١)، ووسيلة تطهير وتكفير (٩:٢٢؛ ١٠:٢٠)، وقد جاء الدم ليعطي الحياة للعهد وليختمه ويضعه موضع التنفيذ.

ب- فعالية الدم الجديد

تذكّر الآيتان ٩:١٩-٢٠ بخلاصة العهد الأول مع إسرائيل (خر ٢٤:٤-٨). يستعيد يسوع عبارة «هذا هو دم العهد الذي عاهده الله»، ليؤسس العهد الجديد والأفخارستيا، كما حافظت عليها الكنيسة فيما بعد (مر ١٤:٢٣؛ متى ٢٦:٢٨؛ ١كو ١١:٢٥). إذن طقس الدم ضروري لاستخلاص العهد. اعتبر الدم في العهد القديم وسيلة فعالة وشاملة وهي الذروة؛ فهو يطهّر كل الأشياء تقريباً، والناس تتنقّى به (لا ٨:١٥ و٢٤ و٣٠؛ عد ٨:١٥؛ رج لا ٩:١٦؛ ١٢:٧-٨)، وكما يكفّر عن كل خطيئة بدون استثناء (لا ١١:١٧)، لأنه يتضمّن الحياة، وهو مركزها. الخطيئة هي دَين مُكلف يقتضي لتسديده إراقة الدم. الله محبة وقداسة، وهو وحده قادر على أن يدفع ثمن الخطيئة. والغفران أغلى ما في الوجود، ولا يمكن أن يحدث بدون دم وصليب. فلا شيء يردع الإنسان عن خطيئته إن لم ير نتائجها المدمّرة له وللآخرين. هذه هي فعاليّة ذبيحة الدم (أف ١:٧).

شدد الكاتب على ضرورة إراقة الدم وقيمته المطهّرة والمكفّرة نظراً لذبيحة المسيح التي بدونها لا يمكن أن يوجد عهد جديد، ولا أن يتمّ غفران الخطايا.[٢٦]

٥/٣ - العهد النهائي الكامل

بلغ المسيح بتقدمة ذاته إلى السماء إلى لقاء الله وجهاً لوجه (٩:٢٤)، وكانت ذبيحته وحيدة ثابتة، لكونها بلغت هدفها بطريقة كاملة ونهائية، وافتتحت طريق الأسكاتولوجيا وتمام الأزمنة. سيعود المسيح ثانية إلى الظهور (٩:٢٨)، لا ليكرر ذبيحة، بل ليخلّص المؤمنين الذين ينتظرونه خلاصاً أبدياً.

إنها حقبة الاكتمال النهائي. سيبرز فيها الكون الجديد للمسيحانية الأولى، لأن ذبيحة الجلجلة قد شملت التاريخ كله من بداية العالم وحتى نهايته.

٥/٤ بذبيحته خلّصنا ووهبنا الكمال

تجلّى نقص العهد الأول بتكرار ذبائحه التي عجزت عن التكفير عن خطايا الإنسان، وقصّرت في إيصاله إلى الكمال، وانحصر دور العبادة القديمة في تذكير الإنسان بخطاياه، وفي كونها جعلت من هذه الخطايا حاجزاً يفصل بين الله والخاطئ. وبقيت الحقائق الخلاصية محفوظة للعهد الجديد وهي: غفران الخطايا، نور الإيمان، فيض الروح القدس، العلاقة الحميمة مع الله والدخول إلى الميراث الأبدي.

هكذا وهبنا المسيح الكمال بقربانه الكامل والوحيد، إذ «جعل الذين قدّسهم كاملين أبداً» (١٠:١٤) وبالتالي صاروا قادرين على المثول في حضرة الله.[٢٧]

الخاتمة

عجزت الشرائع القديمة عن إعطاء نعمة الروح القدس إلى الإنسان لكي يفعل الخير؛ صارت عقيمة تحتاج إلى كمال نهائي يحققه المسيح بطاعته

٢٤- باركلي، **الرسالة إلى العبرانيين**، ص ١٦٠.
٢٥- فانوا، **دراسة في الرسالة إلى العبرانيين**، ص ٥٤.
٢٦- C. Spicq, *op. cit.*, pp. 157-159.
٢٧- فانوا، **دراسة في الرسالة إلى العبرانيين**، ص ٥٥.

كهنوت جديد لعهد جديد

الكاملة للآب وبتضامنه مع البشر. قدّم المسيح ذاته فاستحق الكمال بآلامه، وأعطاه قيمة كهنوتية، ووهبه للمسيحيين (عب ١٠:١٩). بقي على الإنسان أن يحقق فيه الكمال ويرضى أن يتقدّس تدريجياً. ويقرّب لله بالمسيح ذبيحة الحمد والتسبيح ويعمل الخير ويغيث المحتاجين (عب ١٣:١٥-١٦).

يرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن هذا الكمال الكهنوتي هو تتميم للعهد الجديد الذي تنبأ عليه إرميا (عب ١٠:١٦؛ إر ٣١:٣٩). مع تحقيق العهد الجديد الكامل والنهائي، يتحقق وعد الله، فيغفر خطايا الناس، لأن المسيح قد كفّر عنها (١ قور ١٥:٣) عندما «قدّم ذبيحته الوحيدة لأجل خطايانا» (عب ١٠:١٢)؛ إنها المناسبة الأفضل لزوال العهد الأول بعبادته القديمة (١٠:١٧-١٨) لأنه صار غير نافع.

مراجع:

الخوري بولس الفغالي، **الكهنة والكهنوت في الكتاب المقدس** (سلسلة محطات كتابية، ١٦؛ دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩).

الأب أيوب شهوان، **العهد الجديد بالمسيح يسوع** (حلقة أبحاث، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس الكسليك، ١٩٩٩-٢٠٠٠).

معجم اللاهوت الكتابي، (دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩١).

الأب ألبير فَانوْا اليسوعي، **دراسة في الرسالة إلى العبرانيين** (سلسلة دراسات في الكتاب المقدس، ١١؛ دار المشرق، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٨٧).

وليم باركلي، **الرسالة إلى العبرانيين**، تفسير العهد الجديد، ترجمة القس جرجس هابيل (دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٧٥).

E. Cothenet, M. Morgan, A. Vanhoye, *Les dernières épîtres, Hébreux, Jacques, Pierre, Jean, Jude* (Centurion, Paris, 1997).

C. Spicq, *L'épître aux Hébreux* (Sources bibliques; Gabalda, Paris, 1979).

A. Vanhoye, *La structure littéraire de l'épître aux Hébreux* (Desclée de Brouwer, 1963).

العهد في سفر الرؤيا

الأخت ماتيلد ساسين

مقدمة

العهد في الكتاب المقدس موضوع أساسي ومحوري. فهو ذاك التحالف الذي عقده الله مع البشر، آخذاً على نفسه أن يمنحهم البركات والنعم، لقاء أمانتهم على حفظ شريعته ووصاياه. أمّا كلمة «عهد» فقد ظهرت لأول مرة مع نوح في البداية، ثم مع إبراهيم ومع موسى، فإرميا (٣١ : ٣١).

أمّا حفلة أو رتبة العهد فكانت تقطع أو تُبَتّ على الطريقة المألوفة آنذاك عند البدو الرحل، حيث كان يشطر الحيوان إلى شطرين، ويوضع كل منهما على صخرة، فيمر كل من الفريقين المتعاقدين ما بين هذين الشطرين، ثم يجلسان ليأكلا على مائدة واحدة دلالة على المودة والشراكة. فعلى هذه الطريقة قطع الله العهود مع البشر في تاريخ الخلاص.

فالرؤيا وحدها تحدّد المسيح كحمل. هو حمل الخلاص الجديد والانعتاق الجديد (رج رؤ ١٢ : ٣-٦)؛ وهو كذلك ابن الوعد بإسحق جديد (تك ٢٢). ومن الاختبار الفصحي طبّقت أجيال المسيحيين وبكل سهولة هذه الصور على المسيح.

فمسيح الرؤيا يشرق بطريقة ساطعة من نور الفصح. إنه الحمل الذبيح ! إنه الحمل القائم الممجد : «أنا الحي، كنت ميتاً وهاءنذا حي أبد الدهور» (رؤ ١ : ١٧-١٨). إنه ينبوع الماء الحيّ، أصل شجرة الحياة، ويعطي إكليل الحياة، وهو عربون الحياة الجديدة المفاضة على كل إنسان آتٍ إليه.

بما أنّ كتاب الرؤيا هو جزء من كتب العهد الجديد، فمن الضروري الاطلاع على الجوامع المشتركة ما بين الجزء والكلّ. سنعالج في ما يلي موضوع العهد في سفر الرؤيا.

النص ومضمونه: **رؤيا ٢١ : ١-٨**

١ - «سماء جديدة وأرض جديدة»

الشق الأول (آ ١-٦ أ)

١- ورأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة، فالسماء الأولى والأرض الأولى قد زالتا، والبحر لا يكون من بعد.

٢- ورأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء، من عند الله، معدّة كعروس مُزيّنة لرجلها.

٣- وسمعت من العرش صوتاً جهوراً يقول : هوذا مسكن الله مع البشر، وسيسكن معهم، وهم يكونون له شعوباً، والله نفسه يكون معهم، إلهاً لهم (**العهد**).

٤- وسيمسح كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون من بعد، ولا حداد، ولا صراخ ولا وجع يكون من بعد، لأن الأشياء الأولى قد زالت.

٥- وقال الجالس على العرش : هاءنذا أجعل كل شيء جديداً. وقال : أكتب ! لأن هذه الكلمات عدل وحق.

الشق الثاني (آ ٦ب-٨)

٦ب- وقال لي : قد تمت ! أنا الألف والياء، والبدء والنهاية. أنا أعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً.

٧- الظافر يرث هذه وأكون له إلها، وهو يكون لي ابناً (**العهد**).

٨- أما الجبناء والكفّار والأرجاس والقتلة، والفجّار والسّحرة، وعابدو الأوثان والكذّابون جميعاً، فنصيبهم في البحيرة المتّقدة بنار وكبريت، وهي الموت الثاني.

الموضوع المسيطر هو العالم الجديد: «هاءنذا أجعل كل شيء جديداً (رؤ ٢١ : ٥). يستند الجديد في الكتاب المقدس إلى حقائق الخلاص الإلهية. وبما أن الله يملك الخليقة كلها، فللأشياء الجديدة، غير المدنسة بالاستعمال، طابع مقدس : «للرب باكورة الثمار وكل فاتح رحم» (تث ٢٦ : ١-١١)؛ الجديد يعني جدّة وقداسة. خروج قديم آخر جديد، ولأول مرة استعملت كلمة «جديد» عند خروج الشعب من السبي؛ فقد أنشدوا نشيداً جديداً، لأن محرر إسرائيل هو خالقه، وهو الأول والأخير (أش ٤١ : ٤ و٦)، سماوات جديدة وأرض جديدة (أش ٦٥ : ١٧)، الخمرة الجديدة (مر ٢ : ٢٢؛ لو ٥ : ٣٦)، الخ.

أورشليم الجديدة تقابل بابل الزانية التي دمرت. فالجديد في هذا العالم هو أن الله يسكن، يجعل خيمته بينهم، أي بين البشر، ويجدّد ميثاقه معهم.

فمسكن الله مع شعبه (مع البشر) يعني أنهم سيكونون له شعباً، ويكون هو لهم إلهاً (حز ٣٧ : ٢٧؛ أش ٧ : ١٤؛ متّى ١ : ٢٤). «مع البشر» هو تعبير يشمل جميع الناس، لا المؤمنين «القديسين» وحدهم؛ فصورة الجمع تعني الكنيسة التي تضم جميع الشعوب من دون استثناء. إنّ حضور الله مع شعبه هو قوام العهد القديم، وتحقق كاملاً في العهد الجديد (يو ١ : ١٤). إنّ عمل الله الثالوثي متكامل؛ فالآب يخلق أرضاً جديدة وسماء جديدة، والابن الفادي يزف إلى نفسه الكنيسة عروساً نقية، والروح المعزي يمسح كل دمعة ويمحو الموت والحداد والوجع والصراخ من كل القلوب.

فالجالس على العرش «يجعل كل شيء جديداً؛ يتكلم الله عن نفسه، وهذه أول مرة في الرؤيا، كلمته هذه تعبّر عن غاية الكتاب كله : «هاءنذا أجعل كل شيء جديداً». كلمة خالقة أخيرة مثل كلمته الأولى : «ليكن النور» (تك ١ : ٣).

أما فكرة السماء الجديدة، والأرض الجديدة، والمدينة المقدسة، والعرس، والمسكن، فهي من جوهر سفر الرؤيا؛ فالغاية في هذا السفر هي هذا البعد النهيوي، هو اكتمال انتظار الخليقة والمكافأة على الجهاد.

إن فكرة الأرض مرتبطة دائماً بعلاقة الله بشعبه وبعلاقة شعبه به. في البدء خلق الله السماء والأرض وأسكن فيها الإنسان، وأوكله بها. وعندما دعا إبراهيم، قاده إلى أرض جديدة، إلى حياة جديدة.

أمّا العرس في الكتاب المقدس فيرمز إلى العلاقة المتينة بين الله والإنسان؛ فكما أن العريس يحب عروسه، هكذا الله يحب شعبه؛ فعلاقة الحب بين الله والإنسان هي علاقة حبٍّ متين أبدي. والله في الكتاب المقدس هو دائماً العريس الذي بأمانته لحبّه يعيد عروسته إلى الأمانة كلما خانت عهد الحب، كما يعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً (رؤ ٢١ : ٦). وإعلان هذا العرس، عرس الحمل مع كنيسته مدى ألف سنة ! تلك هي رسالة التعزية في الشدة.

فأورشليم هي المدينة الحبيبة (رؤ ٢٠ : ٩؛ أش ٤١ : ٨)، وهي عروس الحمل (رؤ ٢ : ٣؛ أش ٢٥ : ١)؛ هي المزينة زينة جميلة (رؤ ١٩ : ٧)، وكأنها عروس الله (١٩ : ٧؛ أش ٤٩ : ١٥)، أم البنين الكثيرين (رؤ ١٢ : ١ و ١٧؛ أش ٤٩ : ١٧). فالكنيسة، أورشليم الجديدة، تمثل ملكوت الله والمسيح، أي خليقة جديدة بالمسيح وفي المسيح وللمسيح.

إن أورشليم الجديدة هي كلمة الله التي تجسدت في وطن تغلب فيه على المستحيل؛ فالمدينة تهبط من العلاء تأتي كالوطن المنتظر، حيث يقوم عرش الله والحمل، فيعبده عباد الله، ويشاهدون وجهه، ويكون اسمه على جباههم.

٢- العهد في سفر الرؤيا

٢:١- إستعمال كلمة «الدياتيقي» في سفر الرؤيا[١]

إن آخر استعمال لكلمة دياتيقي في العهد الجديد هو في رؤ ١١ : ١٩، ويقع في مقطع هام من حيث البنية، أي في مستهل جزء، يلي الإعلان عن آخر ثلاث ويلات (١٤ : ١١)، وبعد النفخ بآخر بوق، الذي هو السابع (١١ : ١٥). للعنصر السابع من سلسلةٍ ما في سفر الرؤيا دائماً أهمية مميزة؛ فهو يثير ردة فعل سماوية تطلق سلسلة جديدة من أحداث أرضية مؤثرة.

هكذا في رؤ ٨ : ١، عندما يفتح الملاك الختم السابع، يعطي سبعة أبواق إلى سبعة ملائكة منتصبين أمام الله، يلي ذلك ليتورجية سماوية من التبخير والنار؛ ترمى نار المبخرة على الأرض، «فكانت رعود وأصوات وبروق، وزلازل» (٨ : ٥). كذلك الأمر في ١١ : ١٥، عندما ينفخ بالبوق لإطلاق الإعلان السابع،

١- A. VANHOYE, *La nuova alleanza nel NT* (Roma, 1990) 31, 62-63.

تسمع في السماء أصوات قديمة، تعلن عن التبشير بتدشين بملكوت الله والمسيح.

يشير هذا الإعلان تمجيد الأربعة والعشرين شيخاً السماوي. ثم تأتي الآية التي تهمنا، وهي ١١ : ١٩ : «وفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده (دياتيقي) في هيكله». تتواصل الآية مع لازمة مؤثرة (٤ : ٥) : «ومن العرش يخرج بروق وأصوات ورعود، وسبعة مصابيح من نار أمام العرش، وهي أرواح الله السبعة» (رج أيضاً ٨ : ٥؛ ١١ : ١).

«وحدثت بروق وأصوات ورعود وزلزلة وبرد عظيم» (١١ : ١٩)، ثم تبدأ سلسلة من «الآيات العظام» التي تظهر في السماء: «امرأة ملتحفة بالشمس» (١٢ : ١٩، «تنين أحمر عظيم» (١٢ : ٣)... من الصعب في هذا الإطار الرمزي تقويم مضمون التشديد على الدياتيقي؛ المقصود بدقة أكبر هو تابوت العهد الذي يسُمّى غالباً في العهد القديم بأسماء مختلفة : «التابوت»، «تابوت الشهادة»، «تابوت العهد»، «تابوت عهد الرب»، «تابوت الله»، «تابوت إله إسرائيل».

في سفر الخروج (٢٥ : ١٠)، يأمر الله موسى بأن يصنع التابوت؛ كان غطاء هذا الأخير يُعتَبر بمثابة مكان حضور الله (خر ٢٥ : ٢٢)، وكان يحتوي على لوحي «العهد» (تث ١٠ : ٥).

أيضاً الرسالة إلى العبرانيين تتكلم على ذلك في ٩ : ٤، لأن التابوت كان يمثل بطريقة محسوسة الرباط بين الله وإسرائيل؛ لذلك، في الظروف التي كان فيها إسرائيل بحاجة إلى عون الله، كان يتم اللجوء إلى التابوت.

المثل الأكثر دلالة هو المعركة ضدّ الفلسطينيين (١ صم ٤ : ٢–١١). فبدلاً من الحصول على النصر بفضل التابوت، دُحِر بنو إسرائيل وأُخِذَ التابوت، فكانت الكارثة الوطنية.

في سفر الرؤيا، يرى يوحنا أن «هيكل الله فُتِحَ في السماء، وظهر تابوت عهده في هيكله...» (رؤ ١١ : ١٩)، فإذا بنا في إطار انتصاري.

يبدو أنّ ظهور تابوت العهد يعني تدخل الله القريب وفق عهده. لهذا التدخل وجهان : «غضب» ضدّ الأعداء (١١ : ١٨)، في بداية الآية ونهايتها، «ومكافأة» لعبيده، أنبيائه، وقديسيه الذين يخافون اسمه، الصغار مع الكبار (١١ : ١٨).

في تعابير أخرى، ظهور تابوت العهد في السماء هو علامة أن الله «قد تذكر عهده المقدس»، كما جاء على لسان زكريا (لو ٢ : ٢٨). يذكّر نشيد زكريا بالذات بعلاقة العهد مع تدخل الله القدير ضدّ الأعداء (لو ١ : ٧٤)؛ سيحرّر المؤمنون من يد الأعداء (لو ١ : ٧١). في إطار العهد الثنائي قال الله : «أكون أنا عدّو أعدائك ومناهض مناهضيك (خر ٢٣ : ٢٢). يستعيد سفر الرؤيا هذا الأمر، ويعطيه صدى كبيراً. هناك رباط آخر، هو كلمة «مكافأة» (رؤ ١١ : ١٨) التي توحي بطريقة ما بشيء من «الميثاق» أي «العهد».

يعطي إله العهد المؤمنين «المكافأة» الواجبة تجاه أمانتهم. نجد ونلاحظ وجود ذات الرباط في العهد القديم، مثلاً في حك ١٠ : ١٥–١٧ : «لقد حررت الحكمة شعباً تقياً... من أمّة من الظالمين، وأعطيت الأتقياء مكافأة أتعابهم». في الرسالة إلى العبرانيين نجد الأمور عينها، إذ يتكلم الكاتب على «لهيب نار على وشك أن تلتهم الأعداء» (عب ١٠ : ٢٦)؛ ومن ناحية ثانية، يؤكد على أنّ ثبات المؤمنين الذي لا يتزعزع ينال «مكافأة عظيمة» (رؤ ١٠ : ٣٥).

٣– نصوص العهد

إن ترجمة العهد «بالوصية» لا تؤدي تماماً الجوهر اللاهوتي لكلمة «العهد»، أي العقد بين شريكين، إنما يحتفظ العهد الجديد بكلمة «عهد» ليذكر بعمل الله في التاريخ الكتابي، وقياساً مع دم الحيوانات المذبوحة عند إبرام العهود في العهد القديم. ويعترف العهد الجديد بدمٍ به إبرام عهد (مر ١٤ : ٢٤)، «عهد جديد» (لو ٢٢ : ٢٠؛ ١ كو ١١ : ٢٥)، هو دم يسوع المسيح.

ابتداء من هذا الوقت، أصبح واضحاً أن تاريخ الخلاص المعترف به رسمياً، إنما هو نتيجة عهدين (غل ٤ : ٢٤؛ ٢ كو ٣ : ٦–١٨).

اللاهوت الحقيقي للعهد الجديد بين الله والبشرية المفتداة، معروض في الرسالة إلى العبرانيين (٤–١٠)، مع الاعتراف الصريح بقيمة العهد القديم وشرفه، والتشديد عليها.

لن يستبدل زمن العهد الجديد بزمن آخر في هذا العالم، إذ هو إعلان ما هو نهائي؛ فالله يهوه هو إله العهد الأبدي.

النص الأول : رؤيا الحمل المذبوح (رؤ ٥: ٩–١٠)

يرنمون ترنيمة جديدة قائلين : «إنك المستحق أن تأخذ الكتاب، وتفتح ختومه، لأنك ذبحت وافتديت لله بدمك

أناساً من كل قبيلة ولسان وشعبٍ وأمة، وجعلتهم لإلهنا ملكوتاً وكهنة وسيملكون على الأرض».

النص الثاني : رؤيا جماعة المختارين (رؤ ٧ : ٩-١٧)

«بعد ذلك رأيت، وإذا جمع غفير...، من كل أمة وقبيلة...، واقفون أمام العرش وأمام الحمل، لابسون حللاً بيضاء، وبأيديهم سعف النخل...

قال لي : «هؤلاء هم الآتون من الضيق الشديد، وقد غسلوا حللهم وبيّضوها بدم الحمل...»

إن انتماء شعب العهد الجديد إلى جميع الشعوب بدون حصر أو تفرقة، هو برهان ساطع على شمولية الخلاص.

«لذلك هم أمام عرش الله، يعبدونه في هيكله نهاراً وليلاً، والجالس على العرش يبسط خيمته عليهم، فلا يجوعون... ولا يعطشون..، لأن الحمل في وسط العرش يرعاهم... يمسح كل دمعة من عيونهم»

هذه هي نتيجة العهد : الجلوس أمام عرش الله، والعبادة الدائمة والحياة الجديدة.

النص الثالث : نشيد الظفر علامة لتتميم الوعد (رؤ ١٩ : ٦-٧)

«هللويا... الرب القدير قد ملك، لنفرح ولنبتهج...، لأن عرس الحمل قد أتى، وعروسه قد أعدت نفسها، وأوتيت بكتانٍ متآلف ناصع، فالكتان إنما هو برّ القديسين».

٤- المسيح «مجدد» الخلق

يبدأ هذا التجديد مع المسيح، ويختم عند الله في اليوم الآخر. ويتحقق هذا التجدد في الجهاد : «مَن غلب أعطيه أيضاً حصاة بيضاء مكتوباً عليها اسم جديد لا يعرفه سوى حامله» (رؤ ٢ : ١٧). فالسيد المسيح يدعو خرافه بأسمائها (يو ١٠ : ٣)، والاسم الجديد هو برهان على الاصطفاء الإلهي.

يتم تجديد الخلق بالمسيحية حتى اليوم الآخر، وحينئذٍ يكمل الله التجديد؛ بعد الدينونة العامة (٢٠ : ١١-١٥) يقول الجالس على العرش : «ها إنّي أجعل كلّ شيء جديداً». ثم قال : «أكتب هذا الكلام وصدق» (٢١ : ٥)؛ «وللحال رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة، فالسماء الأولى والأرض الأولى قد زالتا» (٢١ : ١)، أي زالت صورتهما، متحولاً إلى كون جديد، فتظهر أورشليم الجديدة مهيأة كعروس مزينة لعريسها (٢١ : ٢).

فأورشليم الأرضية هي كنيسة المسيح، وأورشليم السماوية هي مسكن عرش الله والحمل، حيث تنبع الحياة الخالدة من عرش الله والحمل. فالسيد المسيح هو «المجدّد» لكل شيء.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة السريعة في رؤيا يوحنا وبتركيزنا على النص، الرؤيا السابعة، «سماء جديدة وأرض جديدة»، لا بدّ من أن نستخلص ما كشفته لنا الرؤيا.

أولاً : نحن «شعب الرؤيا»، لأننا مدعوون لأن نختبر كلمة الله في الكتاب المقدس، كي لا يعود بعد ذلك الكتاب كتاباً جامداً بل حياً. ونختبر محبته، «هو الذي أحبّنا أوّلا»، في حاضر دائم، هو البداية التي لا تنتهي، هو الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية، والكل في قبضة يمينه، فينتفي الخوف من قلوبنا.

ثانياً : نحن شعب انتظار؛ فالرجاء يفتح أبواب المستقبل، ويدعونا للدخول في تاريخ لا يعيد ذاته، بل ينطلق من النهاية التي نصبو إليها، المدينة المقدسة.

وهكذا يستطيع الكون والبشرية أن يشدوَا النشيد الجديد، لأن كل شيء تجدّد في يسوع المسيح. ويندفع الملائكة مع كل الخلائق، فينشدون «للجالس على العرش وللحمل الحمد والإكرام، والمجد والجبروت الى أبد الدهور» (٥ : ١٣). إذاً نستطيع القول أيضاً أن العهد القديم يجد في المسيح، معناه الحقيقي والكامل؛ فالخلق والخلاص يعلنان الخلق الجديد والخلاص الحقيقي في يسوع المسيح لكل مَن يؤمن بِمَن أعطانا العهد بدمِه.

رؤيا جمع المخلّصين الغفير، الذين حفظوا العهد

دياتيقي في أعمال الرسل
(٣:٢٥؛ ٧:٨)

أ. أيّوب شهوان

مقدمة

نادراً ما يستعمل لوقا الإنجيلي، في سفر أعمال الرسل، كلمة «دياتيقي»، كما هي الحال في الأناجيل، إذ لا نصادفها سوى مرّتين فقط في السفر المذكور، وفي الحالتين تَرِدُ في خُطَبٍ، هما خطبة بطرس، وخطبة إسطفانوس؛ ومُلفتٌ للنظر أنها في المرّتين تُستَخدَم للكلام على «العهد» (الـ«بريت») المعطى لإبراهيم. لنتفحّص النصّين وأبعادهما البيبلية.

١ – النص الأوّل : أع ٣:٢٥[١]

تَرِدُ هذه الآيةُ في خطبة بطرس الموجّهة إلى اليهود، بعد أعجوبة شفاء المقعد. يهدف الموضوع المُدرَج إلى الحثّ على التوبة (μετανοησατε ،١٩:٣). يقول بطرس: «أنتم أبناء الأنبياء، وأبناء العهد الذي عاهد به اللّه آباءكم، إذ قال لإبراهيم: بنسلك تتبارك كلّ عائلات الأرض». إن العبارة اليونانية διαθηκην διατιθεσθαι، التي تُترجَم بعبارة «العهد الذي عاهد»، هي تأكيدية؛ نجدها من جديد في عب ٨:١٠ (= ١٠:١٦)، وهي استشهاد من إر ٣١:٣٣. إنها شائعة جدّاً في السبعينيّة، حيث تُترجِمُ تقريباً وباستمرار التعبيرَ العبريَّ כרת ברית (= «كَرَتْ بريت»)، الذي يعني حرفيّاً، «قطع عهداً»، أي حدّد ووضع التزاماً أو اتّفاقاً. أمّا إذا أردنا أن ننقل التعبير اليوناني حرفيّاً، فنقول: «رتّب لذاته ترتيباً ما».

هكذا يكون «الترتيب الإلهي» – أي «العهد» – في أع ٣:٢٥، **وعداً** يتعلّق بنسل إبراهيم، نسل سيكون مصدر بركة لكلّ أمّة وعِرْق. هذه الطريقة لتحديد «دياتيقي» إبراهيم هي بالأحرى خاصّة، وتُبرِزُ التوجّهَ الشموليَّ لدى لوقا. يشكّل **الوعد بالبركة** لكلّ الناس جزءاً بالتأكيد من الوعود المقطوعة لإبراهيم (تك ١٢:٣؛ ١٨:١٨؛ ٢٢:١٨)، ولإسحق (٢٦:٤)، وليعقوب (٢٨:١٤). التحديد بواسطة كلمة «بنسلك»، في أع ٣:٢٥، مُستَلّ من تك ٢٢:١٨. لكن البيبليا لا تأخذ هذا الوعد لتحدّد الـ«دياتيقي»: ففي تك ١٥:٨، **يحدّدُ العهد بالوعد بالأرض**، ويضيف تك ١٧ **الوعدَ بنسل** لا عَدَّ له، وبعلاقة خاصّة ومميَّزَة باللّه (١٧:٢–٨)؛ **لا يضع أيٌّ من الاثنين في «الدياتيقي» البركةَ للأمم**. يوسّع لوقا إذاً تحديد «الدياتيقي» الذي أقامه اللّه لإبراهيم ولـ«آباء» شعب الله، ويعطيه بُعداً شمولياً. ويُلاحَظ أنّ التوجّهَ إيجابيّ؛ فـ«الدياتيقي» العتيقة لا تُنْتَقَد، ولا يجري الكلام على إلغاء محتمل لها، لا بل على تتميمها. يُعْترف بـ«الدياتيقي» أنّها قد تَمَّتْ بالمسيح القائم من الموت الذي أرسله الله، كمُعطي البركة الموعودة (أع ٣:٢٦).

١– الخوري بولس الفغالي، «المعاني الكتابيّة في خطب بطرس»، في **أعمال الرسل عنصرة كلّ العصور** (سلسلة دراسات بيبليّة، ١٠؛ المطبعة البولسيّة: لبنان، ١٩٩٥) ٢٦٨–٢٧٥؛ الأب يوحنّا الخوند، «خطب بطرس الخمس الرسوليّة في أعمال الرسل: بنيتها ومضمونها اللاهوتي»، ذات المرجع، ص ٣٥٠–٣٥٩؛ VANHOYE A., *La nuova alleanza nel NT* (PIB: Roma 1990).

من قراءة أع ٣:٢٥، نتبيّن أن لا موازاة لهذه الآية في أيّ نصّ بيبليّ معروف[٢]. فكلمة «عائلات» (πατριοι)، أوّلاً، لا تظهر في أيّ من الترجمات اليونانيّة في سفر التكوين: من المحتمل أن تكون قد وُضعت بدلاً من كلمة «قبائل» (φυλαι). يظهر الوعد بالذات هنا تحت صيغتين: «بك تتبارك كلّ قبائل الأرض» (تك ١٢:٣)[٣]، و«بنسلك تتبارك كلّ أمم الأرض» (٢٢:١٨؛ ٢٦:٤). جُمعت الصيغتان في تك ٢٨:١٤ على النحو التالي: «بك تتبارك كلّ قبائل الأرض، كما أيضاً بنسلك».

يأخذ الاستشهاد الذي في أع ٣:٢٥ شيئاً من كلٍّ من صيغتَيّ الوعد الرئيستين؛ فهو يتكلّم على كلّ «عائلات» الأرض، وليس على كلّ «أمم» الأرض؛ فهل هذا بسبب أنّه من المُبكر الكلام على «الأمم» (εθνη)، في وضعها مقابل الشعب اليهودي؟ ولكن في الوقت ذاته ترتبط هذه البركة الشموليّة، ليس بشخص ابراهيم («بك»)، بل بـ «نسله» (σπερμα). يجب البحث عن سبب هذا الخيار في إطار النص، وبنوع خاص بعد الاستشهاد المذكور مباشرة، هذا الاستشهاد الذي هو أيضاً تفسير: «إنّه من أجلكم أوّلاً قد أقام اللّه عبده وأرسله ليباركَكم» (أع ٣:٢٦). تعود البركة الموعود بها لكلّ عائلات الأرض إلى أبناء شعب اللّه أوّلاً؛ «الزرع» (σπερμα) الذي به يجب أن يتلقّوها، هو العبد الذي أقامه اللّه (أو «مجّده»)، استناداً إلى أع ٣:١٣)، في ذات الوقت الذي هو فيه، ووفق الآيتين ٢٢-٢٣، نبيّ مماثل لموسى. كما في غل ٣:١٦، يُفسَّر الوعد المُعطى لإبراهيم إذاً بمعنى كريستولوجي. هو المسيح ينبوع البركة لكلّ عائلات الأرض، ابتداءً باليهود إذا ما تابوا (٣:٢٦ب)؛ ولكنّ كلّ الذين سيرفضون أن يسمعوه سيُرذَلون من عِداد الشعب المختار.

بالنسبة إلى عبارة «أبناء الأنبياء»[٤]، فإنّ لها معنى عاماً، أكثر منه خاصاً كالذي نجده في ١ مل ٢١:٣٥؛ ٢ مل ٢:٣ و٥ و٧ و١٥، والذي يُطلَق على فِرَق الأنبياء الذين كانوا يُدعَون «أبناء الأنبياء». وبالنسبة إلى عبارة «أبناء الوعد» (رج حز ٣٠:٥)، فإنها لا تُستَعمَل بشكل واسع، كما قد يتوقّع القارىء[٥]. هناك طريقة مماثلة للكلام على وضع اليهود الخاص في روم ٩:٤-٥.

نستنتج إذاً أن العهد قد وجد تمامه في المسيح يسوع، الذي يهب البركة التي وعد اللهُ بها (رج أع ٣:٢٦).

٢ - خطبة اسطفانوس (أع ٧:٨)[٦]

المرّة الثانية التي نصادف فيها كلمة «دياتيقي» في سفر أعمال الرسل، هي في خطبة اسطفانوس (أع ٧:٨). الكلمة محدَّدة بالمضاف إليه، «الختان» (περιτομης): أعطى اللّه إبراهيم «**عهدَ ختان**». نجد هنا تلميحاً واضحاً إلى تك ١٧:١٠: «هذا هو **العهد** («بْريت») الذي يجب أن تحفظوه، **عهدٌ** («بْريت») بيني وبينكم، وبين نسلك من بَعدِك: ليُختَنْ عندكم كلُّ ذكر». يُلاحظ في هذه الجملة وجود تطبيقَيْن لكلمة «**عهد**» («بْريت»):

أ) فالعهد يُطَبَّق على علاقة بين اثنين («بيني وبينكم»)؛ هذه الناحية هي موضوعة في الواجهة في الآيات السابقة: «أقيم **عهدي** معك... لكي أكون إلهك» (١٧:٧)؛

ب) ويُطَبَّق «العهد»، من ناحية ثانية، على التزام مفروض، من المناسب «حفظُه». «هذا هو **عهدي**: ليُختَن...». توضح الجملةُ التي تَلِي (١٧:١١) أن العهد يتطلب وجود «علامة»، هي الختان.

تهتمّ خُطبة اسطفانوس فقط بالعهد الواجب. «أعطاه اللّه واجبَ الختان، وهكذا وَلَد هو اسحقَ، وخَتَنَهُ في اليوم الثامن، ويعقوب، الخ». لا توضَع مسألةُ

٢- DUPONT Jacques, *Nouvelles études sur les Actes des Apôtres* (LD 118; Cerf: Paris 1984) 500 ss.

٣- نجد في تك ٢٢:١٨ الضمير الغائب المفرد: «به تتبارك كلّ قبائل الأرض». بهذه الآية تستشهد غل ٣:٨ ببساطة فتقول: «بك تتبارك كلّ الأمم»؛ في الآية ١٦ فقط يُطرح موضوع «زرع» (σπερμα) ابراهيم، ليس كأداة الوعد (لآخرين)، ولكن كأنّه هو هدف الوعد. نشير إلى أنّ بولس يعود إلى مقاطع أخرى من التكوين.

٤- JOHNSON Luke Timothy, *The Acts of the Apostles* (Sacra Pagina, 5; The Liturgical Press: Collegeville, Minnesota 1992) 70.

٥- رج «نظام الحرب»، في بولس الفغالي (تقديم وتعريب)، **كتابات قمران**، الجزء الأوّل (سلسلة «على هامش الكتاب»، ١؛ المطبعة البولسيّة: لبنان، ١٩٩٧) ١٣٠ = *1QM* 17:8.

٦- الأب ريمون الهاشم، «خطبة إسطفانوس (٦:٨-٨:١)»، في الخوري بولس الفغالي (منسِّق ومقدّم للمحاضرات)، **أعمال الرسل عنصرة كلّ العصور** (سلسلة دراسات بيبليّة، ١٠؛ المطبعة البولسيّة: لبنان، ١٩٩٥) ٣٩١-٤٠٢.

قلنا أعلاه إن آ ٨ هي آية انتقالية؛ هي أيضاً، من الناحية البنيوية، رباط بين ما سبق وبين ما يلي. أولاً، ينظر التعبير «عهد ختان» إلى الوراء، إلى ما سبق وقاله الله حقاً، كما إلى نهاية آ ٥. بالإضافة إلى ذلك، ما زال اللهُ موضوع الفعل. ثانياً، الحركة السريعة من إبراهيم، إلى إسحق، ويعقوب، فإلى الآباء الاثني عشر، هي أسلوب لا يرمي إلى جعل القارىء يتوقّف. هو يخبر وببساطة عن تتميم الأمر بالختان، وعن ولادة الأبناء من منظار وعد الله وعهده. ثالثاً، يدل تغييرُ المواضيع، وبالطبع ظهور أشخاص جدد (إسحاق ويعقوب والآباء الاثنا عشر)، على أننا نبتعد عن رواية إبراهيم والله الواردة في الآيات السابقة. رابعاً، تشكل نهاية آ ٨ وبداية آ ٩ بذات التعبير، الذي نادراً ما نجده في العهدَين القديم والجديد، رباطاً أدبياً بين الآيات الأولى (آ ٢–٨) والآيات اللاحقة (٩–١٦).

لهذه الأسباب، نجد آ ٨، في آن معاً، آيةً انتقالية، وآيةً تشدد، عبر عهد الختان، على الآيات التي سبقتها. بعد تحديد تاريخ إسرائيل هذا (آ ٦–٧)، وتأكيده (آ ٨أ)، ننتقل إلى تتميم هذا التصميم الإلهي كما يعيشه البشر.

– عبارة «عهد ختان»[٩]

إن عبارة «عهد ختان» بحد ذاتها هي غير مألوفة، لكنها تحتاز لُبَّ تك ١٧:١–٤، ١٠–١٤، ١٥:١٨؛ ١٧:٢٣–٢٧، بادر إبراهيم إلى ختانة كل الذكور خاصته، بما فيهم هو بالذات وإسماعيل ابنه، حتى وقبل مولد إسحاق.

عندما يكتب يوسيفوس المؤرخ اليهودي عن الختان مبرِّراً سببه، يقول: «لِيُحفَظَ نسلُه من الاختلاط مع الآخَرين»[١٠].

أما كتاب اليوبيلات، فإنه يسهب في الكلام على موضوع الختان، مبرزاً الطابع الأبدي لعهد الختان، وكيف أن البعض قد تخلّوا عنه[١١].

بالمقابل، يجهل كتاب العتيقات البيبلية، المنسوب إلى فيلون المستعار، هذا الطقس[١٢] بالكلية، كما يفعل فيلون في مؤلَّفِه حول إبراهيم[١٣].

خاتمة

هذا كلّ ما نجده في سفر أعمال الرسل حول العهد؛ هو ليس بالكثير، لأن لوقا لا يُعير اهتماماً كبيراً للـ«دياتيقي» في هذا السفر، لأن همّه الأول هو بنوع خاصّ نشر «الكلمة»؛ فهذه الأخيرة (λογος) ترد ٦٥ مرّة (رج، مثلاً، أع ٤:٣١؛ ٦:٧؛ ١٢:٢٤؛ ١٣:٤٩؛ الخ).

٩– JOHNSON Luke Timothy, *op. cit.*, p. 116.

١٠– يوسيفوس، **العتيقات اليهوديّة** ١:١٩٢. = F. JOSEPHUS, *Les Antiquités Juives* 1:192.

١١– أنظر «شريعة الختان»، في **كتاب اليوبيلات أو التكوين الصغير**، ١٥:٢٥–٣٤ (تقديم وترجمة الخوري بولس الفغالي، سلسلة «على هامش الكتاب»، ٥؛ المطبعة البولسيّة: لبنان، ٢٠٠٠) ١٠٣–١٠٤.

١٢– فيلون المستعار، **كتاب العتيقات البيبليّة** ٨:٣–٤ = PSEUDO-PHILON, *Le livre des Antiquités Bibliques*, 8:3-4.

١٣– فيلون، **حول إبراهيم** ١١١–١٦٦ = PHILON, *Au sujert d'Abraham*, 114-116

مراجع:

خوند الأب يوحنا، «خطب بطرس الخمس الرسولية في أعمال الرسل: بنيتها ومضمونها اللاهوتي»، في الخوري بولس الفغالي (منسّق ومقدّم للمحاضرات)، **أعمال الرسل عنصرة كل العصور** (سلسلة دراسات بيبلية، ١٠؛ المطبعة البولسية: لبنان، ١٩٩٥) ٣٥٠–٣٥٩.

فغالي الخوري بولس، «المعاني الكتابية في خطب بطرس»، في الخوري بولس الفغالي (منسّق ومقدّم للمحاضرات)، **أعمال الرسل عنصرة كل العصور** (سلسلة دراسات بيبلية، ١٠؛ المطبعة البولسية: لبنان، ١٩٩٥) ٢٦٨–٢٧٥.

هاشم الأب ريمون، «خطبة إسطفانوس (٦:٨–١:٨)»، في الخوري بولس الفغالي (منسّق ومقدّم للمحاضرات)، **أعمال الرسل عنصرة كل العصور** (سلسلة دراسات بيبلية، ١٠؛ المطبعة البولسية: لبنان، ١٩٩٥) ٣٩١–٤٠٢.

يوسيفوس، **العتيقات اليهودية**.

كتاب اليوبيلات أو التكوين الصغير، تقديم وترجمة الخوري بولس الفغالي (سلسلة «على هامش الكتاب»، ٥؛ المطبعة البولسية: لبنان، ٢٠٠٠).

DUPONT Jacques, *Nouvelles études sur les Actes des Apôtres* (LD 118; Cerf: Paris 1984).

JOHNSON Luke Timothy, *The Acts of the Apostles* (Sacra Pagina, 5; The Liturgical Press: Collegville, Minnesota 1992).

JOSEPHUS F., *Les Antiquités Juives*.

KILGALLEN J., *The Stephen Speech. A Literary and Redactional Transitional Study of Acts* 7:2-53 (An Bib 67; Roma. 1976).

PHILON, *Au sujet d'Abraham*, in RADICE R. (A cura di), *Filone. Tutti i trattati del commentario allegorico alla Bibbia* (Rusconi: Milano 1994).

PSEUDO-PHILON, *Le Livre des Antiquités Bibliques*.

RADICE R. (A cura di), *Filone. Tutti i trattati del commentario allegorico alla Bibbia* (Rusconi: Milano 1994).

VANHOYE A., *La nuova alleanza nel NT* (PIB: Roma 1990).

WHISTON William (Translator), *Josephus. Complete Works* (Grand Rapids: Michigan 1981).

لوقا الإنجيلي